السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٩/١٣/٤



كتاب الالمام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى

(المتوفى بعد سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م)

الجزء الرابع

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة برلين و بانكى پور

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محامد على العباسى مدير دائرة المعارف العثمانية

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند

١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٤/١٣/٩

كتاب الالمام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى
(المتوفى بعد سنة ٧٧٥ ﻫ / ١٣٧٢ م)

الجزء الرابع

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة برلين و بانكى پور

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محامد على العباسى مدير دائرة المعارف العثمانية

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند

١٣٩٠ ﻫ = ١٩٧٠ م

محتويات الجزء الرابع

من

كتاب الإلمام

موضوع	صفحة



بسم الله الرحمن الرحيم

[بناء الاسكندرية]

و لما أراد الإسكندر أن يبنى مدينة يسميها باسمه ، اختار مصر ، فلما عزم على بناء الإسكندرية دعا ثلاثة نفر من الصناع يولهم بناء المدينة ، فجعل أحدهم على أساس المدينة و إحكامها ، و ولى الآخر[1] طرق المدينة و نصب أسواقها ، و ولى الثالث بناء القصور و الدور. فبلغ ذلك 5 أرسطاطاليس معلم الإسكندر و ما أمر به الإسكندر من بناء المدينة ، فأرسل إليه أرسطاطاليس أنه لا ينبغى أن تبنى مدينة على السعة و العظم ، فانك لا[2] تجد بدا من أن تسكنها أصنافا[3] من الأمم و اختلاف اللغات ، ولست تأمن أن يتمايلوا عليك [4]فيقتلوك أو يخرجونك[4] من المدينة ، و أخوف ما يكون ذلك فى يوم عيد[5] ، و إذا أردت جمع أهلها لأمر تحدثه فيهم 10

(1) زيد فى بن : بتقويم الآخر بتقويم .

(2) الكلمة ساقطة من بن .

(3) فى بن : أصناف .

(4-4) فى الأصلين : فيقتلوك أو يخرجوك .

(5) فى بن: عيده .

لم يجتمعوا إليك أياما، و لو جعلت شعير البلاد لهم سويقا لم يشبعهم
ذلك. فشق ذلك على الإسكندر من رأى أرسطاطاليس و داخله من
ذلك هم[١] و فكرة. فدعا إليه رؤساء المنجمين و أهل العلم و الأدب
و النظر، فأعلمهم بما أشار إليه أرسطاطاليس فقالوا له: أيها الملك الرشيد،
٥ لا يحزنك ذلك [٢١٤: ب] و لا يهولنك ذلك، و كن واثقا بها،
و إنها ستكون مدينة عامرة سليمة واسعة العيش، ذات خصب كثير،
يحمل إليها أهل البلدان تجاراتهم، و ليس أحد من الصناع يعالج فيها
صناعة إلا كان عزيزا. فسر ذلك الإسكندر، و جدّ فيما أشاروا عليه
و عزم على البناء، و أمر عماله بالجد فى ذلك حرصا على تخليد اسمه،
١٠ و بقاء ذكره، حين علم أن لا سبيل إلى تخليد جسمه. و قد كان أناس
من الأوائل يخلفون صورهم أصناما عند أهليهم لكيلا تنسى منازل
صورهم. و فى رسالة استقراطس عن الإسكندر أن الإسكندرية أقامت
حتى كملت بعد الإسكندر فى ثلاثمائة سنة، و أن أهلها مكثوا سبعين
سنة لا يمشون فيها إلا بخرق سود على وجوههم مخافة على أبصارهم من
١٥ شدة بياض حيطانها. و منارتها العجيبة على سرطان [٢] من زجاج [٢] مطل
على البحر. و كان فيها سوى أهلها - أعنى الإسكندرية - مائة ألف من

(١) فى بن: هموم.

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة فى بن.

اليهود

اليهود خول لأهلها . و قد تقدم ذكر وضع أساس الإسكندرية و هدم الشياطين له حتى احتيل على دفعهم عنه فتمت عمارتها .

و قيل عجائب الدنيا أربعة : مرآة كانت معلقة بمنارة الإسكندرية ، فكان يجلس الجالس عليها فيرى من بالقسطنطينية و بينهما[1] عرض البحر[2] ؛ و صنم من نحاس بأرض الأندلس باسط يديه أى ليس [3] مثلى ٥ كذلك [3] فلا يطأ تلك الأرض أحد إلا ابتلعه[4] ؛ و منارة بأرض عاد فاذا كانت الأشهر الحرم [5]هطل منها الماء فشرب الناس ، سقوا و صبوا فى الحياض فاذا ذهبت[6] الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء.

و قد نهى الله تعالى عن الذنوب فى الأشهر الحرم ، لأن العمل الصالح فيها أجره يضاعف ، و كذلك العمل الردئ يضاعف أيضا ١٠ قال الله تعالى : " إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتب الله يوم خلق السموت و الأرض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم[7] ". و الأشهر الحرم منها شهر فرد و هو رجب و ثلاثة

---

(١) فى بن : و بينها و بينها .

(٢) فى بن : البحار .

(٣–٣) بياض فى بن .

(٤) فى بن : ابتلعته – و جائز أن يكون هذا هو الصواب .

(٥) بقية العبارة من هنا ساقطة من بن إلى « انقطع ذلك الماء » .

(٦) فى بر: ذهب.

(٧) قرآن كريم ٩ : ٣٦ .

سرد و هى ذو[1] القعدة و الحجة و المحرم . و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما ورد فى فضل شعبان و رمضان و الأشهر الحرم إن شاء الله تعالى - انتهى[2] .

[شجرة نحاس بأرض رومة]

٥ نعود ، و بأرض رومية شجرة من نحاس عليها سودانية من نحاس، فاذا كان [٢١٥ : الف] أبان[3] الزيتون صفرت السودانية التى هى [4]من نحاس[4] فتجىء كل سودانية من الطير بثلاث زيتونات ، زيتونتين فى رجليها و زيتونة فى منقارها ، فتلقيها على تلك السودانية النحاس ، فيعصرون أهل مدينة رومية ما يكفيهم لسرجهم و أدمهم إلى قابل - انتهى[2] .

١٠ ## [نتاج أهل مصر]

فلنذكر الآن نتاج[5] أهل مصر [4]إن شاء الله تعالى[4] . لأهل مصر النتاج العجيب من الخيل و البغال ، و الخيل المدربة على الحروب ، و الجوارح المعلمة على الصيد ، ترتفع أقدارها ، و تغالى[6] فى أثمانها ، لامتيازها بالفضائل

(١) فى بر : ذى - و صوابه فى بن كما أوردناه بالنص .
(٢) الكلمة واردة فى بن و ساقطة من بر .
(٣) فى بن [ص ١٥٨ :الف] : أول .
(٤-٤) ساقطة من بن .
(٥) فى بن نتائج .
(٦) فى الأصين : و تغالا .

المكتسبة. و سأذكر[١] لمعا من [٢]أخبار الخيل[٢] و الجوارح المعلمة و كلاب الصيد فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

و لأهل مصر معدن الزمرد، و لهم زيت الفجل و اليسر و النبق و البيران[٣] و النيدة و الجلبان و ذكر أهل العلم أنه ليس يكاد من رهبان الشام إلا أعمش من أكلهم العدس، و رهبان مصر سالمون من ذلك مع أكلهم الجلبان. ٥

و لأهل مصر البقر الخيسية المؤبلة لا تعمل و لا تثير الأرض بالحرث بل للحلاب فقط، و هي أحسن البقر صورا، و بقر مصر العاملة ليس في الدنيا بقر[٤] أعظم منهن خلقا، و إن[٥] العضو منهن يساوي أكثر من ثور من غيرها. ١٠

و لأهل مصر حطب الصنط و القرظ الذي تعلفه الدواب. و ذكر بعض أهل العلم أنه يوقد بالحطب الصنط عشرين سنة في الكانون، فلا يوجد له رماد[٦] طول هذه المدة، و يقد أخضرا و يابسا و هو شجر [٧]الخبط و القرظ[٧].

(١) في بن: و سيأتي.
(٢ - ٢) واردة في بن و ساقطة من بر، وأضفنا منها واو العطف على الجوارح.
(٣) في بن: البيراف. و بهامش بر: خصوصيات مصر.
(٤) في الأصلين: بقرا.
(٥) كذا في بن، و هي في بر بدون واو العطف.
(٦) كذا في بن، و هي في بر: رمادا.
(٧ - ٧) في بن: القرض والخبط.

و يوجد بمصر فى كل وقت من الزمان من المأكول و الإدام و المشموم و سائر البقول و الخضر جميع ذلك فى الصيف و الشتاء، الا ينقطع منه شيء واحد لبرد و لا لحر. يوجد ذلك كله فى الصيف، و يوجد بقيته فى الشتاء[1] غير مفقود منه شيء واحد، و لا ينقطع و لا يتعذر

٥ و لا يوجد ذلك فى غيرها.

و من كلام المصريين فى شهور القبط و ما فى كل شهر منها: كُل رطب توت، و رمّان بابه، و خروف هاتور، و جدى كيهك، و اشرب ماء طوبه، و اقعد فى شمس امشير، وكُل لبن برمهات، و عسل برموده، و تماح بشنس، و تين بؤنه و أبيب[2]، و عنب مسرى.

١٠ و مصر فرضة مكة و المدينة و ساحلها و فرضة صنعاء و عدن و عمان و الشحر و الهند و جزيرة سرنديب [٢١٥ : ب] و غيرهم، يجلب إليها الجواهر[3] و الطرائف[4] و الآنية فى البحر حتى توفى[5] المراكب بالقلزم، و هى فرضة بحر الروم من العلايا و أنطاكيا و قسطنطينية و رومة[6] و بلد إفرنجة و طرابلس الغرب و تونس و القيروان و تاهرت و سجلماسة

(١ - ١) ساقطة من بن.
(٢) «و أبيب» ساقط من بر و وارد فى بن.
(٣) فى بن [١٥٨ : الف] : الجوهر.
(٤) فى بن : و الطرائف. و ربما كان أصوب.
(٥) فى بر : توفا. و فى بن : ترافى. و هو جائز.
(٦) فى بن : و روميه.

و السوس

و السوس[١] و طنجة و الأندلس و جزائر البحر مثل صقلية و اقريطش
و قبرس و رودس و نابل[٢] و غيرها من الجزر . يحمل إلى مصر رقيق
هذه البلدان كلها من الجوارى و الغلمان و التناج[٣] و الحديد و النحاس
و الفضة البيضاء و الرصاص و القزدير [٤]و الزنجفر و العفص[٤] و خشب
البقس و القرو و الصنوبر و الشوح و الصوارى و المجاذيف و المدارى ٥
[٥]و خشب القشاب الغشيم[٥] و القطع[٦] و الطوافر[٧] و المرجان و العنبر
و الزعفران و الكحل و الزئبق . و لا يحمل الزئبق إلا فى جلود الكلاب
لا فى غيرها من الجلود لقوة جلود الكلاب على حمله ، و إذا حمل[٨] فى
غيرها من الجلود خرقها و خرج منها لثقله عليها . و كذلك يحمل إلى مصر
من جزر البحر الرومى البزاة و الصقور و الشواهين و الكواهى و العقبان ١٠

(١) فى بن : والسوسه .
(٢) كذا فى الأصلين ، و ربما كان المقصود إحدى الجزر القريبة منه نابولى Naples و التابعة لها .
(٣) فى بن : و الساج .
(٤ — ٤) فى بن : و الجوخ .
(٥ — ٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٦) فى بن : و القصع .
(٧) فى بن : و الطوافير . و زيد بعدها فى بن : و المبعه .
(٨) فى الأصلين : عمل . و الغالب أنه خطأ قلمى ، و ربما كان استعمالا قديما للفظة « حمل » .

و سائر أنواع[1] التجارات [2]كالزيت و العسل و الجوز و البندق و اللوز[2] لا يضيق بها تجارتها، و لا يقصدون بها[3] بلدا سواها[4]. فلأهل مصر جباها[5] كله و لسائر الناس حيالته[6].

و لمصر من الكور ثمانون كورة ليس[7] فيها كورة إلا و فيها ٥ ظرائف[8] و عجائب من أصناف البز و الآنية و الطعام و الشراب و الفاكهة و جميع ما ينتفع به الناس، يعرف صنف كل كورة و جهازها، و ينسب كل لون منه إلى كورته، فصعيدها أرض حجازية حرها حر الحجاز، تنبت النخل و القرظ و القصب و الدوم، و أسفل أرضها شامى يمطر بمطر الشام، و النبت ثمار الشام من العنب و التين و اللوز و سائر الفاكهة ١٠ و البقول و الرياحين، و كورة الإسكندرية فبرارى[9] و جبال و غياض و كروم. و هى برية بحرية جبلية، بلاد إبل و ماشية و نتاج و عسل و لبن. [10]و بكل كورة[10] من كور مصر مدينة بها آثار كريمة من الأبنية و الصخور و البرابى و العجائب، فمنها الإسكندرية فى أبنيتها و عجائبها.

(١) ف بن: أصناف.
(٢ - ٢) هذه الأصناف ساقطة من بر و واردة ف بن.
(٣) الكلمة ساقطة من بر و واردة ف بن [١٥٨ : ب].
(٤) ف بن: بلدا اسواقها.
(٥) ف بن: حيارها.
(٦) بهذه الجملة غموض فى التركيب و المعنى و لعلها: لا يضيق بها تجارها . . . فلأهل مصر خيارها و لسائر الناس حيالته. و المقصود ما تبقى عن مصر و هى كلمة عربية. (٧) ف بن: و ليس.
(٨) ف بن: و الطرائف، و ربما كان أصوب.
(٩) ف بن: فبوادى. (١٠ - ١٠) ف بن: و بكل كوره.

و أجمع الناس أنه ليس بالدنيا بناء بالوحى غير هذه الكورة . و حجر اللاهون أحد عجائب الدنيا ، بناه[1] يوسف الصديق عليه السلام . وكانت ملوك الفرس تأتى إليه لتشاهده[2] [٢١٦ : الف] و هو بصعيد مصر[3] الأدنى بالقرب من الفيوم بالخليج[4] المعروف بالمنهى الذى حفره يوسف[5] عليه السلام . ٥

[الأقاليم السبعة و مدنها]

ذكر الأقاليم السبعة و ما فيها من المدن المشهورة .

[6]الأقاليم السبعة على بروج السماء مدن كبار عظام ، مدينتان فى إقليم زحل و مدينتان فى إقليم المشترى و مدينتان فى إقليم المريخ و مدينتان فى إقليم الشمس و مدينتان فى إقليم الزهرة و مدينتان فى ١٠ إقليم عطارد و مدينتان فى إقليم القمر . و قيل إن الأقاليم السبعة إقليم فى أرض المغرب و إقليم فى أرض الروم و إقليم فى أرض الحبشة و إقليم فى أرض الهند و إقليم فى أرض الترك و إقليم فى أرض الصين و إقليم فى أرض ياجوج و ماجوج ، لا يدخل هؤلاء و لا هؤلاء أرض هؤلاء[6] .

---

(١) فى بن : بناه .
(٢) فى بن زيد ما يلى و الجملة مكررة : و هو بصعيد مصر لتشاهده .
(٣) ساقطة من بن .
(٤) فى بن : و بالخليج .
(٥) زيد فى بن : الصديق .
(٦ - ٦) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن .

الإقليم[١] الأول يبتدئ من المشرق ببلاد الصين فيمر على بلاد الصين مما يلي الجنوب، و فيه مدينة الصين و الشقيرا، ثم يمر على سواحل البحر فى جنوب بلاد الهند ثم بلاد السند، ثم يمر فى البحر إلى جزيرة الكوله، و يقطع البحر إلى جزيرة العرب و أرض اليمن، فيكون فيه ٥ من المدن المعروفة ظفار و عمان و حضر موت و عدن و صنعاء و العنق و تانا و تبالة و مهرة و سبأ، ثم يقطع الإقليم بحر القلزم فيمر على بلاد الحبشة، و يقطع نيل مصر. و فيه هناك مدينة ملك الحبشة و تسمى جرمة[٢] و ماقة إلى أن ينتهى إلى بحر المغرب.

و أما الإقليم الثانى[٣] فانه يبتدئ من المشرق فيمر على بلاد الصين ١٠ ثم على بلاد الهند ثم السند، و فيه مدينة المنصورة و التبرود و الدليل، ثم يلتقى البحر الأخضر فى بحر البصرة، و يقطع جزيرة العرب فى أهل نجد و أهل تهامة، و فيه من المدن هناك اليمامة و البحرين و هجر و مدينة يثرب و الحجاز و مكة و الطائف و جدة، ثم يقطع بحر القلزم، و يمر بصعيد مصر، فيقطع النيل. و فيه من المدن قوص[٤] و أخميم و أنصنا ١٥ و أسوان. ثم يمر فى أرض المغرب على وسط بلاد إفريقية و بلد البربر، ثم ينتهى إلى بحر المغرب.

(١) ف بن: فالإقليم ــ و بهامش بر: الأقليم الأول ــ و بهامشه أيضا بقلم يختلف نوعا عن قلم الناسخ: مطلب معرفة الأقاليم السبعة و حدودها.
(٢) فى بن: حرمه ــ انظر ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٢٩: جَرْمَى.
(٣) فى هامش بر: الإقليم الثانى.
(٤) الكلمة ساقطة من بن.

و أما

و أما الإقليم الثالث[1] فانه يبتدئ من المشرق فيمر على بلاد الصين و على بلاد الهند ، ثم على شمال السند ، ثم على بلاد كابل و سجستان ، ثم يمر على بحر البصرة . فيه من المدن هناك مدينة اصطخر و جور و سابور و شيراز و سيراف و حنانا و سلس و مهروبان[2] ثم كور الأهواز و العراق ، وفيه البصرة و واسط ، بغداد و الكوفة و الأنبار و هيت . ثم يمر على بلاد الشام ، و فيه من المدن هناك سلمية و حمص و دمشق و صور و عكا و طبرية و بيت المقدس و الرملة و عسقلان و غزة و القلزم . ثم يقطع أسفل[2] أرض مصر و الفرما و الإسكندرية . ثم يمر على برقة[3] و طرابلس و بلاد إفريقية ، و فيه مدن[4] القيروان ، و ينتهى إلى الغرب[5] لمدينة فاس و أعمالها .

و أما الإقليم الرابع[6] فيبتدئ من المشرق ، فيمر على بلاد التبت ، ثم يمر على [٢١٦ : ب] بلاد خراسان ، فيكون فيه من المدن خجندة و فرغانة و سمرقند و بلخ و بخارى[7] و هراة و مرو و سرخس و طوس و نيسابور و جرجان و قومس و طبرستان و الديلم و الرى و أصبهان و قم

(١) فى هامش بر : الإقليم الثالث .
(٢) ساقطة من بن .
(٣) عن بن [١٠٩ : الف] ، و فى بر : برقا .
(٤) فى بن : من المدن .
(٥) فى بن : القرب .
(٦) فى هامش بر : الإقليم الرابع .
(٧) فى الأصلين : بخارا .

و همدان و نهاوند و الدينور و سُرَّ من رأى و الموصل و رأس العين[1]
و سميساط و حران و الرقة و قرقيسيا . ثم يمر على بلاد الشام ، و فيه
من المدن هناك بالس و منبج و حلب و قنسرين و انطاكية و طرابلس[2]
و المصيصة و صيدا و بيروت و أدنه و طرسوس و عمورية و اللاذقية .
٥ ثم يمر فى أرض المغرب على بلاد طنجة ، و ينتهى إلى بحر المغرب[3] .

و أما الإقليم الخامس[4] فانه يبتدئ من ياجوج و ماجوج ، ثم يمر
على شمال خراسان ، فيكون فيه من المدن هناك الطيراز و هى مدينة
التجار ، و خوارزم و سنجار و اذربيجان و كور ارمينية و خلاط و جرهية[5]
و رومية الكبرى . ثم يمر على سواحل الشام . ثم يمر على بلاد الأندلس
١٠ طرطوشة و سرقطة و طليطلة و قرطبة و أشبيلية و ماردة و مالقة حتى ينتهى
إلى بحر المغرب .

و أما الإقليم السادس[6] فانه يبتدئ من المشرق من ياجوج و ماجوج ،
ثم يمر على بلاد الخزر ، و يقطع وسط حرجان و بحرها إلى بلاد الروم .
ثم يمر على جروان و ماسيا و القسطنطينية و إفرنجة و بلاد نوحان إلى
١٥ بحر المغرب .

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : راسى العين .
(٢) فى بن : و أطرابلس .
(٣) فى بن : الغرب .
(٤) فى هامش بر : الإقليم الخامس .
(٥) فى بن: جرهية – بسقوط واو العطف .
(٦) فى هامش بر : الإقليم السادس

و أما الإقليم السابع[1] فانه يبتدئ من ياجوج و ماجوج ، ثم يمر على بلاد الترك على سواحل بحر جرجان و الصقالبة ، و ينتهى إلى بحر المغرب .

فهذه الأقاليم السبعة فيها المدن [2]المذكورة و غيرها من المدن[2] الكثيرة ، تركت ذكرها لكثرتها و طلبا للاختصار ، و فى هذا القدر[3] كفاية . ٥

و كل إقليم للموكه[4] اسم ، فاليمن يقال لمن ملكه تُبّع ، و الفرس كسرى ، و الروم قيصر ، و اليونانية[5] بطليموس ، و الترك خاقان ، و الحبشة النجاشى[6] ، و الخزر طرخان ، و مصر فرعون ، و الهند [7]الأركن ، و الصين بغفور[7] .

و اعلم أن خط الاستواء[8] من المشرق إلى المغرب ، فالبلاد التى ١٠ تكون أطوالها و أعراضها واحدة فى درج الفلك تعد[9] إقليما مثل أن يكون بلد بالأندلس و بلد بافريقية و بلد بالصين تكون أعراضهم و أطوالهم

(١) فى هامش بر : الإقليم السابع .

(٢ – ٢) العبارة ساقطة من بن .

(٣) زيد فى بن : المذكور .

(٤) فى بن : لملكه . و زيد فى هامش بر : أسماء الملوك .

(٥) فى بن : و اليونان .

(٦) فى بن : بالنجاشى .

(٧ – ٧) ساقطة من بر و واردة فى بن . و جائز أن تكون « بغفور » يغفور .

(٨) فى هامش بر : خط الاستواء .

(٩) كذا فى بن ، و هى فى بر : يعد .

سواء فيعدوا بذلك إقليما واحدا . قال الشاعر [١] من قصيدة مدح بها جعفر ابن أبي القاسم [١] [٢١٧ : الف] :

مدى[٢] الدهر ما دامت نجوم بأفقها تلوح و دام الإستواء مع الخط

[٣] و سأذكر هنا ما قاله [٣] أبو القاسم محمد بن هانئ في نجوم السماء من

٥ قصيدة له مدح بها جعفر بن أبي القاسم:

أليلتنا إذ أرسلت واردا و حفا و بتنا نرى الجوزاء [٤] في أذنها [٤] شنفا

و قد فكت الظلماء بعض قيودها و قد قام جيش الليل للصبح فاصطفا

و ولت نجوم للثريا كأنها خواتم تبدو [٥] في بنان يد تخفا

فتى على آثارها دبرانها كصاحب رده كميت [٦] خيله حلفا

١٠ و أقبلت الشعرى العبور ملبد [٧] بمرزمها اليعبوب يجنبه طرفا

و قد بادرتها أختها من ورائها لتخرق من ثني مجرتها سجفا

[٨] تخاف زئير [٨] الليث قدم نثرة و بربر في الظلماء ينسفها نسفا

كأن السماكين اللذين تظاهرا على لبدتيه ضامنان له حتفا

(١ - ١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : مدا .

(٣ - ٣) في بن : و قال .

(٤ - ٤) مكررة خطأ في بن .

(٥) في بن : تبدوا .

(٦) في بن : كمنت .

(٧) في بن : مكبلة .

(٨ - ٨) في بر : خاف زيرا . و أغلب الظن صحته في بن كما أوردناه بالنص و يستقيم بذلك ميزان البيت .

فذا

فذا رامح يهوى إليــــه سنانـــه و ذا أعزل قد عض أنمله لهفـا
كأن رقيب النجم أجدل مرقب يقلّب تحت الليل فى ريشه طرفـا
كأنـــ بنى نعش و نعشا مطـافل بوجهة[1] قد أضللن فى مهمه[2] خشفا
كأنـــ سهيلا فى مطالع أنفـــه مفارق ألف لم يجد بعده ألفـا
كأن[3] سهاها عاشق بعـــد عودها[4] فآونـة يبــدوا و آونـة يخفـا ٥
كـأنـــ معلا قطبهـا فارس له لواءان مركوزان تذكرة الزحفا
كأن قداما النسر و النسر واقع قصص فلم تسم[5] الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حـــين دوّم طائرا أتى[6] دون نصف الليل[7] فاختطف النصفا
كأن المزيع الابنوسى رهبـــة[8] سرى بالنسيج الخسروانى ملتفـا
كأن ظلام الليـل إذ مال ميله صريع مدام بات يشربها صرفا ١٠
كأن عمود الفجـر خاقان معشر من الترك نادى بالنجاشى فاستخفا
كأن لواء الشمس غرة جعفـــر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

(١) فى بن [١٥٩ : الف] : بوخزة .
(٢) فى بر التاء المربوطة منقوطة و النقط خطأ لأن الكلمة « مهمه » بالهاء الغير منقوطة فى بن و يستقيم المعنى بذلك .
(٣) « كأن » ساقطة من بن .
(٤) فى بر : عود . و هى كما أوردناه بالنص فى بن .
(٥) فى بن : تسموا .
(٦) فى بر : أنى – بالنون و هى فى بن بالتاء .
(٧) الكلمة ساقطة من بن .
(٨) كذا فى بن ، و هى فى بر : وهبة .

[1] و دخل إلى المدح و هى طويلة [1] . و كانوا يقولون : اطلبوا الرزق فى البعد فانكم إن لم تغنموا مالاً غنمتم عقلا . و قالوا : من تعذر عليه الرزق فعليه بمدينة عمان . و من مفاخرة [2] أهل مصر أنهم لا يطلبون الأموال و المتاجر [3] فى غير مصر ، و جميع تجار البلدان يطلبون الرزق ٥ [٢١٧ : ب] بها . [4] و اعلم أن الرزق لا يجره حرص حريص ، و لا يرده كراهية كاره . قال الشاعر :

ما لك ضامن رزقى [5]   فلماذا أكلف الخلق رزقى
فكما لا يرد عجزى رزقى   فكذا لا يجر رزقى حذق [4]

ذكر [6] ملوك الإسلام بمصر بعد الثلاثمائة [7] سنة للهجرة [7]
إلى سنة خمس [8] و سبعين و سبعمائة ١٠

[الدولة الإخشيدية [9]]

كانت الدولة الأخشيدية من قواد الطولونية . و كان طولون مملوكا

(١-١) فى بن : و خرج .
(٢) فى الأصلين : مقاقرة - و أغلب الظن أنه خطأ قلمى لكلمة « مفاخرة » كما أوردنا بالنص .
(٣) فى بن : من المتاجر .
(٤-٤) هذا القسم ساقط من بر و وارد فى بن (٥) كذا فى بن .
(٦) فى بن زيد : لمع من أخبار .
(٧-٧) فى بن : من الهجرة النبوية و .
(٨) فى بن : ثمان .
(٩) فى هامش بر : طولون .

لأمير المؤمنين عبد الله المأمون بن الرشيد[1] ، فرزق طولون ولدا سماه[2] أحمد ، فنجب فولى مصر نيابة لبنى العباس ، [3]ثم ولى بعده مصر ولده أبو الحسن خمارويه بن أحمد بن طولون [3] . فأراد خمارويه أن يزوج ابنته من على ابن أمير المؤمنين المعتضد . فقال المعتضد[4] إنه قصد أن يتشرف بنا فأنا[5] أتزوجها ، فتزوجها المعتضد ، فأتت له معها بأموال جزيلة . ٥

و أول الدولة الأخشيدية[6] طغج الفرغانى ، كان متوليا لخمارويه ابن أحمد[7] بن طولون دمشق و الشام . ثم ولى الأخشيد أبو بكر بن[8] محمد بن [9]طغج مصر . ثم وليها بعده أبو الجون محمد[9] بن أخشيد . ثم وليها بعده أبو المسك كافور الأخشيدى[10] ، جلب من الحبشة و عمره[11] أربعة

---

(١) و تاريخ حكمه ١٩٨ - ٢١٨ هـ = ٨١٣ - ٨٣٣ م .

(٢) ف بن : اسماه (٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) زيد ف بن : لما بلغه ذلك ـ و حكم المعتضد ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ = ٨٩٢ - ٩٠٢ م .

(٥) ف بن : انا (٦) ف هامش بر : أول الدولة الأخشيدية .

(٧) استمر حكم الدولة الطولونية من ٢٥٤ هـ = ٨٦٨ م الى ٢٩٢ هـ = ٩٠٥ م . و حكم الدولة الأخشيدية ٣٢٣ - ٣٥٨ هـ = ٩٣٥ - ٩٦٩ م . و حكم أحمد بن طولون ٢٥٤ - ٢٧٠ هـ = ٨٦٨ - ٨٨٢ م و خمارويه ٢٧٠ - ٢٨٢ هـ = ٨٨٣ - ٨٩٥ م أما طغج فحكمه ٣٢٣ - ٣٣٤ هـ = ٩٣٥ - ٩٤٦ م .

(٨) لفظ « بن » ساقط من بن .

(٩-٩) يلاحظ هنا اختلاف ف تفصيل الأسماء عما هو معروف مثلا ف جداول زامباور ص ٣٩ و ستانلى لين بول ص ٦٩ مما يستحق المراجعة و البحث .

(١٠) حكمه ٣٥٥ - ٣٥٧ هـ = ٩٦٦ - ٩٦٨ م .

(١١) ف بن [١٦٠ : الف] : و كان ابن .

عشر سنة ، و ذلك فى سنة اثنى عشر و ثلاثمائة ، فكان عادلا فى حكمه
محبوبا لرعيته لكرمه و سخائه و عدله ، و كان فى كل سنة فى ليلة
عيد الأضحى يوقر بغلا ذهبا و يفرقه فى أهل العلم و الخير و الصلاح .
قال صاحب كتاب الأشارات فى الزيارات : إن مصر زلزلت فى
٥ [١] دولته ستة أشهر [١] ليلا و نهارا ، فأنشد محمد بن القاسم [٢] من قصيدة
يقول فيها :

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها لكنها رقصت من عدله فرحا [٣]

و قيل إن كافور الأخشيد لما ملك مصر و عزمت كتاب الدولة [٤]
على كتابة [٥] تقليده ، فأمرهم أن لا يكذب أحد ، و لا يخفى جنسه
١٠ إذ هو عبد كان فتوقف [٦] الجميع عن ذلك ، فنهض أحدهم و قال : انا

(١-١) فى بن : دولة كافور مستقلا شهرا .
(٢) فى بن : القسم .
(٣) ورد هذا البيت مع كلمة « خوف » بدلا من « سوء » منسوبا إلى محمد بن عاصم فى « سكردان السلطان » (طبعة مصر ١٢٨٨ هـ) ص ١٣٣ عند الكلام عن كافور . و جاء نص البيت فى السيوطى (كتاب حسن المحاضرة فى اخبار مصر و القاهرة - مطبعة الموسوعات بمصر ١٣٢١ هـ) ج ٢ ص ١٦٧ و لفظة « سوء » به و القصيدة من تأليف محمد بن القاسم بن عاصم .
(٤) فى بن : دولته .
(٥) فى بن : كتاب .
(٦) فى بر : فتوقوا . و صححته فى بن كما أوردنا بالنص .

أكتبه . فكتب : أما بعد فان الفرس بكده ، و السيف بحده ، و المرء بسعده ، لا بأبيه و جده ، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه - [١] قال بعضهم :

لو كان باللب يزداد اللبيب غنى لكان كل لبيب مثل كافور

لكنه الرزق بالقسطاس من حكم يقضى اللبيب و يعطى ذل ماخور

و قال الآخر [١] : ٥

قد يرزق المرء لا من حسن حيلته

و يصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى

[٢] ما مسنى من غنى يوما و لا عدم

إلا و قولى فيه الحمد لله [٣]

[بن : ١٦٠ : الف] و لما سار أبو الطيب المتنبي الشاعر من دمشق إلى كافور ١٠ بمصر فمدحه بقصيدته التى قال فيها ما لم يمدح رائس أسود بأحسن

(١ - ١) هذا الجزء بما فيه البيتان ساقط من بن ، ثم أورده الناسخ بعد البيتين التاليين .

(٢) تبدأ هنا فى بر فجوة كبيرة واردة فى بن من ١٦٠ : الف (سطر ٥) إلى ١٦٧ : ب (سطر ١١) و قد نسخناها عن بن فيما يلى ، و هى تكمل عرض الدولة الإسلامية إلى عهد صلاح الدين الأيوبى حيث يستأنف الكلام من « نعود إلى اخبار الخ » .

(٣) هذا البيت مع سابقه ورد فى بن قبل البيتين السابقين ، و سقط البيت الأخير من بر .

منه ، فقال :

فجاءت به إنسان عين زمانه و خلت بياضا خلفها و مآقيا

فواصل كافور توارك غيره و من قصد البحر استقل السواقيا

و لم يعطه كافور ما يرضى به ، و أراد كافور الغض منه . فقال المتنبى :

٥ ألا ليت شعرى هل أقول قصيدة

فلا أشتكى فيها و لا أتعتب

أبا المسك [1] هل فى [1] الكأس فضل لشارب [2]

فانى أغنى منذ حين و تشرب

ثم جعل من يكلم له كافورا ليوليه ولاية ، فقال كافور لذلك

١٠ الشفيع : أ تكلمنى فى أن أولى رجلا أحمق لسانه يزيد على عقله ؟ أما تعلم أنه ادعى النبوة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو خير ولد آدم و سيد النبيين و خاتم المرسلين ؟ أ تراه إن صار واليا لا يدعى الملك مع كافور الحبشى الخصى ؟ فضحك الشفيع و قال : مولانا الأستاذ أعرف بما يقول و يفعل .

١٥ ثم ملك بعد كافور الأخشيد أحمد بن على بن الأخشيد ، و هو آخر من تولى من الأخشيدية مصر و عدتهم خمس نفر ، و كان آخر ملكهم فى سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة ، و مدة ملكهم أربعون [3] سنة .

(١-١) مطموسة جزئيا فى بن ، و لكن قراءتها ممكنة كما أوردنا بالنص .
(٢) فى ديوانه : «أناله» مكان «لشارب» .
(٣) فى الأصل : اربعين .

[الدولة الفاطمية]

و كان كافور الأخشيدى خادما [1] لأبى بكر محمد [2] بن طغج ، فجهز أبو [3] الحسن جوهر القائد غلام الإمام اسماعيل المنصور العبيدى [4] من أرض القيروان بالمغرب جيشا إلى مصر حارب و ملك منه من الأشمونين إلى الجيزة ، فوقع فناء بعسكر جوهر ، فرجع إلى أرض المغرب . ثم أتى مصر ثانيا ، فوافى [5] موت كافور فى سنة خمس و أربعين و ثلاثمائة ، و ولى مصر بعده أحمد بن على بن الأخشيد . فحاربه جوهر مدة فلم ينجع له طلب . ثم رجع و عاد و حارب إلى أن ملك مصر ، و انتقل إليها المعز لدين الله من المهدية و عمّر القاهرة المعزية فى سنة اثنتين و ستين و ثلاثمائة ، فسميت القاهرة لقهره بنى العباس و أخذه مصر منهم .

قال ابن الربيب فى تاريخه : و فى سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة انقطعت الدعوة العباسية من الديار المصريـــة بدخول جوهر الرومى غلام المعز العبيدى المخطوب له بالخلافة فى إفريقية إلى مصر و استيلائه على أعمالها ،

---

(١) فى الأصل : خادم .

(٢) كذا فى الأصل ، و قد ورد فيما سبق « ابو بكر بن محمد » (انظر ص ١٧ س ٧).

(٣) فى الأصل : أبا . و المقصود طبعا جوهر الصقلى فاتح مصر للدولة الفاطمية فى سنة ٣٥٦ هـ = ٩٦٩ م .

(٤) ربما كان المقصود هنا المنصور أبو طاهر إسماعيل خليفة المهدى أبى محمد عبيد الله بالمهدية وكان خلفه المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ - ٣٥٦ هـ = ٩٥٢ - ٩٧٦ م) الذى غزيت مصر فى عهده .

(٥) فى الأصل : فوافا .

و ذلك أنه اختلت أمورها بعد وفاة كافور الأخشيدى ، و وقع بها الغلاء
العظيم و الوباء اللذان قتلا الخلق حتى أحصى من مات فى أيام يسيرة
فكانوا ستمائة ألف ، و اشتغل صاحب الجيش و التدبير الحسن بن عبيد
ابن طغج بقتال القرامطة فى الشام . و كان له معهم وقعات مشهودة .
٥ فلما استقرت هذه الأخبار عند المعز أخرج جوهر المذكور فى عسكر
و معه العدد الهائلة و الجمال عليها مفرغا كالأرحال ليهول ذلك المنظر
من رآه ، و فى جيش جوهر هذا يقول محمد بن الأندلسى فى جملة قصيدة :

رأيت بعينى فوق ما كنت أسمع

و قال فى أبياتها :

١٠ إذا حل[1] فى أرض بناها مدائنا   و إن سار عنها أصبحت و هى بلاقع

[بن ١٦٠ : ب] و كان فى مصر قوّاد تجمع فدافعوا جوهرا ففرّق
جمعهم ، و قتل من ظفر بــه منهم ، و أرسل إلى سيده المعز برؤسهم ،
و من طلب الأمان سيره مكرما إلى إفريقية ، و كان دخول جوهر مصر
يوم الثلاثاء الثلاث عشر ليلة بقيت من شعبان من سنة ثمان و خمسين
١٥ و ثلاثمائة ، و خطب فيها للمعز ، و انقطعت منها الخطبة العباسية ، فلم تعد
إلا فى سنة سبع و ستين و خمسمائة على يد السلطان صلاح الدين يوسف
ابن أيوب . قال أبو الحسن الشرابى: و لما بلغ هذا الخبر بغداد لم ير أحد
أن يطالع به الخليفة المطيع لله ، و تلطفت به حتى أعلمته بأن جيش

(١) فى الأصل : دخل . و الأغلب أن الصحيح « حل » كما أوردنا بالنص .
و يستقيم به وزن البيت .

الأخشيدية على الهلاك لأن القرامطة أقبلوا إليهم من جهة شرقهم و جنوبهم ، و المغاربة أقبلت إليهم من جهة الغرب . قال : و قد بلغنا أن جيش ابن طغج على الرملة و وافى[1] المغاربة إلى الرملة ، فقلت يا مولانا ما بقى بينهم و بين المغاربة[2] إلا خمسة مراحل ، قال فاستوى قاعدا ، و قد كان متكئا و قال : فدخلوا إذا الديار المصرية ! قلت : كذا . ٥
فخرج[3] من الحديث فأرسل حينئذ إلى عز الدولة بختيار بن نويه يسأله عن ذلك . فقال : أحسن الله عزاء[4] أمير المؤمنين فى الديار المصرية ، و ما أروّع سمع مولانا أمير المؤمنين بهذا لو لا ما سأل عنه ، لكن المطلوب بقاء أمير المؤمنين و بحضرته من اللبوس و العدد و الرجال ما يقضى إن شاء الله تعالى بفتحها و بفتح غيرها إلى البحر الأخضر . قال فلما ١٠
رجعت له الرسالة قال : هذا يسمع الخاطر بتعليله عن الديار المصرية . و قد أمر الخليفة المقتدر[5] ، أن[6]) يجهز لها المستجاس و الدنيا حينئذ بيده و قاسى عليها حتى امتلأت منه التواريخ و نحن الآن و قد أخذت منا مصر و ليس فى حكمنا إلا هذا القصر الذى نحن فيه و الشيعة قد كثرت فى الأقطار من حين رجوع مصر ، ثم قال : اعلم أن بنى نويه شيعة ، ١٥

---

(١) فى الأصل : و وافا .
(٢) الكلمة مكررة بالأصل .
(٣) فى الأصل : يخرج . و أغلب الظن أنها خطأ قلمى .
(٤) فى الأصل : عزى .
(٥) الخليفة العباسى و حكمه ٢٩٥ — ٣٢٠ هـ = ٩٠٨ — ٩٣٢ م .
(٦) ناقصة بالأصل و لزومها واضح للسياق .

و هم أول من يشمت بذهاب مصر و الجزيرة و الشام فى أيدى بنى حمدان
و هم شيعة ، و قد ذهب منهم أهل الوفا و المنا كناصر الدولة و سيف
الدولة ، و بقى شبان أعمار لا يعرفون ودا ، و لا يحفظون عهدا ، و كأنا
بهم و قد صاروا مع ابن ديصان - يعنى المعز - فكان كما قدره . و سيأتى
٥ خبر العبيديين المدعين أنهم فاطميون ، و ليس كذلك بل نسبتهم
إلى ديصان .

نعود - و كان أحمد بن طولون فى دولته عمرّ الجامع المعروف به فى
مكان يعرف بيشكر بين مصر و القاهرة بسبب رجل صالح ، فكان فى
المكان ، فحين وصل المعز إلى مصر أمر بأن يؤذّن على جامع عمرو
١٠ ابن العاص و جامع ابن طولون بحى على خير العمل ، فاستدام ذلك فى
الأذان إلى حين انقضاء دولة العبيديين فى سنة سبع و ستين و خمسمائة ،
فانقرض حينئذ ذكر حى على خير العمل بانقراض دولتهم ، أبطل ذلك
السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب ، و أمر بالدعاء على
المنابر لخلفاء بنى العباس كما كانت أولا بالديار المصرية و الشامية .
١٥ و سبب تسمية القاهرة بالقاهرة لغلبة العبيديين الشيعيين على بنى العباس
بأخذهم مصر منهم و قهرهم لهم عليها ، فقالوا نسميها القاهرة لقهرنا لهم .
و تسمت العبيديون المذكورون بالفاطميين ، و ادعوا أنهم من ذرية فاطمة
[بنت[1]] النبى صلى الله عليه و سلم . و لما ولى المعز ملك مصر قال

---

(١) الكلمة ساقطة من الأصل ، و لزومها واضح من السياق .

أبو القاسم محمد بن هانئ الشيعي قصيدته[1] التي أولها .

تقول بنو[2] العباس هل[3] فتحت مصر فقل لبـني العباس قضى الأمر
و قد جاوز الإسكندريـة جوهر تطالعه البشرى و يقدمه النصر
/[4]و قد أوفدت مصر إليه وفودها[4] و زيد إلى المعقود من جسرها جسر [بن١٦١:ب]
فما جاء هذا اليوم إلا و قد غدت و أيديكما منها و من غيرها صفر ٥
فلا تكثروا ذكر الزمان الذي خلا فذلك[5] عصر قد تقضّى و ذا عصر
أفي الجيش كنتم تمترون[6] رويدكم فهذا القنا[7] العراص والجحفل المَجْر[7]

---

(١) و ردت القصيدة في طبعات ديوان ابن هاني و أقدمها طبعة بيروت ١٣٢٦ هـ=١٩٠٨ م ، ثم طبعة زاهد على تحت عنوان تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني في القاهرة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م ، و أحدثها نشرة كرم البستاني بعنوان ديوان ابن هاني الأندلسي في بيروت (دار صادر) ١٩٥٢ م . و قد صححنا النص على هذه الأخيرة كما أدخلنا بالحواشي بعض ما اسقطه الناسخ من الآبيات نظرا لأهمية هذه القصيدة التاريخية و هي طويلة .

(٢) في الأصل : بنوا .

(٣) في الأصل : قد . و صححه في الديوان (كرم البستاني) ص ١٣١ .

(٤ - ٤) كذا في ديوان ابن هاني ص ١٢١ . و في الأصل : و قد وفدت إليه وفودها

(٥) في الأصل : فذاك . وصححتها بالديوان ص ١٢١ .

(٦) في الأصل : تمرون . و صححتها من الديوان ص ١٢١ .

(٧-٧) في الأصل . العراض . و بقية البيت مطموس ، فأكلناه من الديوان ص ١٢١ . و يتلو هذا البيت بيت ساقط من الأصل و هو الآتي :

و قد أشرفت خيل الإله طوالعا على الدين و الدنيا كما طلع الفجر

و ذا ابن نبي الله يطلب وِتْره و كان حَرٍّ [1] أن لا يضيع له وتر

ذروا الوِرد فى ماء الفرات لخيله فلا الضَّحْل [2] منه تمنعون و لا الغمر

أفى الشمس شك أنها الشمس بعد ما تجلّت عيانا ليس من دونها سِتر

و ما هى إلا آيــة بعــد آية و نذر لكم إن كان يغنيكم النذر [3]

٥ أطيعوا إماما للائمـة فاضـلا كما كانت الأعمال يفضلها البر

رِدُوا ساقيا لا تنزفون [4] حياضه جموما [5] كما لا تنزف الأبحر الذّرّ

فـان تتبعـوه فهو مولاكم الذى لــه برسول الله دونكم الفخر

[6] و إلا فبعـدا للبعيـد [6] فبينه و بينكم مـا لا يقرّبـه الدهـر

أفى ابن أبى السبطين أم فى طليقكم [7] تنزلت الآيات و السور الغر ؟

---

(١) فى الأصل : حرا .

(٢) فى الأصل : الضحك . و صححته من الديوان ص ١٣٢ .

(٣) المقصود بكلمة « النذر » الإنذار و يلى هذا البيت فى القصيدة آخر ساقط من النص (انظر الديوان ص ١٣٢) :

فكونوا حصيدا خامدين أو ارعووا إلى ملك فى كفه الموت و النشر

(٤) فى الأصل : يعرفون . _ وصححته من الديوان ص ١٣٢ .

(٥) فى الأصل : جموحا . _ و صححته بالديوان ص ١٣٢ . و الجموم الكثير الماء، و الذر صغار النمل .

(٦-٦) الشطر مطموس أغلبه فى الأصل ، و قد أخذناه عن الديوان ص ١٣٢ .

(٧) فى الأصل : طليعتكم. و صححته من الديوان ص ١٣٢ . و المقصود بابن أبى السبطين علی بن أبى طالب و الطليق هو عباس بن عبد المطلب أصل العباسيين .

بنى نَتْلَةَ ما أورث الله نَتْلَة[1] — و ما نسلت[2] هل يستوى العبد والحر؟
و أنى بهذا و هى أعدّت برِقّها — أباكم فاياكم و دعوى هى الكفر
ذروا الناس ردوهم إلى من يسوسهم — فما لكم فى الأمر عُرف و لا نُكر
أسرتم قروما بالعراق أعزّة — فقد فكّ من أعناقهم[3] ذلك الأسر
و قد بزّكم أيامكم عُصَب الهدى — و أنصار دين الله و البيض و السمر ٥
[4]و مقتبل أيامه متهلل[4] — إليه[5] الشباب الغضّ و الزمن النّضر
أدار كما شاء الورى و تحيّزت — على السبعة الأفلاك أنمله العشر
أتدرون من أزكى البرية منصبا — و أفضلها إن عُدّد البدو و الحضر؟
تعالوا إلى حكام[6] كل قبيلة — ففى الأرض أقيال و أندية زهر
و لا تعدلوا بالصيد من آل هاشم — و لا تتركوا فِهرا[7] و ما جمعت فهر ١٠
فجيئوا بمن ضمت لؤىّ بن غالب — و جيئوا بمن أدت كنانة و النضر
و لا تذروا عليا معدّ و غيرها — ليُعرف منكم من له الحق و الأمر

(١ – ١) فى الأصل : فى نسله ما أورد الله مثله . – و التصحيح من الديوان ص ١٣٢ . و المقصود ببنى نتلة أم عباس بنت جناب بن كليب .
(٢) الكلمة غير واضحة بالأصل فأخذناها عن الديوان ص ١٣٢ .
(٣) فى الأصل : أعناقها .
(٤–٤) هذا الشطر مختبل بالأصل فأخذناه عن الديوان ص ١٣٣ .
(٥) ساقطة من الأصل و واردة بالديوان .
(٦) فى الأصل : أحاكم . و صححته بالديوان ص ١٣٣ .
(٧) فهر قبيلة من أصول قريش .

١و من عَجَب أن اللسان جرى لهم ... بذكرعلى حين انقضوا و انقضى الذكر١

فبادوا و عفىّ٢ الله آثار ملكهم ... فلا خبر يلقاك عنهم و لا مُخبر

ألا تلكم الأرض العريضة أصبحت ... ٣ولا لبنى العباس من عرضها شبر٣

فقد دانت٤ الدنيا لآل محمــد ... و قد جرَّرَتْ أذيالها الدولة البكر٥

٥ ورد حقوق الطالبيين من زكت ... صنائعه فى آله و زكا الذخـــر

معزّ الهدى و الدين و الرَّحم التى ... به اتصلت أسبابها و له الشكر٦

٧من انتاشهم فى كل شرق و مغرب٧ ... فـبُدّل أمنا ذلك الخوف و الذعر٨

٩فـكل إمـامى يجئ كـأنمـا ... على يده الشعرى و فى وجهه البدر

(١ - ١) البيت ساقط من الأصل و وارد بالقصيدة فى الديوان ص١٣٣ وإيراده بالنص لازم لأحكام السياق .

(٢) فى الأصل : و عفا .

(٣-٣) بالديوان ص١٣٣ : وما لبنى العباس فى عرضها فتر . و كلا الشطرين جائز .

(٤) بالديوان : دالت .

(٥) كذا بالديوان ، و فى الأصل : الغر .

(٦) ورد هذا البيت فى غير موضعه بالأصل فنقلناه إلى هنا عن القصيدة بالديوان .

(٧ - ٧) بهذا الشطر خبل فأخذناه عن الديوان ص ١٣٤ .

(٨) كذا بالديوان ، و الكلمة فى الأصل : و الدهر .

(٩) اختلطت الأبيات التالية فى النص ، فآثرنا إعادة تنظيمها على أساس أصل القصيدة بالديوان ص ١٣٤ - ١٣٥ . مع إضافة بيتين فى موضعهما حتى يكتمل تسلسل المعنى .

و لما تولت دولة النُّصْبِ عنهم ... تولى العمى و الجهل و اللوم و الغدر
حقوق أتت من دونها أعْصُر خلتْ ... فما ردها دهر عليهم و لا عصر
فجُرِّد[1] ذو التاج المقادير دونها ... كما جُرِّدَتْ بيض مضاربها حمر
فأنقذها من برثن الدهر بعد ما ... [2]تواكلها القرْس المَنَيِّب والهِصْر[2]
فأجرى على ما أنزل الله قسمها ... فلم يُتَخَرَّمْ منه قُلٌّ و لا كُثْر[3] ٥
فدونكموها [4]أهل بيت[4] محمد ... صَفَتْ بمعز الدين جمّاتها[5] الكُدْر
فقد صارت الدنيا اليكم مصيرها ... و صار له الحمد المضاعف و الشكر[3]
إمام رأيت الدين مرتبطا به ... فطاعته فوز و عصيانه خسر
[6]أرى مدحه كالمدح لله أنه[6] ... قنوت و تسبيح يحط به الوزر[7]

[بن ١٦١ : ب] و هي طويلة مذكورة بديوان أبي القاسم محمد بن هانئ ١٠ الأزدي. و لما مات أبو القاسم بن هانئ المذكور حزن عليه المعز حزنا شديدا و قال: مات رجل كنا نفاخر به أهل المشرق ...[8] بمصر قائد جيوشها عشرين سنة إلى أن قتله الحاكم العبيدي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) في بن : بجر .
(٢ - ٢) في الأصل : توكلها الفرش المبين و الهصر . - و الصواب ما أوردناه عن الديوان ص ١٣٤ .
(٣) البيت ساقط من الأصل ، فأخذناه عن الديوان ص ١٣٤ .
(٤ - ٤) في الأصل : جيت آل - و المقصود « بيت آل » .
(٥) في بن : أمواهها .
(٦ - ٦) في الأصل : أرى مدحه من طاعة الله أنه - و قد أخذنا النص عن الديوان ص ١٣٥ .
(٧) و للقصيدة بقية طويلة في خمسة و خمسين بيتا. انظر الديوان ص ١٣٥ - ١٣٩ .
(٨) بياض بالأصل .

و كان[1] العبيديون أولهم أبو محمد عبد الله المهــدى[2] الذى عمّر المهدية بأرض المغرب على ساحل البحر ، و هى مدينة حصينة ليس للفرنج عليها سبيل لحصانتها . و مولده ببغداد سنة ستين و ما ئتين ، و وصل إلى مصر فى ذى الحجة سنة تسع و ثمانين و ما ئتين ، و غدا إلى المغرب تسلطن به ، ثم تسلطن بعده أبو القاسم محمد القائم بأمر الله[3] ، ثم أبو محد إسمعيل المنصور بالله[4] ، ثم أبو تميم معد المعز لدين الله[5] إسمعيل المصور ، و هو الذى أتى من المغرب إلى مصر و عمّر له القاهرة جوهر القائد ، و قيل بينما المعز مارا فى موكبه ظاهر القاهرة و إذا بامر (أ) ة[6] استقبلته بيدها طار تطبل به و تقول: [7]يا بنى العباس ردوا ملك الدنيا معد ، إنها الدنيا عوادى و العوادى ترد[7] . فأعجب المعز قولها بحنين صوتها و تك . . .[8] لهذين البيتين اللذين لاقا بخاطره ، فقال : تعطى هذه الطبالة هذه الأرض إلى حيث انقطاع حس طبلها . فأعطيتها فسميت أرض الطبالة إلى الآن . و هذه لغة المغاربة يقولون للرجل الضارب للطبل طبال و للمرأة الضاربة بالطار طبالة .

(١) فى الأصل : كانت .
(٢) و سلطنته فى المهدية ٢٩٧ – ٣٢٢ هـ = ٩٠٩ – ٩٣٤ م .
(٣) حكمه ٣٢٢ – ٣٣٤ هـ = ٩٣٤ – ٩٤٥ م .
(٤) حكمه ٣٣٤ – ٣٤١ هـ = ٩٤٥ – ٩٥٢ م .
(٥) حكمه ٣٤١ – ٣٦٥ هـ = ٩٥٢ – ٩٧٦ م .
(٦) فى الأصل : بامرة .
(٧ – ٧) آثرنا استرسال هذين البيتين فى النص لعدم استقامة ميزان الشعر فيهما.
(٨) الكلمة مطموسة جزئيا و لم نستطع حلها فى السياق .

وكان المعز المذكور خرج بأهله و حاشيته و جنوده من مدينة المنصور من أرض المغرب قاصدا الديار المصرية بعد ما مهد له غلامه جوهر القائد أمرها ، و بنى له القصرين ، فاستخلف المعز على بلاد المغرب و نواحيها و صقلية و أعمالها نوابا[1] من حزبه و أنصاره من أهل تلك البلاد . و دخل المعز إلى الديار المصرية و صحبته توابيت آبائه ، فوصل ٥ إلى الإسكندرية و قد تلقاه أعيان مصر إليها ، فخطب الناس خطبة بليغة ذكر فيها فضلهم و شرفهم و أن الله تعالى أغاث الرعايا بهم و بدولتهم ، وكان إلى جنبه قاضى مصر فقال له : هل رأيت خليفة أفضل منى ؟ فقال: لم أر من الخلفاء سوى أمير المؤمنين . فقال له : أحججت ؟ قال : نعم ! قال : زرت قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ قال : نعم ! قال : ١٠ و قبر أبى بكر و عمر ؟ قال القاضى : فتحيرت ما أقول لأن المعز شيعى المذهب يبغضهما ، ثم نظرت فاذا ابنه قائم مع كبار الأمراء فقلت : أشغلنى عنهما زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم كما أشغلنى أمير المؤمنين عن السلام على ولده و ولى العهد من بعده و نهضت إلى ولده فسلمت عليه و رجعت ، فانفسخ المجلس إلى غيره ، و ذلك أن ١٥ العبيديين الزاعمين أنهم فاطميون كانوا شيعة تقولون فى أذانهم بعد الحيعلتين[2] حى على خير العمل ، يقولونها مرتين كما تقولها الزيدية فى أذانهم بمكة و المدينة فى غير أيام الحج وكذلك بصعدة أيضا و غيرها

---

(١) فى الأصل : و نوابا .

(٢) المراد بحيعلتين «حى على الصلاة» و «حى على الفلاح» من كلمات الأذان .

من أرض اليمن، و لهم مذهب خامس غير المذاهب الاربعة، و هم يبغضون أبا بكر و عمر رضى الله تعالى عنهما - انتهى .

نعود إلى ذكر بعض أخبار المعز، و ذلك أنه لما وصل إلى الإسكندرية تلقته أكابرها، ثم دخل بها الحمار[1]، و سار من الإسكندرية
٥ إلى مصر فنزل بالقصرين، فيقال إن أول دخوله موضع ملكه خرّ [بن ١٦٢ : الف] ساجدا لله تعالى . ثم كان أول حكومة حكم فيها أنه تقدمت إليه امرأة محمد الإخشيد فذكرت له أنها كانت أودعت رجلا من اليهود قبا من لؤلؤ منسوج بالذهب مكلل بأصناف الجواهر فى جرة نحاس حين زال ملكهم و أنه جحد ذلك . فاستحضره و قرره، فجحد
١٠ اليهودى ذلك و أنكره، فأمر عند ذلك المعز بأن تحفر داره و يستخرج ما فيها، فوجدوا القبا فى الجرة مدفونا . فسلمه المعز إليها . فقدمته المرأة إليه و قالت : ما بقى هذا يصلح لمثلى و إنما يصلح لخطاياك . فأبى[2] أن يقبله منها، و قالت : أنت أحق به فاستحسن ذلك منها[3]، و أخذته المرأة و انصرفت . فكانت خلافته سنتين و ستة أشهر[4] .
١٥ و ولى ملك مصر بعد المعز ولده العزيز لدين الله نزار، و كان يحب اللعب بالحمام، و كان وزيره يعقوب بن كلس، و إليه تنسب الحارة

---

(١) كذا فى الأصل، فاذا ادخلنا النقط على الحاء أصبحت الكلمة « الخمار » و هو جائز .

(٢) فى الأصل : فأبا .

(٣) فى الأصل : منه .

(٤) كذا فى الأصل، و التاريخ هنا لا يتفق و التواريخ المعروفة المعتمدة حتى إذا اعتبرنا أن ما ذكره النويرى قاصر على خلافة المعز بمصر فحسب .

المعروفة بالوزيرية و بساتين الوزير . فكان العزيز له مقاصير حمامات و لوزيره كذلك ، فقال العزيز لوزيره المذكور : أريد المسابقة بحمامى و حمامك . فتسابقا فغلب حمام الوزير حمام العزيز ، فغضب العزيز و شق عليه ذلك ، فخاف الوزير على نفسه منه ، فأنشد يقول :

قل لأمير المؤمنين الذى   له العلا و النسب الثاقب   ٥
طائرك السابق لكنه   لم يأت إلا وله حاجب

فحينئذ سر بمقالته و رضى .

و ولى ملك مصر بعد العزيز بن المعتز منصور الملقب بالحاكم ، و هو الذى بنى جامع الحاكم بالقاهرة ، فحول إليه الجمعة ، و ترك الجامع الأزهر ، فلم تكن تقام فيه الجمعة من حين بنى الحاكم جامعه الذى هو ١٠ بين بابى الفتوح و النصر إلى زمن دولة الملك الظاهر بيبرس كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . وكان الحاكم المذكور منع النساء فى دولته من الخروج من المنازل ، و أن لا يتطلعن من الأسطحة و الطاقات ، و منع الخفّافين من عمل الأخفاف لهن ، و من الخروج إلى الحمامات ، و قتل خلقا من النساء على مخالفته فى ذلك ، و هدم بعض الحمامات عليهن ، ١٥ و جهز عجائز كثيرة تطفن فى البيوت يستعلمن أحوال النساء ممن تعشق أو يعشق بأسمائهن و أسماء من يتعرضن له ، و أكثر من الدوران فى الليل بالبلد ، و أحرق بيوت من يطلع على فسقه من الرجال و النساء ، فطاق النطاق على الفُسّاق ، و لم يتمكن أحد منهم أن يصل إلى أحد

إلا نادرا ، حتى أن امرأة نادت قاضي قضاة مصر ، هو مالك بن سعيد
الفارقي ، و حلفت بحق أمير المؤمنين الحاكم الأمان[1] ، وقف لها و استمع
كلامها ، فوقف لها فبكت بكاء شديدا و قالت : إن لي أخا ليس لي غيره
و هو في سياق الموت ، و أنا أسألك الأمان[1] وصلتي[2] إلى منزله لأنظر
٥ إليه قبل أن يفارق الدنيا . فرق لها القاضي رقة شديدة ، و أمر رجلين
معه أن يكونا معها حتى يبلغاها إلى المنزل الذي تريده ، فأغلقت بابها
و أعطت المفتاح جارتها ، و ذهبت حتى وصلت مع الرجلين إلى منزل رجل
تهواه و يهواها ، فأخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضي و أعجبه ، و جاء
زوجها من آخر النهار فوجد باب داره مغلقا ، فسأل عن زوجته ،
١٠ فذكر له ما صنعت ، فاستغاث على القاضي و ذهب إليه و قال . ما أريد
زوجتي إلا منك ، فانها ليس لها أخ بالكلية ، و إنها ذهبت إلى عشيقها .
فخاف القاضي من معرة هذا الأمر ، فركب إلى الحاكم و بكى[3] لديه ،
فسأله عن شأنه ، فأخبره بما اتفق له من الأمر . فأرسل الحاكم مع
الرجلين اللذين وصلاها من يحضر الرجل و المرأة جميعا على أي حال
١٥ كانا عليه ، فكسروا الباب ، [ن ١٦٢ : ب] فدخلوا فوجدوهما[4] متعانقين
سكارى ، فحملوهما إلى الحاكم . فسألهما الحاكم فأخذا يعتذران بما لا يجدي

(١) في الأصل : الاما . . و التركيب في الجملة إذا تركنا الأصل على ما هو عليه غريب ، و اعتقادنا أن بعض الحروف ساقطة من الكلمة و هي « الأمان » فأبرزناها كما في النص .
(٢) في الأصل : وصلتني . و أغلب الظن أن المرأة طلبت من القاضي الأمان و توصيلها لأخيها . (٣) في الأصل : و بكا . (٤) في الأصل : فوجدها .

شيئا

شيئا، فأمر بتحريق[1] المرأة بالنار فحرقت، وضرب الرجل بالسياط ضربا مبرحا، وازداد احتياط الحاكم العبيدى على النساء إلى أن مات.
وكان أمير المؤمنين الحاكم قد عدم، فاستبشر المسلمون بذلك لأنه كان جبارا عنيدا، شيطانا مريدا، وكان كثير التلون فى أفعاله وأقواله. وكان يروم أن يدّعى الإلهية كما ادعاها فرعون، لأنه كان أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على ٥ المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفا إعظاما لذكره، واحتراما لاسمه. فكان يفعل هذا فى سائر ممالكه حتى فى الحرمين الشريفين. وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خروا سجدا حتى أنه يسجد بسجودهم كل من فى الأسواق. وفعل أشياء قبيحة تركت ذكرها لشناعتها. قال ...[2] فى تاريخه أن الحاكم العبيدى كفر كفرا لم يكفره فرعون. ومات مقتولا، ١٠ وصفة قتله أنه اتهم أخته [3]ست الملك[3] بالفاحشة وأسمعها غليظ الكلام، فتبرمت منه، عملت على قتله وأرسلت إلى أكبر الأمراء الذى يقال له ابن دواس، فتوافقت هى وإياه على قتله، فجهز من عنده عبدين أسودين وقال لهما: إذا كان الليلة الفلانية فكونا بالجبل المقطم، ففى تلك الليلة يكون الحاكم هناك فى الليل لينظر فى النجوم، وليس معه إلا ركابى وصبى ١٥

(١) فى الأصل: بتحقيق. والكلمة مصححة بنفس القلم إلى تحريق.
(٢) قراءة الاسم هنا أشكلت فالكلمة غير منقوطة وجائز قراءتها «احيان» أو «احسان» أو «اختان» وكل هذه القراءات لا تدل على من يمكن متابعته بين مؤرخى الدولة الفاطمية فتركنا المكان بياضا.
(٣ - ٣) فى الأصل: سب الملوك. وهو تحريف لاسم أخت الحاكم بأمر الله، وقصتها معروفة وكذلك اسمها.

فاقتلاه و اقتلاهما معه ، و اتفق الحال على ذلك . فلما كانت تلك الليلة
قال الحاكم لأمه : إن فى هذه الليلة علىّ قطعا[1] ، و إن نجوت منه عمرت
أكثر من ثمانين سنة ، و مع هذا فانقلى إليك حواصلى ، فانى أخاف
ما أخاف من أختى . فنقل حواصله إلى أمه ، وكان له فى صناديقه قريب
٥ من ثلاثمائة ألف دينار و جواهر أخر . فقالت له أمه : إذا كان الأمر
كما تقول ، فارحمنى و لا تركب فى ليلتك هذه إلى موضع . فكانت من
كاشفه[2] أن يَدور حول الفصر كل ليلة . فدار ثم عاد فنام إلى قريب
من ثلث الليل الأخير ، و قال : إن لم أركب الليلة فأمنت نفسى ، فركب
فرسا فصحبه صبى و الركابى ، و صعد إلى الجبل المقطم . فاستقبله ذلك
١٠ العبدان ، فأنزلاه عن مركوبه و قطعا يديه[3] و رجليه و بقرا بطنه و أتيا به
مولاهما الأمير ابن دواس ، فحمله إلى أخته ، فدفنته فى مجلس دارها .
و بايع بعده أبا الحسن على و لقبه بالظاهر . و لما بنى الحاكم الجامع المنسوب
إليه بالقاهرة ، بنى[4] فيه دار العلم ، و أجلس فيها الفقهاء ، ثم بعد ثلاث
سنين من بنائها أهدمها ، و قتل خلقا كثيرا ممن كان بها من الفقهاء و المحدثين
١٥ و أهل الديانة ، و كان يأمر بأن يكتب على حيطان المساجد السب
للصحابة ، ثم يأمر بعد مدة بمحوها . و كان يأمر بجمع الأعناب توضع

(١) فى الأصل : قطع.
(٢) كذا فى الأصل كما أمكننا قراءتها مصححة و مطموسة جزئيا ، و تركيب الجملة كما هو فى الأصل غير محكم و لكن المدلول واضح على كل حال .
(٣) فى الأصل : يده .
(٤) فى الأصل : بنا .

على شاطئ النيل و تداس بالبقر فيسيل ماؤها فيه . و كان يمنع الناس من أكل الملوخية ١ و لحوم البقر ١ . و كانت أحكامه متناقضة ، يأمر بالشيء ثم يمنع منه. و كان يأمر بهدم الكنائس التى لليهود و النصارى فتهدم، ثم يأمر بعد مدة ببنائها فتبنى[2]. و له سير غير مرضية لو استقصيتها لرأيت العجائب. منها أنه قال لكتّابه : كم ادّعى لنا الإلهية فى دفترك من رجل؟ ٥ قال ستة عشر ألف نفر . [بن ١٦٣ : الف] و سلط على أهل مصر عبيده، فصاروا ٣ يؤذونهم و يهجمون٣ (على[4]) دورهم حتى اجتمعوا و قالوا له : إن كان أمير المؤمنين (يأمر[4]) بالرحيل من مصر ارتحلنا، و وطئ عبد من عبيده امرأة رجل من أكابر أهل مصر غصبا ، فقتلت نفسها من فضيحتها من زوجها و أهلها . وكان جماعة من أهل مصر عملوا صورة امرأة من ١٠ أقفاص ، و يزروها بإزار ، و نقبوها بنقاب ، بيدها قصة كأنها متظلمة ، و أوقفوها على طريق يمره ، فلما اجتاز بها قال : آتونى بقصة هذه المرأة. فلما فتحها رأى ما فيها مما سوّد وجهه من ظلمه و شتمه و لعنه . ففحص عن المرأة ، فإذا هى أقفاص صورت ، فعلم أن أهل مصر عملوها . فلذلك سلط عبيده عليهم . و كل ما شكا[5] أهل مصر له يقول : ما أمرتهم ١٥

(١-١) مكررة بالأصل .

(٢) فى الأصل : فتبنا .

(٣-٣) فى الأصل : يوذوهم و يهجموا .

(٤) ساقطة من الأصل و تكتمل الجملة بذكرها .

(٥) فى الأصل : شكى .

بشيء عما ذكرتموه . فلما بلغهم قتله كما تقدم ذكره ، فرح الفرح الكامل بذلك . وكانت خلافته خمسة و عشرين سنة .

و لما ولى ولده الظاهر[1] لإعزاز دين الله ، أقام مدة و مات ، فولى بعده المستنصر[2] لدين الله سنة سبع و ستين ، فأقام فى الملك ستين سنة و عمّر وزيره الأفضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش جامعا بالإسكندرية بالقرب من سوق العطارين . وكان بدر الجمالى مملوكا أرمنيا رباه جمال الدولة ابن عمار . و كان سفاكا للدماء غير مراقب للعواقب . ثم إنه مات على فراشه غير قتيل . و كان ولده[3] الأفضل بن بدر الجمالى وزيرا للمستعلى على الديار المصرية و هو الملقب تاج الملك . فحصل له من الأموال و الذخائر ما لم يسمع بمثله . قيل إنه كان له بقصره عشرة[4] مجالس ، فى كل مجلس عشرة[4] مسامير من ذهب ، زنة كل مسمار مائة مثقال ، برسم تعليق عمائمه و بُقجه . و كان عنده [5]صندوقان ملآنان[5] أبر ذهب برسم عصائب حريمه و جواريه . و كان[6] من جملة غلاله من يبيع ابن ماشيته فى كل يوم بعشرة آلاف درهم . و كان له من الأموال ما لا تحصرة الأقلام . و كان حسن الرأى، فحل التدبير، و لم يكن له قصد فى سفك الدم . فقتلته طائفة من الإسماعيلية الملحدة . قال ابن الهبّاريه فى كتابه المعروف

(١) خلافته ٤١١ - ٤٢٧ هـ = ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م .
(٢) خلافته ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ = ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م .
(٣) فى الأصل : ولده . و هو خطأ قلمى واضح .
(٤) فى الأصل : عشر .
(٥-٥) فى الأصل : صندوقين ملانين .
(٦) فى الأصل : كانت .

بالصادح

بالصادح و الباغم و الحازم و العازم و النـاسك و الفاتك فى بدر الجمالى
و الأفضل ولده : كان بمصر بدر له عليها الأمر بقتل كل ساعة من أهلها
جماعة و يشرب الدماء حتى يخال ما أصلحها بسيفه و جوره و حيفه جزاء
كل فعل لديه سوء القتل لما عصاه ولده . و بان منه نـكده خنقه بيده
ثم رمى بجسده . ثم غزا .. (١) حماته ، لحين قيد الأسرى قال : اقتلوهم ٥
صبرا عشرون ألفا كانوا حتى جرى الميدان فى النيل من دمائهم ، و لج
فى إفنائهم و هو على ظهر الفرس كضيغم إذا افترس . و مات حتف
أنفه لم يعتسف بعسفه . و التاج تاج الملك كان قليل الفتك حرا قليل
النفس كملك فى القدس مهذب الشمائل، مقدس الخصائل، موطؤ الأكتاف،
ليس بذى اعتساف . ما سل قط سيفا و لا استجاز حتفا ، مهذب السيرة ١٠
أعدل وال سيرة ، لا يعرف القساوة ، ليس(٢) له تفرق فى المام من شرطة
الحجام ، يرحم من يقصد لشىء . لا يقصد برفقه ...(٣) و قتل المسكين
و أيما قَتَل قتيل فصل منه ما وصل، ليعلم اللبيب أن القضاء عجيب، و أن
للقصاص يوما [ن ١٦٣ : ب] يسوء العاصى ، و أمر هذى الدار للاعتبار
جار(٤) ، ليس له جزاء لـكنه ابتلاء . ١٥

(١) مكان هـذا البياض بالأصل كلمتان أو ثلاثة يصعب استيضاحها فى سياق العبارة ، و من المحتمل قراءتها : لميراثه إذ ظن . ـ و بالكلام فى هذا القسم ركاكة فى التركيب و غموض فى المعنى .
(٢) فى الأصل : ليست .
(٣) هنا أيضا كلمة لا تقرأ تركنا مكانها بياضا و السياق مفهوم .
(٤) فى الأصل : جارى .

و الأفضل هذا هو الذى بنى الجامع بالإسكندرية ، فصار بها جامعان[1]
جامع غربى و جامع شرقى ، و الغربى هو العتيق ، و كان موضعه دير
للروم ، فزاد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الآتى ذكره فيه
زيادة كبيرة . و أهل الإسكندرية يحبون السعى إليه و الصلاة فيه .
٥ و الجامع الشرقى هو الجديد ، و هو القريب من سوق العطارين ، و كان
الفراغ من عمارة بدر الجمالى له فى سنة ست و سبعين و أربعمائة ،
و هو المعروف بالإسكندرية بالجامع الجيوشى ، و كان بانيه المذكور من
الشيعة الذين يقولون فى أذانهم حى على خير العمل ، فدام ذلك فى
الأذان بالجامع المذكور إلى أن انقرضت دولة العبيديين الشيعيين ،
١٠ و أقبلت دولة السنيين ، فأبطلوا منه ما كانت الشيعة تقوله فى أذانهم ،
ثم بطلت الخطبة و الجمعة منه و استمرت بالجامع الغربى مدة سنين .
فلم تزل كذلك إلى أن ولى قضاء الإسكندرية فخر الدين أحمد بن مسكين
الشافعى عوضا عن المالكية لأمور يطول شرحها ، و ذلك فى دولة
السلطان الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، فأقام به الخطبة و الجمعة
١٥ فاستمرت به إلى الآن .

و فى معنى ما كانت الشيعة تقول فى أذانهم من قولهم حى على
خير العمل نظم الشيخ الفاضل بهاء الدين عبد الله بن تاج الدين محمد
الدمامينى فى شاب جميل رافضى أبياتا و هى :

ما سلّ سيف لحظه إلا قتل   و طرفه أنفذ من وقع الأسل

(١) فى الأصل : جامعين .

فارس حسن لا يبالى أن سطا بلحظـــه فى دهره بمن حمل

قلت و قـــد فـــرق حاجبـاه لى ما أضعف القوس و أقوى البطل

مـــذهب الرفض فما أحسبــــه ينفر من حى على خـــير العمل

و فى ربيع الأول من سنة اثنتين و سبعين و سبعمائة ولى معين الدين محمد ابن الشيخ بهاء الدين عبدالله المذكور نظر الإسكندريـــة ، فشرع فى ترميم الجامع الغربى بها فرمّه و جدد بياضه ، فشكر على ذلك و صار له به تذكار على ممر الدهر بما نقش على الرخامة التى فيهـا تاريخ ذلك و اسمه أيضا بأعلى بابـــه الشرقى و القبلى من أبواب الجامع ، و كانت الرخامة مزخرفـــة بالذهب و اللازورد . تم[1] فى سنة ست و سبعين و سبعمائة ، و سيأتى سبب قلعها و بياض مكانها إن شاء الله تعالى .

و لما كان فى وقت العصر من يوم الثلاثاء الحادى عشر من ذى القعدة سنـة اثنتين و سبعين و سبعمائـة سقط عمود من الجامع الشرقى فتكسر قطعا ، و لم يحصل بوقوعه لأحد ضرر . و كان ناظره إذ ذاك قاضى القضاة كمال الدين ابن قاضى القضـاة جمال الدين ابن قاضى القضاة شمس الدين سبط النبى[2] ، فقال الشيخ بهاء الدين عبـــد الله والد الناظر المذكور فى تجديد والده معين الدين محمد فى بياض الجامع الغربى و سقوط العمود من الجامع الشرقى :

بين ٣٠٠٠٠ هما الجامع الشرقى صنع محمد

بجـامعنـا الغـربى لمـا تـضعـضعـا

---

(١) فى الأصل قراءة الكلمة أقرب إلى « تم » و لكن السياق يقتضى « تم » .
(٢) كذا ظهرت بالأصل و لو أنها مشكوكة فى قراءتها .
(٣) كلمة أو بعض كلمة مطموسة .

تميز غيظا و استشاط تنمراً

وخر [١]عمود غيره[١] فتقطعا

فقلع قاضى القضاة كمال الدين عمودا من الجانب البحرى من الجامع المذكور و وضعه مكان العمود الساقط ، و أخذ عمودا من فندق الموز[٢]

٥ الذى بشارع المرجانيين المنهدم [بن ١٦٤ : الف] بعمل الفرنج حين الوقعة و وضعه مكان العمود بسرعة . ثم أن الشيخ الفاضل شهاب الدين أحمد سليل الشيخ الصالح أبى العباس أحمد الشهير بالشاطر الدمنهورى لما بلغه [٣]البيتان المذكوران[٣] نظم ثلاثة أبيات ردا على قائلهما فقال :

أنزّه بيت الله عن قول من هجا | لجامعنا الشرقى تدعدعا

١٠ أيزعم جهلا أنه اغتاظ إذ رأى | أخاه بأبواب البياض تلمعا

و حاشا من غيظ به غير أنه | من الذكر أضحى خاشعا متصدعا

فلما وقف الشيخ بهاء الدين عبد الله عليها أجابه بأبيات و هى :

أيضحك أم يبكى من الحزن جامع | به الدين و الذكر المبين تجمعا

و لم لا نبكيه و نبكى تأسفا | و صوّت فيه البوم جهرا و رجعا

(١ – ١) فى الأصل تصحيح جائز أن يكون بنفس القلم دون شطب : عموده غبطا – و الغالب أن الكلمة الثانية « غيظا » لكن الوزن يقتضى استعمال الأصل الغير المصحح

(٢) و ربما كانت الكلمة « الموزة » .

(٣ – ٣) فى الأصل : البيتين المذكورين – بدون نقط .

و عمه

و عممه جيش البـــلاد و اميره[1] مدا[2] الدهر حزنا بالسواد تبرقعا
تـهـدم منـه بعضـــه بجميـه على الـكل يبكى حسرة و تفجعا
فمن يك[3] هذا وصفه و صفاته أ يفرح أم يبدى أسى و توجعا
و لم أتخذ عجزا سوى أن مقصدى أ ذكر جهدى أو أصادف موقعا
و قصدى بـه و الله يـعلم أننى أريد بـه خيرا و صـاحبه معا ٥
فكيف و إنى بـاعتذارك حاطنا يخفّض جهلا حـا له الله يرفعا
و كيف بـه و الأفضلية فرّقت مكانيهما شخصا و ذاتا و موضعا
فأنت بنـا تبـــدى و عيشك عالم و ذلك يـا منقذى بعلم تشيعا
و أنى لك الذكرى و لو شاء مقولى لشرمط أوصال العريض و قطّعا[4]
و لـكنّ تقوى الله عن ذا تصدنى و شيمة إيمـانى و راعيت مارعا ١٠
و حسبك أن تثنى عنـانك مقلعـا و إلا فاتنى عنك عنقاء و أجذعا
و حسبك تركى أو أصادف مقتلا و إن ليس للانسان إلا ما سعا

قال المؤلف رحمه الله تعالى: و لما وقفت على الأبيات الأولى و الثانية نظمت

(١) اقرأ الـكلمة « و ميره » يستقيم بها ميزان الشعر .

(٢) فى الأصل : مد .

(٣) فى الأصل : يكن .

(٤) فى الأصل : و بضعا . ـ و لا بد أن تكون الـكلمة « و قطعا » لانسجامها مع كلمة « لشرمط » فى نفس البيت و هى لفظة من العربى المصرى الدارج و تحمل نفس المعنى الذى تؤديه لفظه « و قطعا » و الأبيات فى مجموعها من نوع المناظرة و الأدب الشعبى السكندرى فى القرن الرابع عشر الميلادى .

أياتا فى الجامعين المذكورين ساويت بينهما فى الأفضلية و العمارة و هى :

رأى الجامع الشرقى ترميم جامع بغربى ثغر بالبياض تلفعا
فسر له الشرقى عند سماعه لذاك فأضحى خاشعا متصدعا
٥ فأكرم به من خشية و مسرة لحسن صنيع من معين به سعا
لجرده حتى لقد صار روضة لكل رفيع القدر زال تورعا
و سُرّ به الغربى عند إقامة به لعمود بالعمارة أسرعا
فسُرّ جميعا بالعمارة فيهما فطوبى لمن بالجامعين تركعا
فيرجا له الغفران من فضل ربه ليبلغ بالغفران بالخلد موضعا
١٠ لسان النويرى بالمديح مقصر بما قاله فى الجامعين و أودعا

و فى المحرم سنة ثلاث و سبعين و سبعمائة رمّم الجامع الشرقى وكسى بالبياض فقلت فيه :

غدا الجامع الشرقى بالحسن مبدعا له بهجة يصبوا له كل من سعا
بياض له كالياسمين تخاله كدُرّ على حيطانه مترصعا
١٥ حوى روضة خضراء فى وسط صحنه فأصبح ذاك الروض ريّان مترعا
تمايل فى بيض الثياب و حسنها و خير الثياب البيض لونا منصعا
رأى الجامع الغربى حسن بياضه فصار الناس حسنهما معا
سور[1] على الغربى (عا)د[2] ضياؤه و نور على الشرقى صار مشعشعا

---

(١) فى الأصل : صور .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا .

لسان النويرى[1] بالمدائح فيهما كشند وكافور و مسك تضوعا

[ن ١٦٤ : ب] – انتهى .

ثم ان معين الدين الناظر المتقدم ذكره أقام ناظرا بالإسكندرية نحو سنة و عزل منها ، فأقام مدة بطالا ، فسعى بالقاهرة أن يكون الجامع الغربى تحت نظره ، فحسب تجديده لعمارته عوضا عن عزله عن نظارته و عوضا ٥ عن ناظره موفق الدين العوفى الذى هو من ذرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فكان موفق الدين المذكور هو الذى جدوده لهم النظر خلفا عن سلف على الجامع المذكور . فلما بلغ موفق الدين السعى عليه فى نظر الجامع توجه إلى القاهرة و قدم للسلطان الملك الأشرف شعبان تواقيع الملوك السالفة بتواتر النظر له ١٠ و لأحداده ، فرسم السلطان الملك الأشرف شعبان باستمراره على جارى عادته من غير معارض له و لا منازع . فلما قدم إلى الإسكندرية قلع الرخامة التى نقش عليها معين الدين الدمامينى الناظر كان اسمه بها ، فقلعها من أعلا الباب و بيّض مكان الرخامة المذكورة بعد البناء حتى لم يصرلها أثر . وكانت هذه الرخامة مزخرفة بورق الذهب و اللازورد أيضا ، ١٥ فنسخ حكمها و ذهب رسمها ، و استمر موفق الدين العوفى على جارى عادته فى النظر على الجامع المذكور .

و قد تغلغل بناء الكلام وتشعب إلى أن خرجنا عما كنا فيه من أخبار

---

(١) من الأمثلة المعدودة التى يذكر المؤلف اسمه فيها بصلب الكتاب . وهذا طبعا مثل من شعره ولا يعتبر من الأدب الرفيع ، و لكنه من أمثلة الأدب السكندرى بهذا العصر .

العبيديين و هم أربعة عشر خليفة، فانقرضت[1] دولتهم بوفاة العاضد، و ذلك فى سنة ست و ستين وخمسمائة، و أول دولتهم بمصر سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة[2]، فكان ملكهم بمصر مائتين و سبعين سنة، فصاروا كما قال الشاعر:

٥ و أناس قعد الدهر بهم زالت الأيام عنهم و الليالى

وكان الناس فى قلق شديد فى زمن دولتهم ، و قتل المعز فى دولته الشيخ الصالح أبا بكر النابلسى ، وكان بلغه عنه أنه قال: لو كان معى عشرة أسهم قاتلت الروم بتسعة و قاتلت العبيديين بواحد. فأحضره و قال له: أنت القائل كذا و كذا. فقال: لم أقل ذلك. و لكنى قلت لو كان معى

١٠ عشرة أسهم قاتلت الروم بواحد و قاتلت العبيديين بتسعة. قال: و لم؟ قال: لأنكم غيرتم الرعية و قتلتم الصالحين. فأمر به فضرب بالسياط ضربا شديدا، ثم أمر به فسلخ و هو حى. و ذلك أنه جئ بيهودى، فجعل اليهودى يسلخه و أبو بكر يقرأ القرآن. قال اليهودى فأخذ بى رأفة، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنت بالسكين فمات تخفيفا له من عذاب السلخ.

١٥ فقيل أبو بكر الشهيد، و اشتهر بالشهيد و إليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى الآن. فينبغى للإنسان أن لا يتعرض لذى سلطان بالكلام

(١) فى الأصل فانقرت. و هو خطأ قلمى واضح.

(٢) التاريخ المضبوط لحكم الفاطميين فى مصر يوم دخول المعز بها سنة ٣٦٢ هـ = ٩٧٣ م و سبقه دخول جوهر سنة ٣٥٦ هـ = ٩٦٩ م. أما نهاية الدولة فكان فى سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م.

الحاد و خاصة المغاربة فانهم يتتكون[1] من الكلام الفاضح ، فيكون قد ألقى نفسه إلى الهلاك. قال الله تعالى : " و لا تلقوا بايديكم الى التهلكة[2] " .
و فى المثل السائر : اللسان سيف الإنسان ، إن حسّن الضرب به نجا ، و إلا مات موت الفجا _ انتهى .

قال المؤلف رحمه الله تعالى وقفت على بعض التواريخ فرأيت فيه ٥ نسخة محضر كتب فى جملة محاضر يتضمن الطعن و القدح فى نسب الخلفاء العبيديين الذين يزعمون أنهم فاطميون و ليسوا كذلك بل نسبتهم إلى ديصان بن سعيد الخرمى فى الدين ، و كتب فى ذلك [بن ١٦٥ : الف] جماعة من العلماء و الفضلة و الفقهاء و الأشراف و الأماثل و المعدّلين و الصالحين . و سأذكر نص المحضر و هو : شهدوا شهوده الواضعون ١٠ خطوطهم آخره ، شهدوا جميعا أن الناجم بمصر و هو المنصور بن نزار الملقب بالحاكم ، حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزى والنكال والاستئصال ، ابن العزيز بن المعز معد بن إسمعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله ، فانه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله و تلقب بالمهدى ، و من تقدم من سلفه من الأراجس و الأنجاس عليه و عليهم لعنة الله و لعنة اللاعنين ١٥ إذهم خوارج لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب ، و لا يتعلقون منه بسبب ، و أنه منزّه عن باطلهم و زورهم ، و أنه لا يعلمون أن أحدا من أهل بيوتات الطالبيين توقف عن إطلاق القول فى هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء ، و قد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعا فى الحرمين و فى ... [3] و له

(١) فى الأصل : ينتكوا . (٢) قرآن كريم ٢ : ١٩٥ .
(٣) هنا سقوط واضح من بن رغم استمرار الكلام فتركنا بياضا للدلالة عليه .

أمرهم بالمغرب ينتشر انتشار المنع من أن يدلس على أحد كذبهم أو يذهب وهم إلى تصديقهم ، و أن هذا الناجم بمصر هو و سلفه دار فسّاق فجار و ملحدون و زنادقة معطلون و للاسلام جاحدون و لمذهب الثنوية و المجوسية معتقدون ، قد عطلوا الحدود و أباحوا الفروج و أحلوا الخمور ٥ و سفكوا الدماء و سبوا الأنبياء و ادعوا الربوبية ، و ذلك أن الحاكم العبيدى قال لكاتبه : كم ادعى لنا الآن الربوبية من رجل فى حسابك ؟ فقال : ستة عشر ألف رجل ـ انتهى .

نعود إلى ذكر المعز جد الحاكم ، قيل إن المعز معد لما دخل مصر و جلس على سرير الملك قال له الشريف طباطبا : يعرض علينا الملك ١٠ نسبه . فلما قال له ذلك كشف عن دنانير فى منديل و جرد عن بعض سيفه ـ و كان أعدهما لذلك لأنه علم أنهم لا بد أن يسألوه عن نسبه . فقال المعز[1] فى جوابه : هذا حسبي ـ و أشار إلى الذهب ، و قال : هذا نسبي ـ و أشار إلى السيف . فمن رضى فله هذا و أشار إلى الذهب ، و من سخط فله هذا ، أشار إلى السيف . فلما قال المعز ذلك قال جميع ١٥ الحاضرين بمجلسه : سمعنا و أطعنا رغبة و رهبة . قال بعضهم فى المعز علقوا صارما ، و قالوا صدقنا . فأجبنا معا سمعنا و أطعنا . فهذا يدل على كذبهم فى أنسابهم الذين ادعوها ، إذ ليس لدعواهم صحة فى قولهم نحن [2] عبيديون فاطميون [2] .

(١) فى الأصل : الشريف . و هو خطأ واضح صححناه فى النص .
(٢-٢) فى الأصل : عبيديين فاطميين .

[الدولة الأيوبية]

و لما انقرضت دولتهم بموت العاضد ، تسلطن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب ، فأمر بالدعاء فى الخطبة لبنى العباس كما كانت أولا ، و خطب الخليفة المستضىء[1] بنور الله أحد خلفاء بنى العباس ، و قطع من الأذان حى على خير العمل من الديار المصرية ٥ كلها . و صنف الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى كتابا سماه السراج المضىء فى خلافة المستضىء . و صار السلطان صلاح الدين يوسف[2] نائبا له بمصر على ما كانت عليه خلفاء بنى العباس الأول . و هرب نزار العاضد و الأمير كنز الدولة إلى ناحية أسوان خوفا من السلطان ، فجهز إليهما جيشا مقدمه أبو بكر القائم بعده فقتل ١٠ نزار بن العاضد و الأمير كنز الدولة ، و صارت ذرية كنز الدولة إلى الآن بأسوان يعرفون بأولاد كنز الدولة . ثم أن السلطان صلاح الدين يوسف أقطع الفيوم لأخيه تقى الدين بن أيوب ، فسكن به و عمر على خليج المنهى دوره ، و هو الخليج المنسوب حفره لنبى الله يوسف الصديق عليه السلام . فأقام بالفيوم سنين ثم نقله السلطان من الفيوم إلى مدينة ١٥ حماة ، فوقف داره الكبيرة مدرسة على طائفة الفقهاء المالكية . و بناؤها على رتبة ديار الأسكندرية بمجلس مطوى الأبواب [بن ١٦٥ : ب] بيادهنج

(١) خلافته ببغداد ٥٦٦ – ٥٧٥ هـ = ١١٧٠ – ١١٨٠ م .

(٢) سلطنته بمصر ٥٦٤ – ٥٨٩ هـ = ١١٦٩ – ١١٩٣ م .

فى صدره يلتى الهواء فيه ، و أكام بجانب المجلس ، قاعة وصفتين متقابلتين و بيت عرضى فى صدره شبابيك مشرفة على خليج المنهى ، و جعل حرمية الدار المذكورة (و)قفا[1] على طائفة فقهاء الشافعية ، و وقف دارا أخرى مجاورة لها على طائفة فقهاء الصوفية ، و أقام بها[2] محاريب و تركها[3] على ٥ ذلك على بنائها[4] الأول ، و محراب الدار الكبيرة بصدر مجلسها . و وقف على المدرستين و الخانقاه وقوفا كثيرة من أملاك [5]تجار أراضى[5] تزرع ، و مقاسم مياه تقسم على تلك الأراضى الموقوفة تسقيها ، و هى مستمرة جارية عليها إلى الآن ، جزاه الله تعالى عن فعله خيرا .

[المؤلف و ظفر القبرسى بالاسكندرية]

١٠ قال المؤلف رحمه الله تعالى : و لما ظفر القبرسى بالإسكندرية فى آخر المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة ، و شرد غالب أهلها منها ، خرجت بعيالى معهم ، فقصدت بلدة النويرة[6] بالصعيد الأدنى من مصر ، إذ ذاك مدرس المدرسة المالكية بمدينة الفيوم الشيخ الإمام العالم

---

(١) فى الأصل : قفا ـ و واضح خطأها القلمى للفظة « وقفا » .
(٢) فى الأصل : بهم .
(٣) فى الأصل : و تركهم .
(٤) فى الأصل : بنائهم .
(٥ـ٥) يجوز قراءة الكلمتين : تجا و أراضى ـ و لا تفيد معنى ، و القراءة الأخرى تفيد معنى أخذنا به رغم غرابته .
(٦) من القرى البوصيرية بالصعيد الأوسط ـ ذكرها ابن مماتى (كتاب قوانين الدواوين) ص ١٠٣ و قد نسب إليها المؤلف .

شرف الدين أبو حفص عمر ابن الشيخ الإمام العالم تاج المدرس بها قبله ابن الشيخ الإمام العالم شرف الدين الشهير بابن سعيد الناس ، فصار متشوقا لرؤيتى ، و ذلك للصحبة التى بينى و بينه ببلد النويرة من المكتب و بالاشتغال بالقاهرة بالمدرسة المنصورية لأخبره بما اتفق بالإسكندرية ، فمدحته بأبيات ذكرت فيها ما اتفق بها ، و سرت بها إليه فسلمت عليه ، فسر بقدومى ٥ و ورودى عليه ، فقرأتها بين يديه بمجلسه العام . فتعجب من ذلك و تألم لما جرى للسلمين . و سأذكر هنا بعض تلك الأبيات ، و هى :

يا سيـــد العلماء لا يخفـاك ما   قد شاع فى و علا و فى الديماس
بمصيبة نزلت بأهـــل مدينـــة   محروسة بالجـيش و الأحراس
نهبت بأيـــدى كل علج كافر   متعطـــل متجسم خنـاس ١٠
من قبرس جاء بسفن خلتها   بقلوعها تزهو على القرطـاس
أعنى بهـا إسكندريـــة أنهـا   بلد العلوم و قاعــة الإينـاس
أتت الفرنج إلى محل ديارهـا   بالمرهفـات تجلّبوا[1] بلبـاس
من أعين الزرد النفيـد تسربلوا   و تنكبوا بوقـارة الأقواس
و البيض فوق رؤسهم مصقولة   موضوعـة كالوزن بالقسطاس ١٥
لاقتهم جمع المغـاربـــة التى   من تونس أو ضيغم مكنـاسى
رمت الفرنج عليهـم فتراجعوا   عنهم فقروا مع رعاع النـاس
فسعى العـــدو وراءهم بسلاحه   ضربوا الحسوم و سفقوا للراس
فروا لعلـــة جمعهم ولو انهـم   جمعـا كبيرا من مدينـة فاس

(١) و جائز أن تكون : تجلببوا .

كانوا محوا كل[1] الفرنج بأسرهم بحصيدهم لجميعهم و الراس
قصدوا المدينة أحرقوا بابا لها يدعا بباب الورد بين الناس
بابا صغير القد منه بضايعا تبتاع[2] فى الديوان بالأكياس
هجموا من الباب المعين ذكره دخلوا و كروا كرة فى الناس
٥ فسعوا ورا من فر عند دخولهم سفكوا الدماء بكل قلب قاس
أسروا الأسارى قبل نهب ديارها جالوا كجولة لعبة البرجاس
شردت أناس مسلمون تشتتوا من بعد عز فى بلاد الناس
حيرى تراهم فى البلاد بذلة من كثرة الإعدام و الإفلاس
فشردت معهم بالعيال مشتتا و لهان من ذعر و جرى[3] الناس
١٠ و تركت كتبى و الأثاث جميعه حيران أضرب أخمسى أسداسى
بلد النويرة (قد[4]) قصدت بعلتى قدما بها وطنى و كناسى[5]
و تشوقت نفسى لرؤية سيد يدعا جهارا بابن سيد الناس
و منها فى المدح:
يا من غدا بمدينة الفيوم فى عز جليل شائع فى الناس

(١) فى الأصل جميع . و لفظة « كل » تساويها و يتزن البيت بها فأبدلناها .
(٢) فى الأصل: تنباع . وهى اللفظة المعروفة بين الشعب فى اللهجة المصرية الدارجة .
(٣) فى الأصل: جرى ـ بدون واو العطف و هى لازمة للسياق و وزن البيت .
(٤) غير موجودة بالأصل ، و بزيادتها يتزن الشطر الأول من هذا البيت .
(٥) الشطر الثانى من البيت مكسور ، و هو كذلك بالأصل ، و جائز أن تكون كلمة « كناسى » بالشين بدل السين لاستقامة المعنى و ليس القافية .

يا من لدرس المالكية شاده بفضائل مأسوسة بأساس
يا سيدا يا ماجدا بمدينة قد أسست فيما مضى بأساس
من حين وضع حجارة اللاهون بالمنهىّ[1] كالجبل الشديد الراسى
ان ابن قاسم مخلصا لك بالدعا يرجو الإجابة من إله الناس
/ لازلت محروس الجناب بغبطة فى نعمة مثبوتة الأغراس ٥ [ب١٦٦:الف]
ما رجّعت فى الأيك شجع حمامة و تجلّلت[2] من ريشها بلباس
و الله يمتع من فوايدك الورى حتى يصيروا من حلاك كؤاسى[3]

[ذكر الصوفية]

نعود – و لما حبس تقى الدين بن أيوب مدرستيه و خانقته على العلماء و الصوفية[4] ابتغاء مرضاة[5] الله ، حصل له بذلك الأجر الكبير عند الله ، لأن ١٠ المدارس بنيت للاشتغال بالعلوم الشرعية ، لأنها أركان من المعادن الجوهر . قال بعضهم : العلم صحبته مهابة و جلالة . و العلم من كنوز الجوهر . و قال : العلم بحر و الفهم جواهره ، و الفكر غوّاصه ، و عن الأنبياء مأخذه . و العقل مدركه ، و اللسان ترجمانه ، و أهله[6] تجاره ، و الله

---

(١) لا بد من تشديد ياء « بالمنهى » لضبط ميزان البيت .
(٢) فى الأصل : تجلت .
(٣) فى الأصل « كوسا » و يقتضى وزن الشعر جعلها « كؤاسى » .
(٤) فى الأصل : و الصوفة .
(٥) فى الأصل : مرضات .
(٦) فى الأصل · و أهل . به نسختناها « أهله » أى أهل العلم .

المـــكافئ[٢] عليه فى الدنيا و الآخرة . و كذلك الخوانق بنيت للتجرد عما سوى الله ، المشتغل بتزكية نفسه بالأخلاق الجميلة ، العاكف على عبادة الله المشتغل بالآخرة عن الدنيا ، المجرد عن الأسباب ، المتزيى[١] بزى الصوفية ، الذى قد ترك الدنيا ، و لبس المرقع و تزيا بزى لباس الأنبياء عليهم الصلاة ٥ و السلام و غيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم . . . . آدم[٣] عليه السلام لما تطايرت عنه فى الجنة أثوابه ، و حلته و تاجه و جلبابه ، و طال منه[٤] مدته[٥] و انتحابه ، عدل هو و حواء[٦] بالمسكنة و الذلة ، و هما تحت هون المعصية و الزلة ، إلى ورق الشجر فقد رآه على ما تناسب القدر . و ألقيا طولا لعرض و عرضا لطول ، و خصفا كلاهما ذلك الورق بعضه ١٠ إلى بعض تلسيا و ترقيعا ، و سترا به عورتهما . و إن نوحا عليه السلام كان له قميص مطرف الذيل ، و كان الكفار يقصدون كعبيه بالأحجار فيتمزق فيزيله و يحمل عوضه . و إن شعيبا عليه السلام كان يلبس قميصا من جلود ، و كان اسمه فى زمانه الرهط . فقال فى قصته "و لو لا رهطك

(١) فى الأصل : المتريا .

(٢) كلمة مطموسة بالأصل و المقروء : و ق .

(٣) الكلمة مطموسة جزئيا .

(٤) جائز قراءة الكلمة « عمه » .

(٥) كذا فى الأصل و لعل الكلمة « عديده » من السياق .

(٦) فى الأصل : و حوى .

لرجمنك

لرجمنك و ما انت علينا بعزيز[١]". و إن إبراهيم عليه السلام اتخذ له جبة
و طوقها حبيا من أديم. و إن يحيى بن زكريا عليهما[٢] السلام كان لباسه
مدة حياته مرقعة، و كان أبوه زكريا يأتيه بأثواب غيرها فلا يلبسها،
فلما علم قصده تركه. و إن المسيح عليه السلام كان يلبس الصوف،
و يركب الحمار، و يجعل كلتا رجليه إلى جانب واحد ركوب المتذللين. ٥
و كان نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم أزهد الناس فى الدنيا مع القدرة
على تحصيلها، و لكن نظر إليها بعين البصيرة، فعلم أنها حقيرة. و الإجماع
على أن أبا بكر رضى الله عنه تخلل بالعبا، و أن عمر رضى الله تعالى عنه
كانت عليه مرقعة فيها أربع عشرة رقعة و سأذكر هنا حكاية اتفقت
له فى أيام الجاهلية. روى أنه رضى الله عنه [٣]مضى فى أيام الجاهلية ١٠
إلى دمشق فى تجار قريش، فلما خرجوا من دمشق تخلف عمر لبعض
حاجته، فبينما هو بالبلد إذا ببطريق أخذ عنقه، فذهب عمر ينازعه فلم
يقدر، فأخذه البطريق و أدخله دارا فيها تراب، بمجرفة و فأس و زنبيل
فقال له: حوّل هذا من هنا إلى هنا. و أغلق عليه الباب و انصرف، فلم
يجىء إلى نصف النهار. قال عمر و جلست مفكرا و لم أفعل مما قال لى شيئا. ١٥
فلما جاء قال: ما لك لم تفعل؟ و ضربنى فى رأسى بيده. قال: فأخذت الفأس
و ضربته به فقتلته و خرجت على وجهى، فجئت دير الراهب فجلست عنده

(١) قرآن كريم ١١ : ٩١.
(٢) فى الأصل: عليهم.
(٣) فى الأصل زيد هنا فى الجملة لفظة «فيما» و حذفها ضرورى لصحة الجملة و انتظام معناها.

فأشرف[1] عليّ فنزل و أدخلني الدير و أطعمني و سقاني و جعل يحقق النظر فيّ
و سألني عن أمري . فقلت : إني أضللت أصحابي ، فقال : إنك لتنظر بعين
خائف . و جعل يتوسمني ثم قال : لقد علم أهل النصرانية أني أعلمهم بكتابهم ،
و إني لأراك الذي تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لك أن تكتب لي
٥ كتاب أمان على ديري هذا ؟ فقلت له : يا هذا لقد ذهبت غير مذهب .
فلم يزل [ن ١٦٦ : ب] بي حتى كتبت له في صحيفة ما طلب مني . فلما
كان وقت الإنصراف أعطاني دابة ، فقال : اركبها ، فاذا وصلت إلى أصحابك
فابعث إليّ بها وحدها ، فانها لا تمر بدير في طريقها إلا أكرموها .
ففعلت ما أمرني به . فلما جاء وولي عمر الخلافة قدم بيت المقدس
١٠ بسبب فتحه . أتاه ذلك الراهب بتلك الصحيفة فأمضاها له و اشترط
عليه ضيافة من يمر به من المسلمين و أن يرشده إلى الطريق – انتهى .

نعود – و إن عثمان[2] رضي الله عنه كان إذا قام لصلاة الليل لبس
مرقعة و يختم القرآن في ركعة . و إن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى
عنه مشى في بعض طرقاته و عليه قميص جديد ، فعدل إلى بجار فقطع
١٥ كميه و قال ينسل مع الدهر ، و كتب[3] [بر ٢١٨ : الف] [4] إلى سهل
ابن حنيف فقال : رقعت قميصي حتى استحييت من راقعه . و إن عائشة
رضي الله عنها كانت ذات يوم ترقع قميصا لها و تنشد :

البس جديدك إني لابس خلق و لا جديد لمن لا يرقع الخلقا

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل . (٢) في الأصل : عثمن .
(٣) هنا ينتهي الجزء الساقط من بر وما أخذناه عن بن .
(٤) من هذه الكلمة يستأنف الكلام في بر و بن على السواء .

و إن أهل[1] الصفة و هم أربعمائة نفس منهم عبد الله بن مسعود و أبو هريرة و سلمان الفارسي و بلال بن حمامة و ابن أم مكتوم و غيرهم، [2] كانوا يأوون إلى صفة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم[2] . و كان لهم مرقعات لجمالهم ، فمن عنّ[3] له حاجة إلى ظاهر الصفة لبسها و قضى حاجته و إذا عاد نزعها . و قد أجمع الناس فى زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم على ٥ أن لابسها ما رآه أحد فى مقام الفاسقين ، بل هو من الطالبين المخبتين . قال الله تعالى : "و بشر المخبتين[4]" و الأخبات من أوائل[5] مقام الطمانينة .

[بن ١٦٦ : ب] [6] و ينبغي للمريد أن يلبس ما يليق بـه كالأزرق و البرانس الخشنة ، فى الأزرق إشارة إلى القلب سماوى . و فى الخشن حث على القناعة . و اختلف لما سميت الصوفية بهذا الاسم ، فذهب قوم إلى ١٠ أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه لبس الأنبياء عليهم السلام . و روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : مر بالصخرة من الروحا سبعون نبيا عليهم العبا يؤمون[7]

---

(١) فى هامش بر : عدة أهل الصفة .

(٢-٢) العبارة ساقطة من بن [١٦٦ : ب] .

(٣) فى بن : عم .

(٤) قرآن كريم ٢٢ : ٣٣ .

(٥) فى بن : اول .

(٦) ابتداء من هنا قسم ساقط من بر و وارد فى بن [١٦٦ : ب إلى ١٦٧ : ب] و يستأنف الكلام فى كل من بر و بن من «نعود إلى أخبار السلطان صلاح الدين» .

(٧) فى الأصل : يامون .

البيت الحرام . و قيل إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف و الشعر و يأكل من....[1] و يبيت حيث أمسى . و قال النبى صلى الله عليه و سلم : ثلاث خصال يحبها الله عز و جل فى عباده : من تواضع لله و خشع قلبه و رضى بالفقر و لبس الدون من الثياب. قيل : يا رسول الله و ما الدون

٥ من الثياب؟ قال: الصوف . و قال: الحسن البصرى : لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف . و كان اختيارهم لبس الصوف . و قيل سموا صوفية لأنهم أهل الصف الأول فى عالم الأرواح . فقد روى أن الأرواح كانت فى أربع صفوف ، الصف الأول هم الأنبياء و خواص الأولياء ، و الصف الثانى هم المؤمنون، و الصف الثالث هم المسلمون، و الصف الرابع

١٠ هم الكفار و المنافقون. و ورد فى الخبر ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام من ثمانية أشياء ، من طين و من ماء و من شمس و من سحاب و من نور و من حجر و من بحر و من روح القدس ؛ فجعل من الطين لحمه ، و من الحجر عظمه ، و من البحر دمعه ، و من السحاب همومه ، و من النور قلبه ، و من روح القدس إيمانه ، ثم جعل الله تعالى لكل واحدة

١٥ من هذه الخصال الثمانية دولة عند وقع الماء الدافق فى الأرحام . فمعنى ذلك أنه إذا وافق الإفضاء دولة الطين جاء الولد أحمق لا عقل له . و إذا وافق دولة الحجر جاء الولد جهم الوجه فاسق القلب ، و إذا وافق الإفضاء دولة الشمس جاء الولد صبيح الوجه ، و إذا وافق الإفضاء [بن ١٦٧ : الف] دولة السحاب جاء الولد طائشا كثير اللوم يسافر من موضع إلى موضع لا يستقر فى مكان أبدا ، و إذا وافق الإفضاء دولة الريح جاء

(١) هنا سقوط واضح من بن رغم استمرار الكلام تركنا فيه بعض بياض .

الولد قويا لا يستطاع عليه لشدته ، و إذا وافق الإفضاء دولة النور جاء الولد عالما بعيد الغضب ، و إذا وافق الإفضاء دولة القدس جاء الولد جيدا تقيا ذا دين و أمانة .

و قال ابن عباس إن الله عز و جل.. ١ في يوم ثلاثة عساكر . عسكر من أصلاب الرجال إلى بطون النساء ، و عسكر من بطون النساء ٥ إلى دار الدنيا ، و عسكر من دار الدنيا إلى طباق الأرض . قال الشاعر :

رأيت بني الدنيا كوفدين كل ما ترحّل وفد حل في إثره وفد

فكل ترجّي السير فيها و دونها يروح بذي[2] نعش و يغدو بذي[2] مهد ـ انتهى

نعود ، و قيل سميت الصوفية بهذا الاسم إلى الصفة التي كانت الفقراء المهاجرين على رسول الله صلى الله عليه و سلم . قال الله تعالى في حقهم للفقراء ١٠ الذين أحصروا في سبيل الله هذا ، و إن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ، و لكن صحيح من حيث المعنى لأن صوفية[3] تشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين مصاحبين لله في الله كأصحاب الصفة و كانوا نحوا من أربعمائة رجل و لم يكن لهم مساكن بالدنيا و لا عشائر ، جعلوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفيـــة قديما و حديثا في الزوايا ١٥ و الربط ، و كانوا لا يرجعون إلى زرع و لا ضرع . لا إلى تجارة ، و كانوا يحطبون لحطب . يرضخون النوى بالنهار و بالليل يشتغلون بالعبادة و تعلم العلم و قراءة القرآن . و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يواسيهم و يحض الناس على مواساتهم ، و يجلس معهم ، و يأكل معهم ، و فيهم

---

(١) هنا سقط واضح في النص رغم استمرار العبارة في الأصل فتركنا بياضا للدلالة عليه . (٢) في الأصل : بذا .

(٣) الكلمة مطموسة بالأصل و لكن قراءتها واضحة من النص و السياق .

نزل قوله تعالى: [1] "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة و العشى يريدون[2] وجهه" و نزل فى أم مكتوم الأعمى: "عبس و تولى ، ان جاءه الأعمى ،[3]" وكان من أهل الصفة. عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما على أهل الصفة، فرأى فقرهم و جهادهم و طيب قلوبهم فقال: ٥ أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى منكم على النعت الذى أنتم عليه راضيا بما هو فيه فانه من رفقائى يوم القيامة[4]. و لم يكن هذا الاسم فى زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم - أعنى الصوفى - و كان فى زمن التابعين. و نقل عن الحسن البصرى أنه قال: رأيت صوفيا فى الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه و قال: معى أربع دوانق يكفينى ما معى، و الدانق درهم ١٠ و ثلثا[5] درهم، فيكون ما معه ستة دراهم و ثلثا[5] درهم، و هو يجد نفسه غنيا. و قيل إن الصوفية لما آثروا الذبول و الخمول و التواضع و الانكسار و التخفى و التوارى، كانوا كالخرقة المرماة، و الصوفة المرمية التى لا يرغب فيها و لا يلتفت إليها، فيقال صوفى بالنسبة إلى الصوفة، كما يقال كوفى بالنسبة إلى الكوفة. و قيل الصوفية كانوا يخدمون الكعبة، و قيل سموا ١٥ بذلك لأنهم تشكوا تشبك الصوف بما يثبت عليه، فالصوفى منسوب إلى الصوفية لاشتغالهم بعضهم ببعض. أتى الحسن البصرى يوما فرقد

(١) قرآن كريم ٦ : ٥٢ .
(٢) فى الأصل: يردون، و هو خطأ .
(٣) قرآن كريم ٨٠ : ١ - ٢ .
(٤) فى الأصل: القيمة .
(٥) فى الأصل: و ثلثى .

للصوفى و عليه جبة صوف مرقعة ، فأخذ[1] بأطرافه و قال : يا ابن أم فريقد ليس التقوى بأكل القيط و لا بلبس العبا ، إنما التقوى بما وقر فى الصدر و صدقة العمل . و قيل فى المعنى :

ليس التصوف لبس الصوف تلبسه و لا بكاؤك ان غنى المغنونا
و لا صياح و لا رقص و لا طرف و (لا) تغاش[2] كان قد صار مجنونا ٥
بل التصوف أن تصفو بلا كدر و تتبع الحق و القرآن و الدينا
و أن ترى خاشعا مكتئبا على ذنوبك طول الدهر محزونا

[ب ١٦٧ : ب] قال أحمد بن مقابل : كنت مع الشبلى فى مسجده فى شهور رمضان و هو يصلى خلف إمام و أنا بجنبه قال : فقرأ الإمام " و لئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا إليك[3] " قال فزعق الشبلى زعقة ، ١٠ قلت طارت روحه معها و هو يرتعد و يقول : بمثل هذا يخاطب الأحباب .
و قيل السماع فيه تصيب لكل عضو فما وقع إلى العين تبكى ، و ما وقع إلى اللسان يصيح ، و ما يقع على اليد يمزق الثياب و يلطم الوجه . و ما يقع على الرجل يرقص . و قيل أوحى إلى موسى عليه السلام انى قد جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى أحببتى . و فى معناه : ١٥

لا تنسانى ، فاذا الفانى ما يلقانى ، حتى يفنينا

---

(١) الكلمة مطموسة جزئيا .
(٢) فى الأصل : و تغاش . ــ و الظاهر من سياق البيت الأول و وزن الشطر الثانى وجوب كونها « و لا تغاش » .
(٣) قرآن كريم ١٧ : ٨٦ .

فك المعجم ، فاعزم تغنم و افهم و افهم ، سر المعنا
و اسمع منى ، و افهم عنى سرا تنظر ، اذنا اذنا
سافر وحدك ، و ابدل جهدك و اجعل قصدك ، ذاك المعنا
و احصر عقلك ، و اجمع شملك علك علك ، يوما تدنا
٥ عبدى عبدى ، احفظ عهدى و افهم قصدى ، فيما يعنا
فارق دارك ، و اهجر جارك و ارقب نارك ، تبدوا وهنا
فارغ و اطمح ، و اقلب اجمح علك تسمع ، يوما منا
لا لا تهرب ، ما لك يهرب ، هذا المشرب ، أحلا و اهنا
روح علقت ، لما عتقت ، إذ قد سبقت ، منا الحسنى – انتهى[1] .

١٠ [من أخبار صلاح الدين الأيوبى]

نعود[2] إلى أخبار السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب و خبر بيت المقدس حين أخذ الفرنج له و فتح السلطان صلاح الدين يوسف المذكور له و نزعه هو و غيره من الحصون التى كانت بأيدى الإفرنج [3] إن شاء الله تعالى[3] .

١٥ قال بعض المؤرخين : و فى بضع و تسعين و أربعمائة من الهجرة النبوية أخذت الإفرنج بيت المقدس من أيدى المسلمين ، و قتلوا[4] أزيد

(١) إلى هنا ينتهى هذا القسم الساقط من بر و قد أخذناه عن بن .
(٢) من هنا يبدأ الكلام فى بر و بن على السواء . و فى هامش بر : مطلب ، أخبار صلاح الدين و بيت المقدس .
(٣–٣) ساقطة من بن .
(٤) فى بن [١٦٧ : ب] : بعد أ ــــ قتلوا . و فى هامش بر : مطلب ، ولاية الافرنج على بيت المقدس سنة ٤٩٠ .

من سبعين ألف قتيل من[1] المسلمين ، و أخذوا من حول الصخرة [2] اثنين و أربعين[2] قنديلا من فضة زنة كل قنديل منها ثلاثة آلاف و ستمائة درهم ، و تنّور من فضة زنته أربعون[3] رطلا بالدمشقى ، و ذلك مائة و ستون[4] رطلا بالمصرى ، و ثلاثة و عشرين[5] قنديلا[6] من ذهب .
و هربت الناس إلى العراق قاصدين الخليفة المستظهر بالله[7] . فلما سمع أهل بغداد ذلك تباكوا . و كان أبو سعيد الهروى نظم قصيدة فقرئت على المنابر ببغداد فعظم بكاء الناس و أمر الخليفة الفقهاء إلى الخروج ليحرضوا الملوك على الجهاد[8] ، فساروا فلم يفد ذلك شيئا . و بيت المقدس هو بيت الأنبياء و مهبط الوحى قديما .

حكى[9] أن رجلا من الصوفيه بينما هو نائم فى الحرم بالمدينة إذ رأى النبى صلى الله عليه و سلم فى منامه فقال له : اذهب إلى صلاح الدين يوسف

(١) زيد فى بن ايدى .
(٢-٢) فى بر : اثنان و أربعون . و صححتها فى بن كما أوردنا بالنص .
(٣) فى بن : اربعين .
(٤) فى بر : و ستين . و صححته فى بن كما أوردناه بالنص .
(٥) فى بن : و عشرين . و فى بر : و ثلاثة و عشرون .
(٦) كذا فى بن ، و فى بر : قنديل .
(٧) الخليفة العباسى و خلافته ٤٨٧ - ٥١٢ هـ = ١٠٩٤ - ١١١٨ م .
(٨) و يلاحظ فى هذه المناسبة ان بيت المقدس كانت فى حكم الدولة الفاطمية وقتئذ .
(٩) فى بن : و حكى .

ملك مصر فقل له إن رسول الله [١]صلى [٢١٨ : ب] الله عليه و سلم[١] يقول لك: قم من وقتك هذا فانزل على بيت المقدس[٢] فانك تفتحه إن شاء الله تعالى[٣] ، و اعلمه بذلك سرا ، و قل له بأمارة صلاتك عليّ فى كل ليلة ألف مرة . قال فذهب الرجل حتى وصل إلى صلاح الدين و قال:
٥ يا مولاى عندى بشارة من رسول الله صلى الله عليه و سلم . قال: و ما هى؟ قال: إنه يقول لك قم من وقتك هذا فانزل على بيت المقدس فانك تفتحه[٤] إن شاء الله تعالى . قال: الحمد لله أعطوه خمسمائة درهم . فقال بعض الحاضرين كالمستهزئ: و أنا و الله أحب أن أرى مثلها . فقال الرجل أما أنا فلا آخذ شيئا ، لكن عندى حديث أقوله . قيل له: ما[٥] هو؟
١٠ قال: ما أقوله إلا للسلطان سرا . فأدناه السلطان إليه فقال[٦]: يقول لك رسول الله صلى الله عليه و سلم بأمارة صلاتك عليه فى كل ليلة ألف مرة . ففرح السلطان بذلك و عرض عليه الذهب[٧] فلم يأخذه . و بعد مدة دخل السلطان صلاح الدين إلى دمشق فرأى الفقير فى الجامع ،

(١–١) العبارة ساقطة من بن و هو الأصح لأن الكلام صادر عن الرسول .
(٢) الكلمة مكررة فى بن .
(٣) الكلمة ساقطة من بن .
(٤) فى بن: ستفتحه .
(٥) فى بن: و ما .
(٦) زيد فى بن: له .
(٧) فى بن: ذهبا .

فعرفه فصاح به فأتاه، فقال له: أسألك[1] أن تأخذ الخمس مائة دينار عوضا عن الخمس مائة درهم[2] التي تركتها و لم تأخـذها. فقال: نعم، عليّ أن نعطيها هؤلاء[2] الفقراء. فقال: اصنع ما شئت. فدفعها له ففرقها فيهم، و حصل له دينار واحد. فتحقق السلطان صدق منامه [3] بتعففه و أمارته [3].

و كان رجل من أهل المغرب بالمدينة فبكى[4] عند قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: يا رسول[5] الله بلدي[6] بعيد و أنا فقير و ضعيف، و أنا أحب أن أرجع إلى بلادي. قال فنام[7] فرأى النبي صلى الله عليه و سلم فقال له: امض إلى صلاح الدين يوسف فانه يعطيك مائة دينار [8] سافر بها إلى بلادك. قال: فمضى الرجل إلى أن وصل إلى الشام. و قـدم على صلاح الدين، فلما رآه قال: أنت صاحب المائة دينار؟ [8] قال: نعم. قال: اعطوها له. فأخذها و انصرف.

و يقال إن رجلا أتى إلى صلاح الدين يوسف قبل أن يلي

(١) كذا في بن، و الكلمة في بر: أسئلك.
(٢) ساقطة من بر و واردة في بن [١٦٨: الف].
(٣-٣) في بن: بفضل أمارته.
(٤) في بن: فبكا.
(٥) في بن: يرسول.
(٦) في بن: بلد.
(٧) في بن: و نام.
(٨-٨) العبارة بكاملها ساقطة من بن.

الملك[١] قال : رأيت[٢] فيما يرى النائم كان قائلا يقول لى فى المنام و أشار إليك :

ملك الصياصى و النواصى ناصرا[٣] للدين بعد إياسه أن ينصرا
و يستفتح[٤] البيت المقدس بعد ما يطوى الطراز له و يهلك قيصرا

٥ [٢١٩ : الف] الصياصى الحصون . قال الله تعالى : " و انزل الذين ظاهروهم من اهل الكتٰب من صياصيهم[٥] " .

فبعد قليل أخذ صلاح الدين يوسف الملك ، و فتح قلعة طرية ، و فتح عكا صلحا ، و خلّص منها أربعة آلاف أسير من المسلمين ، و فتح صيدا و بيروت و غزة و عسقلان و نابلس و بيسان ، و فتح بيت المقدس ١٠ و كان فيها ستون[٦] ألف مقاتل أو يزيدون من الإفرنج[٧] . و قاتل[٨] المسلمون معه قتالا شديدا ، و لم يزالوا كذلك حتى فتحوه . و هو أن ملك الروم أرسل إلى السلطان صلاح الدين على أن يبدل كل رجل

---

(١) فى بن : المملكة .
(٢) فى بن : فرأيت .
(٣) فى بن : نارا .
(٤) فى بن : و سيفتح .
(٥) قرآن كريم ٣٣ : ٢٦ . و فى هامش بر : مطلب ، فتوحات صلاح الدين .
(٦) فى الأصلين : ستين .
(٧) فى بن : الفرنج .
(٨) فى الأصلين : قاتلت .

منهم

منهم عن نفسه عشرة دنانير و على المرأة خمسة دنانير و على كل صغير و صغيرة دينارين ، و أن تكون الغلات و الأسلحة يؤدونها [١] للمسلمين ، و يتحولوا من القدس إلى مدينة صور . فأجاب الملك صلاح الدين إلى ذلك ، و دخلوا بيت المقدس يوم الجمعة ، و كان يوما مشهودا خنس فيه الناقوس ، و حضر المؤذنون و غاب القسوس ، و تلى التنزيل ، عوضا عما كانوا يقرأون [٢] من التحريف فى الإنجيل ، و لله الحمد و المنة على ذلك . ثم أنه فتح [٣] الكرك [٤] و صفد و حصن كوكب و غيرها من الحصون . و كان سبب أخذ الإفرنج [٥] للقدس من أيدى المسلمين لأنهم كسروا الأفضل [٦] ابن أمير الجيوش على الرملة و استولوا على القدس سنة تسعين و أربعمائة . و قتل الأفضل سنة ست عشرة و خمسمائة من غير أن يقتل أحدا . و أما أبوه بدر الجمالى [٧] فكان سفاكا للدماء ، و مع ذلك مات على فراشه . و كان الأفضل فحل التدبير حسن الرأى ، و لم يكن للخليفة المستعلى [٨] أحد خلفاء العبيديين معه كلام [٩] .

---

(١) فى الأصلين : يؤدوا .
(٢) فى الأصلين : يقرون .
(٣) فى بن : افتتح .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) فى بن : الفرنج .
(٦) انظر ما سبق فى موضوع الفاطميين .
(٧) فى بن : الجمال .
(٨) الخليفة الفاطمى و حكمه ٤٨٧ — ٤٩٥ هـ = ١٠٩٤ — ١١٠١ م .
(٩) فى الأصلين : كلاما .

ثم أن الإفرنج[١] أقاموا بالقدس تسعين سنة، ففتحه السلطان صلاح الدين يوسف سنة ثمانين[٢] و خمسمائة[٣] . و توفى السلطان صلاح الدين[٤] يوسف المذكور و عمره سبعة[٥] و خمسون سنة . فعز على المسلمين فقده . و كان من خيار الملوك و أحسنهم سيرة ، و تشبه بالملك العادل نور الدين ٥ العادل عمه ، و دفن بتربته عند مدرسة أنشأها بالموصل[٦] رحمه الله تعالى .

[٧]و كان قبل تملكه السلطان صلاح الدين يوسف سار أسد الدين شيركوه بعد أن كسر الفرنج و المصريين إلى الإسكندرية فملكها ، و جيء بأموال ، و استناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، و عاد إلى الصعيد فملكه و جمع منه أموالا كثيرة جزيلة ، ثم أن الفرنج و المصريين اجتمعوا ١٠ على حصار الإسكندرية ثلاثة أشهر ، انتزعوها من يد صلاح [الدين] يوسف فى غيبة عمه شيركوه فى الصعيد . و امتنع بها صلاح الدين و من معه أشد امتناع ، و لكن ضاقت عليهم الأقوات و ضاق الحال جدا . فسار إليهم شيركوه أيده الله تعالى ، فصالحه شاور الوزير عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأنبه على[٨] ذلك . و خرج صلاح الدين منها و سلمها

---

(١) فى بن : الفرنج (٢) فى بن : ثمان .
(٣) فى هامش بر : مطلب ، مدة استيلاء الإفرنج على بيت المقدس تسعون سنة.
(٤) لفظة « الدين » ساقطة من بن .
(٥) فى بن : تسعة . و فى هامش بر : توفى صلاح الدين و عمره ٥٧ سنة .
(٦) كذا فى بر و بن ، و هو خطأ لأن صلاح الدين مدفون فى دمشق .
(٧) من هنا إلى قوله « و لله الحمد » ساقط من بر ، و أخذناه عن بن [١٦٨ : الف ، ب] .
(٨) فى الأصل : إلى . و أغلب الظن أنه خطأ قلمى .

للمصريين و عاد إلى الشام . و قرر على شاور الفرنج[١] كل سنة مائة ألف دينار ، و أن يكون لهم شحنة بالقاهرة . و عادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين قد عقبهم فى البلاد ، و فتح كثيرا من بلادهم ، و قتل خلقا من رجالهم ، و أسر أمما من نسائهم و أطفالهم ، و غنم شيئا كثيرا من أمتعتهم و أموالهم ، و لله الحمد[٢] . ٥

[٣]و كان السلطان صلاح الدين يوسف المذكور [٤]فى دولته[٤] يجلس جلوسا عاما لإزالة المظالم . فجلس يوما جلوسا عاما ، و قضى حوائج الناس ، و نظر فى المظالم ، و نادى [٢١٩ : ب] مناديه[٥] : من كانت له حاجة و مظلمة فليأت ! فتقدم شيخ له هيئة حسنة فقال : إن الفقر يقدمنى و الحياء يؤخرنى . فقال : قل . قال : أنا رجل كنت من أمراء ١٠ الدولة المصرية ممن كان لله على أسلافه نعمة و سلبها و أحتاج إلى الناس و أنعمت علىّ بخمسة دنانير فى كل شهر و عاملك يمطلنى فيها مدة[٦] ستة أشهر . فغضب صلاح الدين و قال : علىّ بالعامل . و قال : تعطى له ما منعته إياه أو لأفعلن بك و لأصنعن . قال : فلما رأى العامل الجد[٧] ،

(١) زيد هنا لفظة « على » و لكن الناسخ صحح مكانها كما أوردناه فى النص ، و لكنه لم يشطب الزيادة .
(٢) انتهى الساقط من بر .
(٣) من هنا يستأنف الكلام فى كل من بن و بر معا .
(٤-٤) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٥) فى هامش بر : مطلب ، واقعة .
(٦) فى بن [١٦٨ : ب] : منذ .
(٧) ساقطة من بن .

و كان صلاح الدين رجلا حليما قليل الغضب ، فقال العامل : لو لا غضب مولانا السلطان لأخبرته بالعذر الذى منعنى[1] [2] الاطلاق و العذر الذى منعنى[2] الكلام . قال[3] : قل فانى لا أغضب . قال : العلامة التى على توقيعه مزورة ، فامتنعت من الدفع ، و أردت الستر و ما أردت أن أفضحه ، ٥ و الأمرَ لمولانا السلطان . فقال صلاح الدين : أرنى التوقيع . فنظر إليه و قال : صدقت و الله ما هو خطى و لا كتبته[3] . ثم التفت إلى الرجل و سبه و انتهره و قال : النفاق باق[4] فيكم ، و إلا أنا فما أمنع رزق[5] الله أحدا علىّ ، و على[6] لأقطعن يدك . و كان بالمجلس رجل و له عقل و أدب ، و الجلساء متشابهون للملك - المرء[7] على دين خليله - فقال ذلك ١٠ الرجل الحاضر : إن مولانا السلطان لا يمنع خطه من أحد ، و يكتب فى كل وقت قائما و جالسا و راكبا ، يكتب مولانا السلطان علامة بجانبها ، و ننظر إلى الخطين ، فان اختلفا فالسلطان يفعل[8] ما يريد و إن

(١) فى بن : يمنعنى .

(٢-٢) الجملة ساقطة من بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى الأصلين : باقى .

(٥) فى بن : الرزق .

(٦) فى بن : و صلى .

(٧) فى بن : و المرء .

(٨) فى بن : يحكم .

اتفقا فلا كلام . فقال : نِعِمَّ ما قلت . فكتب السلطان علامة أخرى ، فقال الرجل : غلبنا و الحمد لله . قال : و كيف ؟ قال : إن كانت الأولى ما هى خطك بيقين فهذه العلامة الثانية خطك بيقين . فضحك السلطان و عفى عن الرجل و أمر برزقه[1] .

و كان أول دولة بنى أيوب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى ، ولى[2] سنة أربع و ستين و خمسمائة[3] ، و استقل بالملك سنة ست و ستين و خمسمائة ، و بنى[4] قلعة الجبل بالقاهرة فى سنة خمس و سبعين و خمسمائة . و لما توفى السلطان صلاح الدين يوسف المذكور قام [5] بملك مصر[5] بعده ولده الملك العزيز عثمان[6] . ثم بعده الملك الأفضل قطب الدين[7] عثمان[8] بن صلاح الدين المذكور[9] . ثم بعده الملك

(١) زيد فى بن : قال الأصمعى قيل لشيخ من الأعراب قمت مقاما خفنا عليك منه . فقال الموت خفتم على و كيف يخاف الموت شيخ كبير و رب غفور و لا دين و لا بنات و لا صبية أطفال .

(٢) فى بن : فى .

(٣) فى هامش بر : «مدة توليته سنة ٥٦٦ . بناء قلعة الجبل سنة ٥٧٥» . و سلطنته ٥٦٤ - ٥٨٩ هـ = ١١٦٩ - ١١٩٣ م .

(٤) فى بر : بنا ، و هى فى بن : بنى .

(٥-٥) فى بن : بالملك من .

(٦) و هو العزيز عماد الدين عثمان و سلطنته ٥٨٩ - ٥٩٥ هـ = ١١٩٣ - ١١٩٨ م .

(٧) هذا خطأ صحته أن الذى خلف العزيز عثمان هو المنصور ناصر الدين محمد و سلطنته ٥٩٥ - ٥٩٦ هـ = ١١٩٨ - ١١٩٩ م .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

العادل[1] أبو بكر بن أيوب . ثم بعده الملك [٢٢٠ : الف] الكامل محمد[2] بن أبى بكر العادل ، و هو الذى بنى[3] المدرسة الكاملية[4] بين القصرين المسماة بدار الحديث . و انكسرت الإفرنج فى اليوم الذى ولى الملك الكامل فيه بكسر الجسور عليهم فى وقعة الفرنسيس بدمياط ،
٥ و كانت كسرتهم بالمنصورة بالقرب من أشمون الرمان ، و قد تقدم ذكر ذلك فأغنى عن إعادته . و قيل كان الملك العادل ظالما و ولده الكامل عادلا ، فقال بعضهم قصيدة منها :

يا ظالما سميت بالعادل　　لا عدل إلا للملك الكامل

و قيل أقام الكامل ملكا نحو ثلاثين سنة ، و الله أعلم .

١٠ و ولى ملك مصر بعد الكامل ولده نجم الدين[5] الملك الصالح أيوب

---

(١) و هو الملك العادل سيف الدين أبو بكر المشهور عند الفرنج باسم (Saphadın)و حكمه ٥٩٦ – ٦١٥ هـ = ١١٩٩ – ١٢١٨ م .

(٢) سلطنته ٦١٥ – ٦٣٥ هـ = ١٢١٨ – ١٢٣٨ م .

(٣) فى بر : بنا ، و هى فى بن : بنى .

(٤) فى هامش بر : المدرسة الكاملية . و فى بن لفظة « الكاملية » ساقطة .

(٥) سلطنته ٦٣٧ – ٦٤٧ هـ = ١٢٤٠ – ١٢٤٩ م و يلاحظ هنا أن المؤلف أخطأ بتولية الصالح نجم الدين بعد الكامل محمد ، و بذلك يكون قد تجاوز عن حكم العادل سيف الدين أبى بكر و هو ابن الكامل محمد و قد جاء حكمه بينهما .

ابن الملك الكامل ، وهو الذى بنى[1] المدرسة الصالحية [2] بين القصرين بالقاهرة ، وهو أستاذ الترك ، وقلاوون الصالحى أحد مماليكه . ثم ولى ملك مصر بعده الملك المعظم طرنشاه[3] بن أيوب . ثم بعده الملك الأشرف موسى بن أقسيس[4] . ثم بعده الملك المعز أيبك[5] التركمانى مملوك الصالح نجم الدين ، وهو الذى عمر المدرسة المعزية [6]برحبة الخروب[6] بمصر. ثم ولى ٥ الملك[7] بعده الملك المنصور[8] على بن أيبك . ثم ملك مصر بعده الملك المظفر قطز[9]

---

(١) فى بر : بنا ، وهى كذلك فى بن .

(٢) فى هامش بر : بانى الصالحية ، أستاذ الترك .

(٣) كذا فى الأصلين وصحته : المعظم توران شاه - وسلطنته ٦٤٧ - ٦٤٨ هـ = ١٢٤٩ - ١٢٥٠ م .

(٤) فى الأصلين : امس (بدون نقط) وصحته فى المقريزى (كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك . نشر محمد مصطفى زياده . القاهرة ١٩٥٧ ج ١ قسم ١ ص ٣٦٩) وشاركه فى الحكم بعض الوقت المعز أيبك مؤسس دولة المماليك البحرية .

(٥) أول المماليك البحرية المعز عماد الدين أيبك وحكمه ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ = ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م .

(٦-٦) ساقطة من بر وواردة فى بن .

(٧) فى بن : ملك مصر .

(٨) المنصور نور الدين على أيبك ٦٥٥ - ٦٥٧ هـ = ١٢٥٧ - ١٢٥٩ م .

(٩) حكمه ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ = ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م .

مملوك المعز[١] فقتلته زوجته شجر الدر و أخفته أربعة أشهر و أظهرت
للناس أنه ضعيف ، فلما تحقق أمره ولى الملك بعده ولده على الصالح ،
فرمى زوجة أبيه شجر الدر من أعلى القلعة إلى أسفل فهلكت ،
و مضى إلى الشام و رجع منه طالبا القاهرة ، فقتله[٢] الأمراء فى الطريق.
٥ و ولى الملك بعده الملك الظاهر بيبرس[٣] مملوك بندقدار الصالحى ، و هو
الذى عمر المدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة ، وصلى بالجامع
الأزهر الجمعة ، و لم تكن الجمعة تقام فيه من زمن نقل الحاكم منصور
العبيدى الجامع منه إلى جامعه المعروف به بالقاهرة بين باب النصر و باب
الفتوح فصار الجامع الأزهر بغير خطبة فى المدة المذكورة ، فتشعث
١٠ حاله و تغيرت رسومه ، فأمر الملك الظاهر بعمارته و بياضه و إقامة الخطبة
فيه [٤]فاستمرت إلى الآن[٤] .

[أبواب القاهرة]

و للقاهرة[٥] أبواب عدة ، منها باب زويلة و باب القنطرة و باب

---

(١) فى هامش بر بغير قلم الناسخ : هذا خبط زائد فان الذى قتلته زوجته أيبك التركمانى و أما قطز فعند عودته من قتال التتر قتله الظاهر بيبرس باتفاق الأمراء.
(٢) فى الأصلين : فقتلته .
(٣) حكمه ٦٥٨ — ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ — ١٢٧٧ م .
(٤—٤) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٦٩ : الف] .
(٥) فى هامش بر : عدة أبواب القاهرة .

النصر

النصر و باب سعادة و باب الفتوح و باب الفرج[١] ، فقال [٢٢٠ : ب] بعضهم فى باب الفتوح و باب الفرج بيتين تورية[٢] و هما :

لا بد أن يرضى الزما ن و ينصلحُ بعد الحرج
رب فتح باب الفتوح يفتح لنا باب الفرج

[أخبار الظاهر بيبرس][٣] ٥

ثم أن الملك الظاهر بيبرس فتح فتوحات كثيرة ، منها أرصوف و الطبور[٤] و صفد و مرج بنى عامر و الشقيف و بانياس و الصبيبة و حصن عكا[٥] و حصن ابن الأحمر و حصن الأكراد ، و نزل على طرابلس بعساكره و حاصرها ، فأرسلت الإفرنج التى بها يقولون[٦] لملك الإفرنج بأنطاكية : انجدنا[٧] سرعة فان الملك الظاهر قد حاصرنا ، فأتت جواسيس الملك ١٠ الظاهر أخبروه بذلك فأمر النقباء أن تعلم الجيش بالرحيل بعد فراغ الخيل من عليقها و أن يتركوا الخيام على حالها و النيران تقد ، و أخذوا

(١) زيد فى بن : و غيرها . و الأبواب فيها وردت على غير هذا الترتيب فى بر .
(٢) الكلمة ساقطة من بن .
(٣) فى هامش بر : فتوحات الملك الظاهر بيبرس .
(٤) فى الأصلين : و الطور .
(٥) فى الأصل : حصن عكار .
(٦) فى بن : تقول .
(٧) فى بن : أدركنا .

ما يحتاجونه و تركوا الفاضل . و أمر الأدلاء فى الليل أن يقصدوا به أنطاكية ، فساروا[١] حتى أتى قريبا من أنطاكية قبل الفجر من غير حس و لا خبر . فلما أصبح الصباح و فتحت أهل أنطاكية أبوابها رحل من منزلته التى نزل بها ، و حرك و هجم بعسكره دخلها[٢] فلكها بكل ما فيها ٥ من مال و رجال و حريم و ذرارى – هذا ما كان منه .

و أما ما كان من أهل طرابلس النصارى[٣] فانهم عند صباح رحيل الملك الظاهر ، نظروا من أعلا السور فلم يروا بوطاقه أحدا ، ففرحوا و عطعطوا و قالوا : رحل[٤] المسلمون عنا خوفا منا °و تركوا خيامهم و أثقالهم من شدة الخوف الذى جعل لهم° . ففتحوا أبواب ١٠ البلد و نهبوا الوطاق بما ترك فيه من الأثقال . و وافاهم صاحب أنطاكية الكافر من البحر[٦] فدخل طرابلس بمن معه من الجيش ، فمدوا له الأطعمة[٧] فأكل و أحضروا الخمور فشرب[٨] ، و صاروا يغنون و يرقصون

(١) فى بن : فسار .
(٢) فى بن : و دخلها .
(٣) فى بن : الإفرنج .
(٤) فى الأصلين : رحلت .
(٥ – ٥) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن [١٦٩ : الف ، ب] .
(٦) فى بن [١٦٩ : ب] : فى مراكبه فى البحر .
(٧) فى بن : اطعمة .
(٨) فى بن : فشربوا .

على حس آلات الطرب[1] و يقولون: الظاهر من مخافتنا هرب. فبينما هم في زهوهم و لهوهم و إذا الخبر[2] قد ورد عليهم بالعطب، فلحقتهم الكُرَب[3]، [4]فانقلب فرح أهل طرابلس ترحا[4]، و صار صاحب أنطاكية من القهر[5] شبحا، و قال[6] لأهل طرابلس: لا كانت ساعتكم، قطع المسيح جادرتكم، أنتم تفرحون و ترقصون، و بلدى ملكها[7] المسلمون، و نهبوا أموالى و بلادى، و أسروا حريمى و أولادى. فصارت النصارى عما[8] سمعوا منه يائسين، و من [9]سوء أحوالهم[9] آئسين. و استعظموا أمر الملك الظاهر، إذ صار على النصارى مظفرا[10] ظاهر[11]، [٢٢١ : الف] نخاف منه كل علج كافر، و قالوا: ما بقى لنا معه حليف و لا ناصر، و إذ هو[12]

(١) في بن: الملاهى.
(٢) في بن: بالخبر.
(٣) في بن: المرض و الكرب.
(٤ - ٤) في بن: و انقلب فرحهم ترحا.
(٥) في بن: الهم.
(٦) في بن: فقال.
(٧) في الأصلين: ملكتها.
(٨) في بن: بما.
(٩ - ٩) في بن: سوء احلهم.
(١٠) ساقطة من بن.
(١١) صوابها «ظاهرا» و لكن تركناها بحكم السجع.
(١٢) في بن: إذ.

قد فتح أنطاكية فلم يبق[1] لنا معه باقيه ، و ستصير طرابلس منا خاويه[2] ، لا شكوى إلا للمسيح [3] ولأمه ماريه[3] . قيل إن دور سور مدينة أنطاكية اثنا[4] عشر ميلا ، و عدد بروجها مائة و ستة و ثلاثون برجا ، و عدد شرافات[5] سورها أربعة و عشرون ألف شرافة .

٥ و قيل : كان الملك الظاهر[6] فى بدايته مملوكا للامير بندقدار الصالحى ، و أن بندقدار عدى يوما من مصر إلى الجيزة يسرح بأرضها ، فوجد فى طريقه جميزة ، وكان الحر[7] فقصد أن يقيل تحتها و يستظل بظلها ، و كان بيبرس المذكور بشمقدار يحمل شرموزة[8] أستاذه الأمير المذكور ، فادعى به يلبسه[9] مشايته[10] لينزل عن فرسه فأتى إليه و معه[11]

---

(١) فى بر: يبقى . و صحتها فى بن .

(٢) فى بن : خاليه .

(٣-٣) فى بن : و ماريه .

(٤) فى الأصول : اثنى .

(٥) فى بن : شرفات .

(٦) فى هامش بر : مطلب ، واقعة لطيفة .

(٧) فى بن : وقت القايلة .

(٨) فى بن : زرموزة .

(٩) فى بن : ليلبسه .

(١٠) كذا فى بن ، و مكانها بياض فى بر .

(١١) الكلمة مقطوعة فى بر بالتجليد ، ولكنها واردة فى بن .

واحدة

واحدة[1] و قد وقعت منه الثانية[2] من غير علمه بوقوعها ، فغضب الأمير عليه و أخذ منه تلك الفردة ضربه بها على رأسه حتى تقطعت ، ثم ضرب الدهر ضرباته ، فأعتقه أستاذه المذكور ، و كان من أمره فى التقدم ما كان إلى أن ولى ملك مصر ، فعدى يوما إلى الجيزة فى عساكره[3] ، و مر بتلك الجيزة نفسها ، فوقف[4] و ادعى [5]بالأمير بندقدار معتقه[5] ، ٥ [6]فأتى إليه[6] ، فقال له : تعرف هذه الجيزة ؟ قال : نعم أيها الملك بصبرك على ذلك القهر صرت ملك مصر . فأعجب الملك الظاهر كلامه و خلع عليه و زاده فى اقطاعه و قال : صدق فيما قال ، لو لا فعل اخوة يوسف بيوسف[7] ما فعلوا ما صار [8]ملك مصر[8] ، [9]فمن صبر ظفر و البلايا مفاتيح الأرزاق[9] – انتهى . ١٠

---

(١) فى بن : فرده .

(٢) فى بن : الأخرى .

(٣) زيد فى بن : المبرحة .

(٤) زيد فى بن : بازائها .

(٥–٥) فى بن : بمعتقه الأمير بندقدار .

(٦–٦) ساقطة من بن .

(٧) فى بن : به .

(٨–٨) فى بن : ملكا بمصر .

(٩–٩) ساقطة من بر و واردة فى بن .

[الإقطاع]

قال المؤلف ١اغفر الله له وللمسلمين أجمعين١، و إذ قد ذكر الإقطاع[٢] فسأذكر ما قيل فى إجارته إذا خرج عن مؤجره ٣عقيب إجارته٣.

سئل بعض العلماء فى مؤجر[٤] أجر إقطاعه مدة معلومة، فخرج الإقطاع
٥ منه إلى غيره قبل انقضاء المدة، فقصد المقطع الثانى تسليم الناحية إليه فامتنع المستأجر عن تسليم ذلك، فهل للقطع الثانى نزع الناحية من يد المستأجر أو يطالبه بالأجرة أو يطالب المقطع الأول بالأجرة إذا كان قد التمسها من المستأجر أو شيئا منها؟ فأجاب: إذا أجر الإقطاع مدة ثم انقطع حق المؤجر فى أثناء المدة بموت أو إخراج السلطان له فان المقطع
١٠ الثانى مخير بين إمضاء الإجارة و بين فسخها، فان فسخها كان للستأجر من المنفعة ما للقطع الأول [٢٢١ : ب] و عليه من الأجرة بقدر ذلك، فاذا كان خروج الإقطاع فى أثناء السنة مثلا و نصف المنفعة للقطع الأول و نصفها للثانى، كان للستأجر نصف المنفعة و عليه للؤجر الأول نصف الأجرة و النصف الثانى يرجع به عليه إن كان سلفه إياه، ثم إن
١٥ أمضى المقطع الثانى الإيجار كان له نصف الأجرة يطالب بها المستأجر، و إن أحاله على المقطع الأول فأسلفه إياه فله أن يقبل الحوالة و له أن لا يقبل، و الله أعلم[٥].

(١-١) فى بن: رحمه الله تعالى . (٢) فى هامش بر: إجارة الأقطاع .
(٣-٣) ساقطة من بن . (٤) فى بن: مؤاجر .
(٥) زيد فى بن [١٧٠ : الف]: انتهى نعود .

[وقعة بيبرس و محيي الدين النووى]

و قيل إن[1] الملك الظاهر بيبرس لما توجه بعساكره إلى الشام بسبب التتر حين تحركت عليه أخذ فتاوى الفقهاء [2] بأن يجوّزوا [2] له أن يأخذ من الرعية مالا يستعين به على قتال العدو، فكتب له فقهاء الشام بذلك. فقال هل بقي عندكم أحد من الفقهاء؟ قالوا: نعم، بقي الشيخ الصالح[3] محيي الدين النووى. فطلبه فحضر [4] فأوقفه على الفتاوى [4] و قال[5]: اكتب خطك مع خطوط الفقهاء. فامتنع من ذلك، فقال له: ما سبب امتناعك؟ قال: أعرفني من ذلك. قال: ما[6] السبب في ذلك اذكره لي. قال: أعرف أنك كنت مملوكا[7] للأمير بندقدار و ليس لك مال، ثم يسّر الله لك أمرا على المسلمين [8] فوليت الملك[8]، و سمعت أن عندك كذا[9] ألف مملوك، كل مملوك منهم حياصته بألف[10] دينار، و عندك مائتي جارية

(١) زيد في بن: السلطان.

(٢–٢) في بن: أنه يجوز.

(٣) زيد في بن: الورع – و بهامش بر: واقعة النووى مع الظاهر بيبرس.

(٤–٤) ساقطة من بر و واردة في بن.

(٥) كذا في بن، و هي في بر: فقال.

(٦) الكلمة ساقطة من بن.

(٧) في بن: في الرق.

(٨–٨) الكلمتان ساقطتان من بن.

(٩) الكلمة ساقطة من بر، و واردة في بن.

(١٠) في بن: بماية.

كل[1] جارية [2] عندها حق[2] حلى يزيد على عشرة آلاف دينار ، فاذا أنفقت ذلك كله و بقيت مماليكك ببنود الصوف بدلا من تلك الحوايص و بقيت جواريك بثيابهن دون الحلى حينئذ أفتى لك بجواز أخذك المال من الرعية . فغضب الملك الظاهر من كلامه و قال : اخرج من بلدى ، ٥ يعنى دمشق . قال : سمعا و طاعة[3] . و انتقل[4] منها إلى بلده[5] نوى ، و هى ضيعة بأرض حوران . فقالت الفقهاء للملك الظاهر بعد ذلك : إن هذا [6] الذى أمرت بخروجه من دمشق[6] الفقيه من كبار [7] العلماء و الصلحاء و من[7] يقتدى به فأعده إلى دمشق ، فرسم برجوعه إليها ، فساروا إليه و رغبوه فى الرجوع إلى دمشق ، [6] و قالوا قد رسم السلطان برجوعك ١٠ إليها[6] فامتنع و قال : لا أدخلنها و الملك الظاهر بالحياة أبدا . فلما كان بعد شهر كان الملك الظاهر فى نفسه شىء من بعض أمرائه ، فصنع له شربة مسمومة و دسها بين شربات غير مسمومة ، فلما قصد [8] أن يسق الأمير

---

(١) فى بن : لكل .

(٢-٢) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٣) فى بن : و طاعا .

(٤) فى بن : فانتقل .

(٥) فى بن : بلد .

(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٧-٧) فى بن : علمائنا و صلحائنا و من .

(٨) فى بن : اراد .

تلك

تلك الشربة المسمومة غلط فيها [1] فشرب هو المسمومة [1] ، [٢٣٢ : الف]
فمات و شرب الأمير غير المسمومة فسلم [2] . فلما سمع [3] الشيخ محيي الدين
بموت [4] الملك الظاهر دخل دمشق . و هو محيي الدين يحيى [5] بن شرف
ابن موسى بن حسن بن حسين بن جمعة الجذامى أبو زكريا العالم العلامة
الشافعي شيخ المذهب و كبير الفقهاء فى زمانه . ولد سنة إحدى و ثلاثين ٥
و ستمائة بنوى ، و قدم دمشق سنة تسع و أربعين ، فقرأ التنبيه فى
أربعة أشهر و نصف . ثم لزم المشايخ تصحيحا و شرحا ، ثم عنى [6]
بالتصنيف [7] فشرح كتاب مسلم فى الحديث ، و صنف الروضة و المنهاج
و الرياض و الأذكار و تحرير التنبيه و تصحيحه و تهذيب الأسماء و اللغات
وطبقات الفقهاء وكتاب الإيضاح فى مناسك الحج وكتاب الإيجاز فى المناسك ١٠
و غير ذلك . وكان رحمه الله [8] من الزهاد و العباد [9] و التجرد و الورع [9]

(١-١) فى بن : فشربها هو .
(٢) زيد فى بن : هكذا قيل و الله تعالى أعلم .
(٣) فى بن : بلغ .
(٤) فى بن : وفاة .
(٥) بهامش بر : محيي الدين النووى .
(٦) فى بن : اعتنى .
(٧) بهامش بر : مؤلفاته .
(٨) زيد فى بن : تعالى .
(٩) الكلمة ساقطة من بن .

و الانجماع عن الناس و التخلى لطلب العلم[١]، و كان يصوم الدهر[٢] و لا يجمع بين إدامين . حكى[٣] أنه كان يدفع لبواب المدرسة الذى[٤] هو ساكن بها فلسين يشترى له بهما[٢] حمصا مصلوقا يفطر عليه فيشتريه بهما له . فلما كان فى بعض الليالى قال البواب : لا بد لى الليلة ٥ أن أفتن الشيخ فاشترى له حمصا، و جعل[٥] عليه زيتا و طحينة و خلا و كمونا و ملحا . فأتى[٦] به إليه[٧]، فنظر إلى ذلك[٨] فاستغربه و قال[٩]: ما هذا ؟ فقال[١٠]: يا سيدى هكذا تأكل الناس الحمص بحوائجه . فقال : قال النبى صلى الله عليه و سلم « نعم الإدام الخل » و لم يجمع رسول الله صلى الله عليه و سلم بين إدامين قط، فالحمص وحده إدام و الزيت إدام

---

(١) زيد فى بن : على جانب .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) بهامش بر : مطلب يذكر فيه أخبار الإمام العلامة شيخ الإسلام محيي الدين النووى.

(٤) فى بن : التى .

(٥) زيد فى بن : له .

(٦) فى بن : و أتى .

(٧) فى بن : له به .

(٨) فى بن : إليه .

(٩) فى س : فقال .

(١٠) فى بن: قال .

و الطحينة إدام و الخل إدام و الكمون إدام ، فانا لا نأكل غير[1] إدام واحد ، كله أنت و لا تعد لمثـــل ذلك . ٢فأخذته و اشتريت له حمصا وحده ، ٣و أتيت به إليه فقبله٣ . و كان[4] الناس يأتون إليه يقرأون[5] القرآن عليه ، وكان فيهم صبي يقرأ عليه و الشيخ لا ينظر إليه اصغر سنه و حسن وجهه ، فلما كان بعد سنة من حين قراءته عليه قال : من أبوك ؟ ٥
قال : فلان الحلاوى فأتى الصبي إلى والده ذكر له ذلك ، ففرح بسؤال الشيخ عنه ، فصنع ٦ الرجل من السكر حلاوة مطيبة بماء الورد و المسك و العنبر٦ و لوّنها ألوانا ٣ و ملأ طبقا كبيرا٣ و غطاه و أتى به إلى الشيخ . ٣ فدق بابه دقا خفيفا فقال : من٣ ؟ [7]و قال له[7]: عبدك الحلواني [8] أبو الصبي الذي سألته بالأمس [9]بعد قراءته[9] عى ، و قد أتيتك بما معى أرجو بركتك ١٠
فاقبله منى . ٣ فأمره بالدخول فدخل و وضع الطبق بين يديه٣ . و رفع

(١) ف بن : إلا .

(٢) زيد ف بن : قال .

(٣ - ٣) ساقطة من بر و واردة ف بن .

(٤) عن بن ، و ف بر : و كانت .

(٥) ف الأصلين : يقرون .

(٦ - ٦) ف بن : حلوى طيبة من سكر و وضع فيها المسك و الما ورد و العنبر الخام .

(٧ - ٧) ف بن : قال .

(٨) ف بن : الحلوى .

(٩ - ٩) ساقطة من بن .

الغطاء عن الطبق ، فنظر الشيخ لتلك الحلوى [٢٢٢ : ب] [١] وهى ما بين أصفر و أحمر و أخضر و أبيض [١] ، و رأى منها ما هو متطاولى و ملوى و مدور و مشوبر و مبسوط ، و قد سعطت [٢] تلك الروائح الطيبة العبقة إلى خياشيمه فقال : هـذا طعام الجبابرة ، ارفعه عنى عافاك الله . فرفعه

٥ الحلوانى و رجع به إلى حانوته مكسور الخاطر على عدم قبوله منه - انتهى . و كان الشيخ محيي الدين المذكور على جانب كبير من الورع و الزهد فى الدنيا . و كانت وفاتـه فى ليلة الجمعة ثانى عشر ربيع الأول سنة ست و ستين [٣] و ستمائة - انتهى .

نعود إلى من ولى مصر بعد وفاة الملك الظاهر بيبرس - ولى [٤] ملك مصر

١٠ بعده [٥] الملك السعيد [٦] . ثم ولى بعد الملك السعيد الملك العادل شلامش [٧] ابن بيبرس و أتابك عسكره الأمير سيف الدين قلاون الصالحى . فخلعه قلاون من الملك و نفاه ، كما قيل إلى بلاد الإفرنج ، و الله [٨] أعلم .

(١ - ١) فى بن : التى منها الأصفر و الأحمر و الأخضر و الأبيض .
(٢) فى بن : سطعت .
(٣) و ربما كانت صحة التاريخ «وسبعين» كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية .
(٤) فى بن : ثم .
(٥) فى بن : بعد وفاته .
(٦) وهو الملك السعيـد ناصر الدين محمد بركة خان بن الظاهر بيبرس و سلطنته ٦٧٦ - ٦٧٨ هـ = ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م .
(٧) و هو الملك العادل بدر الدين سلامش و كانت سلطنته قصيرة فى ٦٧٨ هـ = ١٢٧٩م .
(٨) زيد فى بن : تعالى .

[أخبار السلطان قلاون]

و ولى[1] قلاون[2] ملك مصر و لقب بالمنصور . و أتى فى دولته منكوتمر التترى ابن خال الملك ابغا ابن الملك هلاون[3] طامعا فى الشام . فتفق الملك المنصور قلاون فى جيوش مصر و خرج بهم للقائه ، فكان اجتماعهم فى حمص ، و عضده فى الملك [4]الأميران الكبيران[4] البيسرى و الحلبى ، ٥
و جاءه الأمير[5] سنقر الأشقر من قلعة صهيون بعد أن كان امتنع من مبايعته له ، ففرح[6] السلطان به و قال له: ياخشداش[7] أرسلت [8] لك كتابى فلم تأت[8] و جئتنى الآن بغير[9] طلب . فقال: ما أتيت إلا [10] نصرة للسلمين[10] ، و الموافقة على لقاء العدو اللعين . ففرح السلطان و المسلمون به[5] ، و قاتلوا منكوتمر التترى ، فكانت كسرة التتر على يد الأمير سيف الدين أزدمر ، ١٠

(١) فى بن : ثم ولى .

(٢) وهو الملك المنصور سيف الدين قلاون و سلطنته ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ/=١٢٧٩ - ١٢٩٠ م .

(٣) فى بن : هلاكو .

(٤ - ٤) فى الأصل بر : الأميرين الكبيرين - و صحته فى بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : ففرع .

(٧) فى بن : يا خشد .

(٨ - ٨) فى بن : إليك لتأت إلى فلم تأتنى .

(٩) فى بن : من غير .

(١٠ - ١٠) فى بن : لنصرة المسلمين .

فدا[١] المسلمين بنفسه، فمات شهيدا بحيلته التى دبرها، فحصل لهم به النصر، و حصل له جنة الماوى بالشهادة التى رزقها، و صار له جميل الذكر بما خيل له فهمه من الفكر. و ذلك أن الأمير أزدمر المذكور جمع حاشيته و جماعته[٢] و مماليكه و غلمانه فى الليل و قال لهم: إنى غدا فاعل أمرا ٥ أرجو به أجرا و لست أكرهكم عليه إلا من رضى. ثم عمد إلى مماليكه أعتقهم و أعطى كل واحد منهم مالا، و فرق على غلمانه و حفدته المال [٣]من خزانته و ذلك فى الليل[٣]، ثم قال[٤] لهم: إنى[٢] فى غداة[٥] أفدى المسلمين بنفسى، أخرج الى العدو فى صفة رسول، فاذا قربت من الملك منكوتمر قتلته فأقتل حينئذ، فمن أراد الجنة فليتبعنى[٦]، [٢٢٣ : الف] فتبعه مملوك ١٠ واحد و رجل كان عنده جمالا يسمى[٢] عليا السيروان. فكان الجمال[٧] المذكور بين يدى أزدمر و مملوكه على فرس خلفه، و أزدمر راكبا على فرس قد ربط كتابا مطويا فى عقب رمحه، و جعل سنان رمحه خلف ظهره [٣]و ودع السلطان و الأمراء[٣]، و برز بين الصفين و صرخ قائلا: أنا رسول إلى الملك. فلما سمعوا تكرار مقالته تلك أفرجوا[٨] له طريقا،

(١) فى بن: فدى.
(٢) ساقطة من بن.
(٣ – ٣) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٤) فى بن: و قال.
(٥) زيد فى بن: غد.
(٦) فى الأصل: فيتبعنى. والأصح فى بن كما أوردنا بالنص.
(٧) فى بن [١٧١ : الف] : المال – وهو خطأ قلمى واضح.
(٨) فى بن: أفرجت التتر.

فلما قرب من الملك منكوتمر[1] ، قلب رمحه و طعنه بسنانه[2] طعنة ألقاه
عن فرسه قتيلا . فترجل جيشه عند وقوعه، فداستهم عند ذلك عساكر
المسلمين . و قتل الأمير أزدمر و مملوكه و السيروان باختطاف سيوف
التتر لهم حين وقوع الملك منكوتمر[3] . و انتصر المسلمون على العدو المخذول
قتلوه و غنموه . فبينما الملك المنصور بالنصر مسرورا ، إذ [4]نادى مناد[4] ٥
فى ذلك النادى : نصيحة لمولانا السلطان . فسمعه السلطان فطلبه فحضر
فقيل له : ما نصيحتك ؟ فقال : إن نصارى أهل الذمة ببلد قارا صاروا
يتخطفون المسلمين من الطرق[5] يكبلونهم بالقيود و يرسلونهم إلى طرابلس
يبيعونهم بها للافرنج[6] ، و قد صار[7] المسلمون بفعلهم ذلك معهم فى العذاب
و الهوان ، و قد فعلوا بى ذلك و باعونى بها فتحيلت و هربت ، و قد أتيت ١٠
مستغيثا بالله و بمولانا السلطان ، فأغث المسلمين المأسورين بفعل نصارى
قارا الذميين . فلما سمع السلطان مقالته أمر بالحفظ به و رحل طالبا
دمشق . [8]فبينما هو سائر[8] إذ رأى بلدا [8]على طريقه[8] ، فسأل[9] عنها ، فقيل[10]

(١) فى بر : ابغا . و فى بن : التتر . والواضح من السياق ما أوردناه بالنص .
(٢) فى بن : بسرعة .
(٣) فى الأصل : ابغا ، وهى ساقطة من بن ، وصوابها واضح كما فى النص .
(٤-٤) فى بن : منادى ينادى . و زيد بعدها : بأعلا صوته . و فى بر : منادى .
(٥) فى بن : الطرقات .
(٦) فى بن : للفرنج .
(٧) فى الأصلين : صارت .
(٨-٨) الجملة ساقطة من بن .
(٩) كذا فى بن وهى فى بر : فسئل .
(١٠) فى بن : قيل .

هي قارا . فنزل عليها فخرجت أهلها النصارى له بالإقامات، و كان بها
ألف نصرانى ليس بينهم مسلم واحد . فلما وقع نظر السلطان على القسيسين
و الرهبان مع تلك الإقامات[١] ، أمر بكل نصرانى بقارا[٢] أن[٣] يخرج منها[٤]
إلى العرض، فدخلها[٥] الجند أخرجوا[٦] كل نصرانى كان بها فى الحبال،
٥ فقدموا إلى السلطان فقال لهم: أنتم[٧] أهل قارا الذميون[٨] . قالوا: نعم .
قال: بلغ من أمركم و أنتم تحت الذمة إلى أن صرتم تتخطفون المسلمين من
الطرق تبيعونهم للافرنج[٩] بطرابلس . فقالوا: حاشا لله أن نفعل[١٠]
ذلك، و إنما نحن تحت الذلة و المسكنة و الطاعة . فادعى السلطان حينئذ
باحضار المسلم المتخطف[١١] به فحضر . فقال له: إنك ادعيت أن نصارى
١٠ قارا أسروك [٢٢٣ : ب] و باعوك بطرابلس، و أنهم صاروا يتخطفون
المسلمين و يبيعونهم بها[٤]، و قد أنكروا ما ذكرت عنهم[١٢] فما حجتك عليهم[١٢]

(١) فى بن : الإقامة .
(٢) فى بن : بها .
(٣) عن بن، و هى ساقطة من بر .
(٤) ساقطة من بن
(٥) فى الأصلين : فدخلتها .
(٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٧) فى بن : انت .
(٨) فى الأصلين : الذميين .
(٩) فى بن : للفرنج .
(١٠) فى بن : نكون نفعل .
(١١) فى بن : المختطف
(١٢ – ١٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .

دصار

فصار الرجل يذكر لهم فعلهم بأدلة ذكرها لهم[1] و أماير[2] حققها و أظهرها ، فقويت حجته عليهم ، فسقط ما بأيديهم ، [3]فعند ذلك دحضت حجتهم و ظهرت فضيحتهم[3] ، فأمر السلطان بقتلهم ، فقتلوا عن آخرهم ، و أخذت أموالهم ، و سبيت نسوانهم[4] و أطفالهم ، و سكن المسلمون قارا بعد هلاك النصارى ، و جعلت كنائسهم مساجد[5] ، فكثر بها الراكع و الساجد ، ٥ و بدل الناقوس بالأذان ، و الكفر بالإيمان ، فلله الحمد و الشكر على ذلك .

و اعلم أن أهل الذمة إذا خرجوا قاطعين لطريق المسلمين مخيفين لهم[6] ، فهل يكون ذلك [7]نقضا للعهد أو لا[7] ؟ مذهب ابن قاسم[8] — و هو المشهور — أنه لا يكون نقضا . و قال ابن مسلمة هو نقض للعهد ، و رجحه بعض الشيوخ بمسألة إكراه المسلمة على الزنا ، فذهب ابن القاسم[9] ١٠ بأن الذى[10] أكره المسلمة على الزنا[11] يقتل — انتهى .

نعود[12] — ثم ان السلطان الملك المنصور قلاون بقى فى نفسه من

---

(١) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢) جمع « أمارة » فى اللغة المصرية الدارجة بمعنى إشارة أو علامة أو دليل .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) فى بن : نساؤهم . (٥) فى بن : مساجدا . (٦) فى الأصلين : لها .

(٧-٧) فى بن : نقض العهد أم لا .

(٨) فى بن : القاسم . (٩) فى بن : القسم .

(١٠) فى بن : المسلم إذا — و بهامش بر : ط الذمى .

(١١) زيد فى بن : انه .

(١٢) الكلمة ساقطة من بن .

طرابلس الشام[١] شيء، [٢]فرحل من قارا و نزل على[٢] دمشق، ففرح[٣] به أهلها[٤]، و زينوا البلد لقدومه و نصره على التتر [٥]بالحلى و الحلل و الستور و الكلل[٥]. فأقام حتى استراحت العساكر، و ارتحل منها طالبا مصر بالغنائم التى اكتسبها. ثم بعد ذلك بمدة[٦] عزم على فتح طرابلس، ٥ فجهز لها العساكر و قصدها فى عام ثمان[٧] و ثمانين و ستمائة، فحاصرها[٨] و نصب عليها تسعة عشر منجنيقا، و رماها بالحجار[٩]، فى الليل و النهار، إلى أن أخرب منها الديار. فكان مدة حصاره لها أربعة و ثلاثين يوما، و قيل أربعة و خمسون[١٠] يوما. فحينئذ طلعت الصناجق[١١] المنصورة إلى المدينة، فقتلوا و أسروا و غنموا الغنائم الكثيرة، وهرب بعض الإفرنج[١٢] ١٠ من البلد فى المراكب دخلوا الجزائر، فحصل فى قبضة السلطان منها ألف و مائتا[١٣] أسير. وكانت الإفرنج[١٢] ملكتها من المسلمين فى سنة

(١) الكلمة ساقطة من بن.
(٢-٢) فى بن: فرجع من قارا إلى.
(٣) فى الأصلين: ففرحت.
(٤) زيد فى بن [١٧١ : ب]: المسلمون.
(٥-٥) الجملة ساقطة من بن.
(٦) الكلمة ساقطة من بر، و واردة فى بن.
(٧) فى بن: ثمانية. (٨) فى بن: و حاصرها.
(٩) فى بن: بالحجارة. ــ وهو الأصح ولكن تركناها كما فى بر لضمان السجع.
(١٠) فى بن: و خمسين. (١١) فى بن: السناجق. (١٢) فى بن: الفرنج.
(١٣) فى الأصلين: و مائتى.

ثلاث و خمسمائة بعد أن حوصرت سبع سنين ، و صاحبها يومئذ أبو على عمار بن محمد بن عمار . فلما فتحها الملك المنصور قلاون ، أمر بخرابها[1] و هدم أسوارها ، فأخربت ديارها ، و رميت أسوارها . و أمر ببناء طرابلس التى هى الآن بعيدة من الساحل عوضها . و رحل السلطان إلى مصر مسرورا مؤيدا منصورا . فأقام بقلعة الجبل إلى أن توفى[2] سنة ٥ تسع و ثمانين و ستمائة ، و دفن [٢٢٤ : الف] بقبة المنصورية التى عمرها له بأمره الأمير علم الدين الشجاعى ، و المدرسة و المارستان أيضا بين القصرين بالقاهرة ، فكانت مدة مملكته إحدى عشرة[3] سنة و ثلاثة أشهر فولى ملك مصر بعده الملك الأشرف[4] صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاون . ١٠

[سلطنة الأشرف خليل]

و فى شهر شعبان سنة تسع و ثمانين وستمائة ثار جماعة من الإفرنج[5] بعكا و قتلوا جماعة كثيرة من المسلمين بها[6] ، كانوا دخلوها بسبب التجارة ، و أرسل[7] أهل عكا يعتذرون للسلطان الملك الأشرف أن ما[8] فعله

(١) فى بن : باخرابها . (٢) زيد فى بن : فى . (٣) فى بن : احد عشر .
(٤) وسلطنته ٦٨٩ — ٦٩٣ هـ = ١٢٩٠ — ١٢٩٣ م .
(٥) فى بن : الفرنج .
(٦) الكلمة ساقطة من بن .
(٧) كذا فى بن و الكلمة فى بر : و أرسلوا .
(٨) فى الأصلين : إنما .

إلا جماعة من الإفرنج[1] الغرباء الذين أتوا عكا فى هذه الأيام، و إنه لم يكن عن رضائهم[2] و لا أرادوه[3]، و كان ذلك من أقوى الأسباب فى تجهيز السلطان الملك الأشرف بالعساكر و خروجه لحصار عكا فى السنة المذكورة، و زحفت العساكر على عكا، [4]و نصب عليها المجانيق. و قيل كان فى أسرى المسلمين بعكا رجل بوّاق طالت إقامته عندهم و لم يقدر على الهرب، فجعلوه بواقا لهم على السور، فلما رمى منجنيق المسلمين على عكا لم يصل الحجر إلى السور، بل بقى من وصوله نحو ذراع أو ذراعين، فصار المسلم المبوق على السور يقول فى بوقه: قدموا قدموا. و تكرر هذا اللفظ بصوته فيه، ففهم مبوقوا[5] المسلمين قوله ذلك، فأعلموا السلطان به، فقال لأصحاب المنجنيق: قدموه! فقدموه و رموا به رميا مترادفا فأخربوا جانبا من السور. و زحف[6] المسلون فدخلوها[4] و ملكوها[7] بعون الله تعالى، فقتلوا و أسروا و غنموا غنائم كثيرة. وكان مدة حصارها أربعة و أربعين يوما وكان عليها نحو سبعين منجنيقا كبارا و صغارا. و أمر باخرابها [8]فتواتر الرمى عليها بالمجانيق[8]

(١) فى بن: الفرنج. (٢) فى بن: رضا منهم. (٣) فى بن: ارادة.
(٤-٤) هذه العبارة بكاملها ساقطة من بر و واردة فى بن ويكتمل الكلام بها، وهى فى بن [١٧١ : ب].
(٥) فى بن: مبوقين.
(٦) فى بن: زحفت.
(٧) كذا فى بن، وهى فى بر: فملكوها.
(٨-٨) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن.

فأخربت

فأخربت ، و هي الآن [١]خراب يباب[١] ، [٢]و إلى جانبها طائفة من المسلمين سكانا[٢] ، . . في جبلها مقطع [٣]الأرحية التي للطواحين[٣] . و وصل إلى الملك الأشرف بعد فتحه لعكا مفاتيح صور و صيدا و بيروت و انطرسوس و عدة قلاع أخلتها[٤] النصارى لعلمهم أنهم بعد فتح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لبيت المقدس و فتح السلطان الملك الظاهر لأنطاكية ٥ و فتح السلطان الملك المنصور قلاوون طرابلس و فتح السلطان الملك الأشرف لعكا [٥]لم يبق لهم في برهم سكنى معهم[٥] ، فصار[١٠] إذ ليس لهم طاقـــة بالسكنى بين المسلمين ، فأخلوها و دخلوا جزر البحر سكنوها ، و وصلت البشائر إلى القاهرة بفتح عكا و إخرابها ، فزينت القاهرة أحسن زينة ، و حصل عند العالم مسرة عظيمة بأخذ ثأر قتلى[٦] التجار المسلمين ١٠ بها ، و بخرابها و طهارة سواحل المسلمين من الإفرنج[٧] الكافرين . و رحل الملك الأشرف و أتى إلى القاهرة فدخلها[٨] من باب النصر و أسارى أهل

(١-١) في بر : خرابا يبابا . . . و لفظة « يبـابا » ساقطة من بن ، و ربما كانت الكلمة « يباب » .

(٢-٢) في بن : و في جانبها قرى للمسلمين .

(٣-٣) في بن : الرحى و هي حجارة الطواحين .

(٤) في بن : احتلها .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) كذا في بن [١٧٢ : الف] ، و هي في بر : قتلا .

(٧) في بن [١٧٢ : الف] : الفرنج .

(٨) عن بن ، و في بر : دخلها .

عكا قدامه، و شق المدينة و هي مزخرفة بالزينة، فدعوا[1] الناس له و هنّوه بالنصر إلى أن وصل إلى القصر.

[2]قال بعض العلماء: تكره التجارة إلى أرض العدو لأن فيه تغريرا للانسان بنفسه و ماله و إذلالا للدين و اعزازا للشرك أن تجرى أحكامهم عليه، و يرى الكفر جهارا و لا يأمن على نفسه من الفتنة، و تكره على ... .[3] أو يغدروه، و كل ذلك منعه الشرع و له فى بلد المسلمين مندوحة عن التعرض لهذه الأمور، و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم: "السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم نومه و طعامه و شرابه"[2].

١ و كان الملك الظاهر بيبرس فى دولته بلغه أن صاحب جزيرة قبرس أتى بجيشه إلى[4] عكا لينصر أهلها خوفا من إتيان الملك الظاهر إليها، فأراد الملك الظاهر [٢٢٤ : ب] اغتنام هذه الفرصة، فبعث جيشا كثيفا فى سبعة عشر شينى ليأخذوا[5] جزيرة قبرس[6]، فسارت الشوانى سرعة

---

(١) فى بن : فدعا.

(٢–٢) هذا القسم ساقط من بر و وارد فى بن [١٧٢ : الف].

(٣) مطموسة بالأصل.

(٤) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٥) فى بر : ياخذوا – و فى بن : يفتحوا.

(٦) فى بن : قبرص.

إليها ، فلما قربت من الجزيرة جاءتها ريح عاصف تصادمت بعضها لبعض فتحطم منها أحد عشر مركبا و غرق خلق ، و أسر من الصناع و الرجال قريبا من ألف و ثمانمائة ، فانا لله و إنا إليه راجعون . فسار الملك الظاهر و نصب المجانيق على عكا ، فقال أهلها الأمان الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، و دخل عكا يوم عيد الفطر فتسلم حصنها . و كان هذا الحصن ٥ شديد الضرر على المسلمين ، و هو في[1] واد بين جبال . و قد كان الملك الظاهر سار[2] إلى طرابلس الشام[1] ، فأرسل إليه صاحبها يقول : ما مرادك أيها الملك ؟ فقال : جئت لأرعى زرعكم[3] و أخرب بلادكم و أعود إلى[1] حصاركم في العام الآتي . فأرسل يستعطفه و يطلب منه المصالحة ، و وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأجابه إلى ذلك . ١٠

ثم أن السلطان الملك الظاهر مات ، فلما كان في دولة الملك المنصور قلاون فتحها [4]و فتح ولده الملك الأشرف عكا[4] كما تقدم ذكره[5] ، و في رجب سنة إحدى و تسعين و ستمائة ملك المسلمون قلعة الروم و أخذوا منها ألف أسير ، و كانت[6] مدة حصارها ثلاثة و ثلاثين يوما .

---

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : صار .

(٣) في بن : زروعكم .

(٤–٤) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٥) في بن : ذكر ذلك .

(٦) في الأصلين : كان .

١وكانت الروم أسرت عبد الرحمن الأعشى الشاعر، و بقى فى أيديهم
مدة، ثم أن بنت العلج الذى أسره هويته[2] فمكنته من نفسها فواقعها
فى ليلة ثمان مرات، فقالت: يا معاشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم؟
فقال: هكذا نفعل و أكثر من ذلك. فقالت: بهذا العمل نصرتم
٥ علينا، أفرأيت إن[3] نصرتك و خلصتك تصطفينى لنفسك؟ قال: نعم!
فلما كان الليل حلت قيوده و أخذت به طريقا نجيا فيها و ساروا إلى أن
دخلا أرض المسلمين. و كان المهلب بن أبى صفرة كثير النكاح، قال
ابن قتيبة: يقال إنه وقع من صلبه إلى الأرض ثلاثمائة ولد، و كان ميمون
النقيبة لم يكن فى جيش، وكسر ذلك الجيش أصلا، و كان يقول: الحياة
١٠ خير من الموت، و الثناء الحسن خير من الحياة، و لو أعطيت ما لم يعط
أحد لأحببت أن أكون أذنا أسمع بها ما يقال فى غد إذا مت —
انتهى[1].

و قبض السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل[4] ابن الملك المنصور

(١-١) هذا الجزء بأكمله ساقط من بر و وارد فى بن [١٧٢ : الف - ب].

(٢) فى الأصل: هويت.

(٣) فى الأصل: انى.

(٤) سلطنته ٦٨٩ - ٦٩٢هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣م.

قلاون

قلاون على الأمير حسام الدين طرنطاى نائب[1] السلطنة المنصورية ، و رسم للأمير حسام الدين استادار[2] و الطواشى بلال بأن ينزلوا إلى دار طرنطاى و يطلعوا للقلعة بكل ما فيها ، فذكر بأن الذى أخرجوه منها ستمائة ألف دينار مصرية و مائة و إحدى و سبعين قنطارا دراهم و جميع قماشه بعدته و سلاحه ، و لم يتركوا بالدار شيئا ، كان شيئا كثيرا ، ٥
و أخذ جميع خيله[3] و جماله و مواشيه و مماليكه ، [4]فأخذ السلطان بعض مماليكه[4] و فرق الباقى على الأمراء ، و أحيط على جميع موجوده[5] بمصر و الشام ، و عوقب بعد ذلك ، و عصر بالمعاصير ، و بقى فى العقوبة إلى أن مات ، و بقى بعد موته أياما[6] مرميا[7] فى المكان الذى مات فيه ، ثم أنزلوه من القلعة إلى زاوية الشيخ أبى السعود[8] بالقرافة ، فغسلوه و كفنوه ١٠
و صلوا عليه ، دفنوه قبلى الزاوية من ظاهرها . فلما كان فى أيام السلطان الملك العادل كتبغا رسم بنقله إلى تربته التى أنشأها بجوار داره و مدرسته [٢٢٥ : الف] بالقاهرة فدفن بها .

---

(١) فى بن [١٧٢ : ب] : نائب نائب للسلطنة
(٢) كذا فى بن ، و هى فى بر : استادارا .
(٣) فى بن : خيامه .
(٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٥) فى الأصل بر : موجوره - و صححته فى بن كما أوردنا بالنص .
(٦) فى بر : مرمى . و صححته فى بن .
(٧) فى بر : مرمى و فى بن : مومى .
(٦) فى بن : مسعود .

و فى[1] المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة توجه السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل إلى الصيد ، و عدى نزل الأهرام ، و رحل يوم السبت خامسه و نزل على تروجه يوم الخميس . و يوم[2] السبت ثانى عشره قتل السلطان الملك[3] الأشرف المذكور على تروجه ، قتله الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطان[4] و جماعة من أكابر[5] الأمراء المتفقين معه ، و كان ابن السلعوس من أعيان دمشق ، و كان الملك الأشرف فى دولة أبيه الملك المنصور قلاون سافر إلى دمشق ، فخدمه ابن السلعوس خدمة بالغة و أكرمه إكراما جزيلا ، فلما توفى الملك المنصور قلاون ، و ولى الملك الأشرف استوزره ، فتمكن ابن السلعوس فى الوزارة و شمخ بأنفه على الأمراء ، و كان علم الدين الشجاعى نائبا للسلطان الملك المنصور قلاون و نائبا أيضا لولده الملك الأشرف بعده ، فركب ابن السلعوس المذكور[3] بحمقه[6] رقاب الأمراء حتى الشجاعى أيضا ، و استطال عليهم بتقدمه عند السلطان [7]و قربه منه[7] فكرهته الأمراء

(١) فى بن: فى؛ بسقوط واو العطف مع استمرار الكلام السابق فيتغير معنى العبارة.
(٢) فى بن : و فى يوم .
(٣) الكلمة ساقطة من بن .
(٤) فى بن : السلطنة .
(٥) فى بن : الأكابر .
(٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٧–٧) الكلمتان ساقطتان من الأصل بر و واردتان فى بن .

و تمنت [١] له العثرات ، فقال بعضهم فى المعنى :

تبصر يا وزير الملك و اعلم بأنك قد وطأت على الأفاعى
فان تك سالما منهم فانى أخاف عليك من لذع الشجاعى

فلما نزل السلطان الملك الأشرف على تروجه بسبب الصيد و القنص [٢] ،
توجه ابن السلعوس إلى الإسكندرية ، و قد استصحب معه حملين مقارع ٥
بسبب مصادرة [٣] كبار أهلها [٣] ، فدخلها آخر النهار ، و كان المتولى بها
إذ ذاك الأمير حسام الدين بن باخل ، فعنفه الوزير المذكور و شتمه [٢]
و قال له : غدا أضربك بالمقارع . فخاف منه و خافت أهل الإسكندرية
منه أيضا خوفا شديدا بسبب إتيانه لهم بالمقارع لأخذ أموالهم منهم
بظلمه و عنفه ، فباتت الناس فى كرب شديد لما يصبح يفعله [٤] بهم . فلما ١٠
قتل الأمير بيدرا الملك الأشرف [٥] بعد العصر [٥] و بعد دخول ابن السلعوس
إلى الإسكندرية [٦] وقت العصر [٦] ، أتى بدوى فى الليل إلى الطاق التى بدار
الإمارة فى السور . صاح ففتح الأمير الطاق و قال : ما الخبر؟ فقال :
أيها الأمير تعيش و تبق [٧] فى السلطان فانه قتل وقت [٨] العصر و قد

(١) فى بن : و تصفوا . (٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣–٣) فى بن : أعيانها .

(٤) فى بن : يعمل .

(٥–٥) الكلمتان ساقطتان من بر و واردتان فى بن .

(٦–٦) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٧) فى بن : و تبقا .

(٨) فى بر : بعد .

أتيت[1] مطردا بخبر قتله فانظر لنفسك . فمضى الأمير إلى منزل الوزير ابن السلعوس[2] و دق الباب ، فخرج [د٢٢٥ : ب] له الطواشي فقال : من أنت ؟ قال[3] : أنا الأمير [4]ابن باخل ، فقال : ما تريد ؟ قال[4] : أريد الاجتماع بمولانا الوزير . فأخبره الطواشي بذلك ، فقال : قل له يا شيخ النحس ٥ جئت [5]فى هذا الوقت[5] تبرطلنى ، غدا أضربك[6] بالمقارع . فبلغه الطواشي[7] الرسالة ، فقال [8]للطواشي : قل له جاءك[9] فى أمر أهم [10]من البرطله[10] فيه مصلحتك لا مصلحتى . فأعلمه الطواشي بذلك فخرج إليه فقال له : ما الذى أتى[11] بك فى هذا الوقت ؟ فقال له : [4]أمر مهم . فقال : و ما هو ؟ قال[4] : يا مولانا الوزير انظر فى أمرك فان مولانا السلطان قتل بالأمس

---

(١) فى بن : اتيتك .

(٢) فى بن : سلعوس .

(٣) فى بن : فقال .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥-٥) الكلمات ساقطة من بن [١٧٢ : الف] .

(٦) كذا فى بن ، و هى فى بر : يضربك .

(٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٨) زيد فى بر : قل . و الكلمة لا محل لها فى السياق فأسقطناها لاستقامة العبارة .

(٩) فى بن : اتاك .

(١٠-١٠) فى بن : مما ذكرت .

(١١) فى بن : أتا .

بعد[1] العصر ، و نفذ حكم الله فيه ، و قد أتانى الخبر مع بحّاب الآن بذلك . فلما سمع الوزير كلامه[2] كشف رأسه و انكب على رجلى[3] الأمير يقبلهما[4] و قال : يا أمير الجيرة[5] أخرجنى فى هذه الساعة لئلا يقتلنى أهل الإسكندرية غدا بالحجارة . فعند ذلك طلب الأمير الأجناد و الجبلية سلمه لهم[6] و قال : احتفظوا به إلى أن توصلوه[7] وطاق السلطان ٥ بتروجـــه . فلما وصل الوزير إلى[8] الوطاق ، ظفر به الأمير علم الدين الشجاعى ، فلم يزل يضربه بالمقارع إلى أن مات[9] . و كانت مده مملكة الأشرف ثلاث سنين و شهرين و ستة أيام . و لما وصل خبر قتله[10] إلى الوطاق ركب الأمير حسام الدين استادار الأمير زين الدن كتبغا و المماليك السلطانية و التقوا مع الأمير بيدرا قتلوه و هرب من كان معه . و وصل ١٠

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢) فى بن : كلامك .

(٣) فى بن : أقدام .

(٤) فى بن : قبلها .

(٥) زيد فى بن [١٧٣ : الف] : يا أمير .

(٦) فى بن : إليهم .

(٧) زيد فى بن : الى .

(٨) الكلمة ساقطة من بن .

(٩) فى بن : هلك .

(١٠) فى بن : مقتل السطان .

الخبر إلى القاهرة بقتل السلطان [١] و هو يتصيد [١] فغلقت القاهرة و مصر
[٢] و فى يوم الإثنين رابع عشر المحرم أحضروا رأس بيدرا على رمح
و طافوا به مصر و القاهرة ، ثم علقوها على باب داره [٢] .

[سلطنة الناصر محمد الأولى]

و فى يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة
شرعوا فى تحليف العساكر المنصورة للسلطان الملك الناصر محمد [٣] بن الملك
المنصور قلاون و عمره يومئذ تسع سنين كاملة . و فى هذا النهار قبض
على الأمير بهاء [٤] الدين رأس نوبة و على اقوش الموصلى الحاجب . وكانا [٥]
من جملة الأمراء المخامرين ، و طلعوا بهم القلعة ، فعند وصولهم إلى
القلعة قامت إليهم المماليك السلطانية قتلوهم و قطعوا رؤسهم و علقوها
على أبواب دورهم . ثم أن الحرافيش سحبوا جثثهم و أحرقوهم فى أقمنة
الجير . و فى هذا اليوم وقع الاتفاق على أن يكون الأمير زين الدين
كتبغا نائب السلطنة المعظمة و الأمير علم الدين الشجاعى و زيرا [٦] ، فقتل
الشجاعى وقت العصر من يوم السبت تاسع عشر المحرم [٢٢٦ : الف]

(١-١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢-٢) العبارة بأكلها ساقطة من بن .

(٣) و سلطنته الأولى ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ = ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م .

(٤) كذا فى بن، و هى فى بر : بهاى .

(٥) فى بن : وكان .

(٦) فى الأصل : وزير .

من السنة المذكورة ، و طيف برأسه على رمح .

و فى ليلة الثلاثاء عاشر المحرم سنة أربع و تسعين و ستمائة ركبت[1] المماليك السلطانية المقيمون[2] بالكبش أحرقوا باب سعاده - أحد أبواب القاهرة - و دخلت المماليك المذكورون[3] منه إلى سوق السلاح كسروا الدكاكين و أخذوا ما احتاجوا إليه من جواشن و خوذ و طوارق و سيوف ، ثم خرجوا إلى ظاهر[4] باب زويلة كسروا دكاكين برَبع الأمير زين الدين كتبغا و هو يومئذ نائب السلطنة المعظمة . و أخذوا منها سروجا[5] مذهبة و عددا[5] ، ثم ركبوا و اجتمعوا تحت القلعة إلى بكرة يوم الثلاثاء ، فلم يتم لهم مرادهم ، فنزل إليهم الأمراء من القلعة حملوا عليهم فكسروهم ، و قتل منهم جماعة و أسروا الباقين ، ومسك مقدميهم قطع[6] أيديهم و أرجلهم ، وكحل[7] بعضهم بالنار ، و قطعت ألسنة بعضهم على باب زويلة .

[سلطنة العادل زين الدين كتبغا]

و فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع و تسعين و ستمائة

---

(١) فى بن : ركب .

(٢) فى الأصلين : المقيمين .

(٣) فى الأصلين : المذكورين .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) وردت الكلمة فى الأصلين بدون ألف التنوين .

(٦) فى بن : قطعت .

(٧) كذا فى بن ، و هى فى بر : كحلوا .

ركب الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة من دار النيابة فرسا بالرقبة[1] و الكنبوش ، و حملوا[2] الغاشية[3] قدامه ، و مشت الأمراء فى خدمته ، و دخل الإيوان الكبير ، و جلس على كرسى المملكة ، و تقلد السلطنة ، و تلقب بالملك العادل[4] . و أخلع على الأمير لاجين ، و ولاه نيابة ٥ السلطنة بالديار المصرية ، و أخلع على الأمير عز الدين الأفرم و جعله جان دار . و فى شهر شوال سنة أربع و تسعين و ستمائة ابتدأ الوخم و الموت ، و كان أكثره فى الصعاليك بسبب الغلاء . و كان القمح فى هذا الوقت بخمسة و سبعين درهما نقرة الأردب بالكيل المصرى . و فى تلك السنة بلغ النيل ستة عشر ذراعا و سبعة عشر أصبعا . ثم زاد[5] السعر[6] فبلغ ١٠ القمح[6] مائة[7] و عشرة دراهم نقرة الأردب بالكيل المصرى . و بلغ رطل اللحم المصرى درهمين[8] نقرة . و فى ذى الحجة[9] من السنة المذكورة[9]

(١) ف بن : بالرقبة .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) ف بن : و الغاشية .

(٤) سلطنة العادل زين الدين كتبغا ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ = ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م .

(٥) ف بن [١٧٣ : ب]: ازداد .

(٦-٦) ف بن : ف القمح فبلغ .

(٧) زيد ف بن : درهم .

(٨) ف بر : درهمان . و ف بن : بدرهمين .

(٩-٩) ف بن : و هى سنة أربع و تسعين و ستمائة .

ازدادت

ازدادت الأسعار، فبلغ القمح مائة و ثلاثين[1] درهما[2] نقرة الأردب بالكيل المصرى. [3]و فى صفر سنة خمس و تسعين و ستمائة بلغ القمح بالكيل المصرى[3] مائة و خمسين درهما نقرة الأردب، و الخبز رطل و نصف مصرى بدرهم نقرة. و كان كل ترّاس يحمل فى زمن الخِصْب أردبا على كتفه، فصار يحمل ربع أردب لضعفه بسبب الجوع. و بلغ ٥ الرطل اللحم الجروى و هو رطلان[4] و سدس رطل بالمصرى تسعة دراهم [٢٣٦: ب] نقرة بالإسكندرية. و كانت[5] العربان بها تلعق [6]عند ذبح الخرفان دمها[6]. و مات من الصعاليك بسبب الجوع خلق كثير، و حفرت لهم الحفائر، فدفن فى كل حفرة جماعة كثيرة. ثم اشتد الغلاء بمصر، فهلك كثير[7] من الفقراء و الأغنياء. ثم عقبه فناء ١٠ عظيم حتى قيل إن السلطان الملك العادل كتبغا كفن من ماله فى مدة يسيرة نحوا[8] من[2] مائتى ألف ميت و عشرين ألف ميت. و أكلت

(١) كذا فى بن، و هى فى بر: و ثلاثون.

(٢) الكلمة ساقطة من بن.

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن.

(٤) فى الأصلين: رطلين.

(٥) عن بن، و فى بر: و كان.

(٦-٦) فى بن: دم الخراف حين ذبحها بالمجازر.

(٧) كذا فى بن، و هى فى بر: كثيرا.

(٨) فى الأصلين: نحو.

الناس الكلاب و[1] الميتات ، و أكلت الناس[1] من الأطفال [2] شيئا كثيرا[2] ،
يشوى [3] الوالدان ولدهما[3] و يأكلانه . و كثر[4] هذا فى الناس حتى صار
لا ينكر بينهم حتى صاروا يحتالون على بعضهم البعض ، و يأكلون من
يقدرون عليه . و كان الرجل يضيف صاحبه ، فاذا خلا به ذبحه و أكله .
٥ و وجد عند رجل نحو من أربعمائة رأس أكل هو و عياله أجسادها .
و هلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى فيذبحون و يؤكلون .
[5]و قد استدعى[6] رجل طبيبا فذهب معه على وجل ، فجعل الرجل يتصدق
على من وجده فى الطريق و يذكر و يسبح و يكبر ، فارتاب الطبيب ،
و مع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه . فلما وصل الدار إذا هى
١٠ خربة ، فاشتد خوف الطبيب ، فخرج رجل من الدار فقال لصاحبه :
ما هذا البطء[7] ، جئتنا بصيد ؟ فلما سمع الطبيب هرب[5] .

[سلطنة حسام الدين لاجين]

و فى المحرم سنة ست و تسعين و ستمائة كان الملك العادل كتبغا

(١-١) العبارة ساقطة من بن .
(٢-٢) فى بر : شىء كثير . و فى بن : خلق كثير .
(٣-٣) فى بر : الوالد ولده . و فى بن : الوالدين ولدهما .
(٤) فى بن : و كثير .
(٥-٥) هذه العبارة بكاملها ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٦) فى الأصل : استدعا .
(٧) فى الأصل : البطو .

بدمشق ، فخرج طالبا الديار المصرية ، فركب الأمير حسام الدين لاجين
نائب السلطان بمصر و الأمراء فى خدمته ، و قصدوا الملك العادل كتبغا
و هو بالدهليز ، فلما قربوا و علم منهم أنهم قد عملوا عليه ، خرج و ركب
فى نفر يسير من مماليكه و طلب نحو دمشق ، فخلعوه من الملك ، و تسلطن
الأمـــير حسام الدين لاجين[1] و لقب بالملك المنصور . و توجه الملك ٥
العادل كتبغا من قلعة دمشق إلى صرخد يقيم بها . و ركب الملك المنصور
لاجين ، و هو أول يوم ركوبـــه إلى الميدان ، فبينما هو يلعب الأكرة
و إذا بـه تقنطر من على فرسه ، فانكسرت يده ، و أقام مدة أربعين
يوما لم يركب .

قال الشيخ تاج الدين بن عطا : و لما اجتمعت [2] بالسلطان الملك [2] ١٠
المنصور لاجين حين توجه للعافية قلت له : يجب عليكم الشكر لله تعالى[3]
على العافية و أن الله سبحانـه قد قرن دولتـكم بالرخاء فانشرحت قلوب
الرعايا لـكم ، و الرخاء أمر لا يستطيع تـكسبـــه و لا استجلابه[4] كما
يتـكسبون العدل و الجود و العطاء . فقال : و ما هو الشكر ؟ قلت : الشكر
على ثلاثة أقسام ، شكر اللسان ، و شكر الأركان ، و شكر الجنان ؛ فشكر ١٥

---

(١) سلطنته ٦٩٦ – ٦٩٨ هـ = ١٢٩٦ – ١٢٩٨ م .

(٢–٢) فى بن : بالملك .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : استجالبه . و هو خطأ قلمى واضح .

اللسان التحدث بنعم الله ، قال الله سبحانه "و آما بنعمة ربك فحدث[١] "؛ و شكر الأركان العمل بطاعة الله ، قال [٢٢٧ : الف] الله سبحانه " اعملوا آل داود شكرا[٢] "؛ و شكر الجنان الاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد من الله سبحانه[٣] ، قال الله سبحانه "و ما بكم من نعمة ٥ فمن الله[٤] ".

و وصل السلطان [٥]الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون[٥] إلى الكرك من القاهرة ، و كان الملك المنصور لاجين سيّره إلى الكرك من العشر الأخير من ربيع الأول سنة ست و تسعين و ستمائة ليقيم بها ، و توجه به فى خدمته ، منهم الأمير سيف الدين سلار و هو يومئذ استاداره[٦] ، ١٠ فأوصله إلى الكرك و عاد إلى القاهرة . و فى ربيع الأول سنة ثمان و تسعين و ستمائة قتل السلطان الملك المنصور لاجين . قتله الأمير سيف الدين كرجى مقدم المماليك السلطانية و جماعة متفقون[٧] معه ، فمسكوا الأمير منكوتمر نائب السلطنة و اعتقلوه[٨] فى الجب بالقلعة ، ثم أخرجوه و ذبحوه .

---

(١) قرآن كريم ٩٣ : ١١ .
(٢) قرآن كريم ٣٤ : ١٣ .
(٣) ساقطة من بن .
(٤) قرآن كريم ١٦ : ٥٣ . و زيد فى بن بعد ذلك : انتهى ، نعود .
(٥-٥) فى بن [١٧٤ : الف] : محمد بن المنصور
(٦) فى بن : استادار .
(٧) فى الأصلين : متفقين .
(٨) فى بن : و اعتقل .

[سلطنة الناصر محمد الثانية]

ثم اجتمع[1] الأمراء الكبار مثل بيبرس ششنكير و سلار مدبروا[2] الدولة و اتفقوا على أن يطلبوا السلطان[3] الملك الناصر محمد[4] من الكرك و يولوه السلطنة ثانيا[5]. و أتت البشائر إلى القلعة بخروج الملك الناصر من الكرك. فوصل إلى القاهرة ليلة السبت من شهر ....[6] ٥
سنة ثمان و تسعين و ستمائة، فبات باقى ليلته فى الإصطبل، و طلع بكرة النهار إلى القلعة. و أخلع على الأمير سلار و ولاه نيابة السلطنة[7] بالديار المصرية، و فرق الخلع على الأمراء المقدمين و الأعيان[7] و القضاة و الدواوين الكبار و من جرت عادته بالخلع عند جلوس الملك على كرسى الملك. فمكث السلطان مدة و ششنكير[8] و سلار حاكمين عليه حتى ١٠
قيل إنه كان يطلب أوِزّة[9] مشوية لم تعط[10] له حتى يشاوروا عليها

(١) عن بن، و فى بر: اجتمعوا.
(٢) فى الأصلين: مدبرى.
(٣) ساقطة من بن.
(٤) عن بن، و الكلمة ساقطة من بر.
(٥) سلطنته الثانية ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ = ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م.
(٦) بياض بالأصلين.
(٧-٧) العبارة ساقطة من بن.
(٨) فى بن: و شاشنكير.
(٩) فى بر: وزة. و هى كما أوردنا فى بن.
(١٠) كذا فى بن، و هى فى بر: تعطا.

سلار و ششنكير[١]، فضجر السلطان من ذلك و طلب [٢] السفر إلى [٢]
الحجاز الشريف[٣]، فطلع من التيه إلى الكرك أقام به، و التيه بين الشام
إلى أرض مدين، فأقام السلطان بالكرك ينتظر الفرج من ربه، و لسان
حاله يقول:

٥ اصبر على الضيق إن أصبحت منغمسا
في الضيق من لجج تهوى إلى لجج
فما تجرّع كأس الصبر معتصما
بالله إلا أتاه الله بالفرج

[سلطنة بيبرس ششنكير]

١٠ ثم أن بيبرس ششنكير[٤] تسلطن و لقب بالملك المظفر، و أقام
في الملك مدة يسيرة.

[سلطنه الناصر محمد الثالثة]

ثم أن أمراء الشام الكبار أتوا إلى الكرك أخذوا الملك
[٢٢٧: ب] الناصر محمد[٥] و أتوا به إلى مصر، فهرب بيبرس
١٥ ششنكير[١] إلى الصعيد، فأدركته الأمراء فقتلته[٦]. ثم أن السلطان[٧] الملك

(١) في بن: جاشنكير.
(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن.
(٣) عن بن، و هي ساقطة من بر.
(٤) في بن: جاشنكر. و سلطنته ٧٠٨ - ٧٠٩ هـ = ١٣٠٨ - ١٣٠٩ م.
(٥) سلطنته الثالثة ٧٠٩ - ٧٤١ هـ = ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م.
(٦) عن بن، و في بر: قتلته.
(٧) ساقطة من بن.

الناصر محمد حبس سلار بين حائطين قائمين أمر ببنائهما عليه و منعه من[1] الطعام فى الليل و النهار لمخامرته مع ششنكير[2] عليه ، و لما قصده أيضا للناس[3] من الغلاء بخزنه شون القمح يطلب فيه السعر الكثير . [4]فقيل: إنهم كانوا يأكلون الحشيش بربع درهم نقرة الوقية ، فما يأكلون الخبز بربع درهم نقرة الرغيف[4] ، فكان[5] يصرخ فى مجلسه و يقول[6] : الجوع الجوع . فأرسل السلطان له طبقا فيه دنانير[7] و قال لحامله : [8]قل له[8] يقول لك السلطان كُلّ من هـذا الطعام الذى كنت [9]تحبه و تحب[9] جمعه و تنميته من الغلاء الذى كنت[2] تريده للمسلمين . فقيل: إنه صار يمضغ [10]أخفافه و ينهش بأسنانه أكتافه من الجوع ، و لم يزل يصيح : الجوع الجوع ، حتى هلك بالجوع[10] .

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى بن : جاشنكير .

(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤-٤) العبارة كلها ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥) كذا فى بن ، و هى فى بر : أنه كان .

(٦) فى بن : و يصيح .

(٧) فى بن : ذهب .

(٨-٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٩-٩) فى بن : تحب .

(١٠ - ١٠) فى بن : أكتافـه و ينهشها بأسنانه من الجوع حتى أهلكه الله تعالى بالجوع .

و سأذكر الآن ما وقفت عليه من كثرة الأموال[١] التى وُجدتْ لسلار حين القبض عليه ، و حملت إلى القلعة ، و هى قائمة مباركة يعتبر بها المعتبرون ، و يتفكر فيها المتفكرون ، بالذى وجد للأمير[٢] سلار ، و نقل إلى [٣] قلعة الجبل بالقاهرة المعزية[٣] : أول يوم - صناديق جوهر[٤] ٥ ثمانية ، صناديق ياقوت أحمر بهرمانى[٥] أربعين رطلا بالرطل المصرى ، بلخش محكوك ثمانية و ستين رطلا ، [٦] زمرد ريحانى ثمانية و ستين أرطالا[٦] ، فصوص ماس و عين هر خمسة آلاف فص ، لؤلؤ كبار كل حبة مثقالين ستة آلاف و خمسين حبة ، ذهب مصرى أربعين ألف دينار ، دراهم مائة ألف ألف[٧] درهم و عشرين ألف درهم . ثانى يوم - [٨] أوانى ذهب[٨] ١٠ ثلاثة و عشرين قنطارا ، أوانى فضيات مثل أطباق و طاسات[٩] و هواوين و طشوت و غيرها مائـــة و عشرين[١٠] قنطارا ، عقود و حلق و دمالج

(١) فى هامش بر : تركة سلار .

(٢) زيد فى بن : سيف الدين .

(٣-٣) فى بن : القلعة بالقاهرة .

(٤) فى بن : جواهر .

(٥) فى بن : بهرمان .

(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٧٤ : ب] .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨-٨) فى بن : ذهبيات .

(٩) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(١٠) فى بن : و عشرون .

ثلاثمائة و ستين[1] رطلا ، دراهم ثمانية آلاف ألف و تسعة آلاف درهم ، ذهب مصرى مائة[2] ألف دينار . ثالث يوم - زركش عمل الإبرة سبعة و سبعين رطلا بالدمشقى و الرطل الدمشق أربعة أرطال مصرية ، ذهب مصرى خمسة و سبعين ألف دينار ، دراهم ثمانمائة ألف و خمسة و عشرين ألف درهم ، قماش أطلس ألف و سبعمائة بغلطاق ، مزركشات[3] قبة[4] ٥ و خشاخيش نمرو[5] و قاقم[6] سبعمائة قبا . رابع يوم - ذهب مصرى مائة ألف و خمسة و أربعين ألف دينار ، دراهم تسعمائة ألف درهم ، سروج مذهبة مجوهرة ثمانمائة سرج ، [7]سروج زرخونى مذهبة سبعمائة سرج[7] ، سروج زرخونى بفضة مذهبة[2] [٢٢٨ : الف] تسعمائة و خمسين سرج . و وجد عنده ثمانية[8] صناديق ما يعلم ما فيها ، غير أنه حمل منها إلى ١٠ الخزانة ثانى يوم حوايص و بنود كاشات عليها رنك الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاون و ذلك خمسمائة قطعة ، منها حوايص ثلاثمائة ، بنود[9] و كاشات مائتين . و الذى وجد له بالشوبك :

(١) ف بن : و ستون .
(٢) الكلمة ساقطة من بن
(٣) ف بن : مجركسات .
(٤) ف بن : اقبية .
(٥) ف بن : نفرو.
(٦) ف بن : و قايم .
(٧-٧) ساقطة من بر و واردة ف بن [١٧٤ : ب]
(٨) ف الأصلين : ثمان (٩) ف بن : و بنود .

ذهب مصرى خمسة و تسعين ألف دينار ، دراهم ستمائة ألف و تسعين
ألف درهم ، سروج مذهبة بلؤلؤ خمسمائة سرج ، [1] خلع كنجى طرد
وحش ألف و ستمائة بغلطاق [1] ، خيول عربية ألف و سبعمائة و ثمانين
فرس ، أكاديش و حجورة سيسيات آلفين [2] و سبعمائة ، بغال للحمل
٥ مائة و عشرين قطارا [3] ، هجن بكيران فضة سبعمائة هجين ؛ جمال للحمل
ألف و مائتى جمل . و ذلك خارجا عما هو للنساء من ذهب و فضة و قماش.
و وجد بعد ذلك فى داره أربع [4] فساق من [5] ذهب و فضة [5] حملت
[6] ما يعلم [6] وزنها . و مات بحسرة كسرة خبز [7] يسد بها جوعه [7] ، إن فى
ذلك لعبرة لأولى الأبصار . فانظر إلى سعة هذه الدنيا العريضة التى كانت
١٠ لسلار ، و مات بحسرة رغيف بارد أو حار .

لما دخل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه مدائن
الأكاسرة بعد أن دارت عليهم الدائرة لينظرها بعد زوال ملكهم
و هلكهم ، تمثل بعض أصحابه يقول :

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

(١-١) ساقطة من بن .
(٢) عن بن ، و فى بر : ألفى .
(٣) فى بن : قنطارا .
(٤) عن بن ، و فى بر : اربعة .
(٥) الكلمة ساقطة من بن .
(٦-٦) فى بن : لم تعلم .
(٧-٧) ساقطة من بر و واردة فى بن .

إن النعيم و كل ما يلهى بهم يوما يصير إلى بلا و نفاد

فقال على : لا تقل هكذا و لكن قل : قال الله تعالى : "كم تركوا من جنت و عيون ٥ و زروع و مقام كريم ٥ و نعمة كانوا فيها فكهين ٥ كذلك اورثنها قوما آخرين ٥[1] " هؤلاء كانوا وارثين فصاروا موروثين . [2] قال بعضهم فى المعنى : ٥

قد تلذذت مدة بأمور فتدبرتها فكانت خيالا

قال عمر بن ذر : عباد الله لا تغتروا بطول حكم الله و احذروا .... [3] فقد سمعتم قوله سبحانه و تعالى : " فلما آسفونا انتقمنا منهم فاعرقنهم[4] " .

و قال بعضهم لحبيب العجمى : ليتنا لم نخلق . قال : قد وقعتم فتحيلوا فى الخلاص بطاعة الله و التمسك بأوامره و النهى بعاصيه ، يا رب غفرانك ١٠ عن مذنب أسرف إلا أنه نادم . قال : إن الحكمة فى إخراج آدم من الجنة بسبب أكله من الشجرة التى نهاه الله عن أكلها فأكل منها ، إنه كان فى صلبه من لا يستحق الولاية و لا يصلح لحضرة القدس ، فاذا أخرجهم من صلبه أعاده إليها خالدا فيها . عن عثمان بن منه قال : سمعت ابن عطاء يذكر أن آدم كان نسلا من نسل الجنة ، فسبانا إبليس بالخطية ١٥ إلى الأرض ، فليس ينبغى الفرح فى الدنيا و لكن الحزن و البكاء ما دمنا

---

(١) قرآن كريم ٤٤ : ٢٥ – ٢٨ .

(٢ – ٢) من هنا إلى قوله « نعود » ساقط من بر و وارد فى بن [١٧٤ : ب – ١٧٥ : الف] .

(٣) بقية الكلمة مطموسة .

(٤) قرآن كريم ٤٣ : ٥٥ .

في دار الدنيا حتى نردا[1] إلى الدار التي منها سبينا . قال الشاعر :

منتك نفسا .... [2] سبل الرجاء فهنّ غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب و ترتجى عرف الجنان بها و فوز العابد
و نسيت أن الله أخرج آدم منها إلى الدنيا بذنب واحد

٥ نعود[3] ، ثم أقبلت بعد زوال مملكة الكسروية الدولة الإسلامية فقهرتها و أفنتها ، و كذلك قهرت الدولة الإسلامية[4] الدولتين[5] الرومية و القبطية ببركة سيدنا محمد خير البرية [6] الذى ذكرته الأخبار المتقدمة في كتبها كما[6] قال عبد المطلب بن هاشم حين حضرته الوفاة يوصى ولده أبا طالب [7] بمحمد صلى الله عليه و سلم[7] :

١٠ أوصى أبا طالب خيرا بذى رحم محمدا و هو بين الناس محمود
هو الذى تزعم الأحبار أن له أمرا[8] سينصره نصر[9] و تأييد
فى كتب[10] عيسى و موسى[10] منه بينة فيما تحدثنا القوم العبابيد[11]

---

(١) في الأصل : نردا .
(٢) في الأصل « طنه فاعجها » ناقصة النقط و غامضة فآثرنا نقلها للهامش و ترك مكانها بياضا .
(٣) كذا في بن ، و في بر : انتهى .
(٤) الكلمة ساقطة من بن .
(٥) في بن [١٧٥ : الف] : دولتى .
(٦-٦) العبارة ساقطة من بن . (٧-٧) من بن ، و في بر : به .
(٨) في الأصلين : امر (٩) في الأصلين : نصرا .
(١٠-١٠) في بن : موسى و عيسى .
(١١) الكلمة ساقطة من هامش بن غالبا في عملية القص بالتجليد .

يعنى بالعبايد أحبار اليهود و رهبان النصارى المنقطعين فى الديارات و الكنائس للعبادة ، أحدهم عابد و الجمع عبايد - انتهى .

نعود - ثم استقر ملك الملك الناصر محمد و ثبت أمره بعد سلار و ششنكير[1] ، فهرب منه الأمير قراسنقر و الأفرم[2] و الزرد كاش الثلاثة أمراء[3] إلى بغداد و صاحبها يومئذ[4] السلطان قازان . و كان الأمير ٥ قبجق نائبا للسلطان الملك الناصر محمد بحماة ، و لما[5] بلغه أمر سلار و ششنكير[6] بما فعلاه بالملك الناصر محمد كما تقدم ذكره اغتاظ و حلف ليأتين بالتتر إلى الشام ، فتوجه إلى بغداد حين كان[7] سلار و ششنكير[8] لهما[9] الأمر و النهى عليه[9] ، فاجتمع بقازان و رغبه فى الشام ، فجمع قازان[10] الجيوش ؛ و استنجد بالتكفور ملك نصارى الأرمن ، فدخل ١٠ قازان الشام فى ثلاثمائة ألف ، فملك الشام و دمشق[11] و لم تطعه

(١) فى بن : سشنكير .
(٢) فى بن : و الأمير الأفرم .
(٣) عن بن ، و فى بر : أمر إلى .
(٤) فى بن : إذ ذاك .
(٥) فى بن : فلما .
(٦) فى بن : شنشكير .
(٧) زيد فى بن : الأمر و النهى لسلار - الخ .
(٨) فى بن : جاشنكير .
(٩-٩) ساقطة من بن .
(١٠) زيد فى بن : الجموع و جيش .
(١١) ساقطة من بن .

الحصون و لا قلعة دمشق . فندم الأمير قبجق على فعله ذلك حين بلغه أن السلطان الملك الناصر قد استقل بالملك و انتصر على سلار و ششنكير[1] و قتلهما بعد أخذه لأموالهما . و كان قازان لما قدم بجيوشه إلى الشام فى سنة تسع و تسعين و ستمائة و نزل بظاهر دمشق، أتاه ٥ التكفور ملك الأرمن قال[2] له : أيها الملك خذ منى ثلاثين حملا ذهبا[3] و دعنى أدخل دمشق بعسكرى من أحد أبوابها و أخرج من الباب الآخر . و كان الشيخ تقى الدين بن التيمية[4] الفقيه[5] الحنبلى جالسا بمجلس قازان حينئذ، فلما سمع مقالة التكفور تلك[6] قال لقازان : أمسلم أنت؟ قال : نعم . قال : إن أموالنا و دماءنا عليك حرام، و نحن نعطيك ستين حملا ١٠ ذهبا و لا تمكن هذا النصرانى من المسلمين . فرضى قازان بذلك و منع التكفور من العبور . فاجتمع لقازان من أموال أهل دمشق ستون[7] حملا ذهبا . و دبر الأمير[8] قبجق الحيلة حتى رجع قازان إلى بغداد بعد أن أقام على دمشق خمسة[9] أشهر - انتهى[9] .

(١) ف بن: جاشنكير .
(٢) ف بن : و قال .
(٣) ف بن: من الذهب .
(٤) ف بن : تيمية . و هو معروف أكثر بغير أداة التعريف .
(٥) ف بن : العالم .
(٦) ساقطة من بن .
(٧) ف الأصلين : ستين .
(٨) ف بن : للأمير .
(٩-٩) الكلمتان ساقطتان من بن .

و قال[١] الشيخ بهاء[٢] الدين بن سواد صاحب ديوان الإنشاء بحلب في السيرة السلطانية الملكية الناصرية: إن قازان لما وصل إلى دمشق بما جمع من عساكر العجم و خراسان، خرج إليه منها جماعة من الأعيان، و قدموا له التقادم المفتخرة الحسان، و طلبوا منه [٢٢٩: الف] الصفح و الأمان، فحسّن الأمير قبجق إلى السلطان قازان قبول تقدمتهم[٣]، و إجابة سؤالهم. و أشار عليه بتحقيق قصدهم و آمالهم. و قصد بذلك سلامة الرعية و حفظ البلاد، و حسن له الرجوع إلى بغداد، فرجع و ترك بالشام نوابه. فأرسل الأمير قبجق إلى السلطان[٤] الملك الناصر محمد[٥] يقول له: إن الفعل الذي فعلته لم يكن إلا لأجلك بسبب فعل سلار و ششنكير[٦] بك، فترسل نجدة إلى الشام لتخرج نواب قازان منه. فأرسل السلطان نجدة أخرجهم منه، فلما بلغ قازان ذلك عزّ عليه، و جهز جيشا أرسله إلى الشام في سنة اثنتين[٧] و سبعمائة، فالتقى[٨] المسلمون و التتر على شقحب، فانكسرت التتر كسرة شنيعة، فقال بعضهم من

(١) في بن: قال.
(٢) كذا في بن، و هي في بر: بهاي.
(٣) في بن: هديتهم.
(٤) ساقطة من بن.
(٥) زيد في بن [١٧٥ : ب] : بن قلاون.
(٦) في بن: جاشنكير. و زيد فيها بعد الكلمة: بما فعلا بك أما الآن.
(٧) عن بن [١٢٥ : ب] ، و في بر: اثنين.
(٨) في الأصلين: فالتقت.

قصيدة مدح بها الناصر محمد :

في شقحب حزّ الروّس بسيفه قهرا و نصرا من عزيز قاهر

و استقر حينئذ ملك مصر و الشام للملك الناصر محمد ، فاهتمّ قازان لذلك ، و حصل له مرض[1] مات منه[2] ، فولى الملك بعده أخوه محمد خذا بنذا . و سأذكر[3] فيما يرد من هذا الكتاب خبر[4] خذا بنذا في دخوله ٥ الشام و صلحه مع الملك الناصر محمد[5] إن شاء الله تعالى .

و في ثالث عشر رجب سنة سبعمائة[6] رسم السلطان الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون أن تلبس اليهود العمائم الصفر ، و السمرة العمائم الحمر ، و النصارى العمائم الزرق ، ليتميزوا بذلك[7] و يعرفون به[8] ، ١٠ فاستمروا على لبس ذلك إلى الآن ، فقال أحمد بن أبي المحاسن الطيبي في ذلك :

تعجبوا للنصارى و اليهود معا و السامريين لما عمموا الخرقا

(١) في ر : مرضا . و في بن : ضعف .

(٢) في بن: فيه .

(٣) في بن : و سيأتي .

(٤) ساقطة من ر و واردة في بن .

(٥) زيد في بن : و غير ذلك من أخباره .

(٦) في هامش ر : لبس اليهود و السمرة و النصارى العمائم .

(٧) في بن : بها .

(٨) الكلمة ساقطة من بن .

كأنما بات بالصباغ[1] منسهلا نسر السماء فأضحى فوقهم درقا[2]

و فى يوم الخميس سابع صفر سنة إحدى و سبعمائة وصل كهرداش[3] و من صحبه من المماليك السلطانية بالمراكب و الشوانى من جزيرة أروى، و مدة غيبتهم ثلاثة و أربعون يوما. و ذكروا أن عدة القتلى الذين قتلهم المسلمون بها [4]ألفان و مائتا[4] نفر من الإفرنج[5]. و وجدوا بها من أسارى المسلمين مائة[6] و عشرين نفرا. و وصلت أسارى[7] الفرنج من جزيرة أروى إلى القلعة المحروسة.

و لما فتح الملك الأشرف خليل[8] عكا أتته[9] مفاتيح صور و صيدا و بيروت و انطرسوس [10]كما تقدم ذكره[10]. انتقلت أهل انطرسوس منها سكنوا جزيرة [٢٢٩ : ب] مقابلها فى البحر تدعى[11] جزيرة رواد،

(١) ف بن : الصباغ.

(٢) عن بن، و ف بر : ذرقا. و قد جاءت الكلمة ف هذين البيتين بالسيوطى (حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٠٩) : فرقا.

(٣) ف بن : دمرداش.

(٤-٤) ف بر : الفى و مأتى. و ف بن : الفين و مائتى.

(٥) ف بن : الفرنج.

(٦) ف بن : مايتين.

(٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة ف بن.

(٨) سلطنته ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م. و زيد ف بن : ابن الملك المنصور قلاون.

(٩) ف بن : و أتته.

(١٠-١٠) ساقطة من بن.

(١١) ف بن : تدعا.

و هى عن البر مقدار سبعة أميال ، فلم يزالوا مقيمين بها إلى أن فتحها
الأمير أسندمر نائب طرابلس و معه الرئيس[1] البطرنى[2] المغربى ، و ذلك
فى دولة الملك الناصر محمد[3] ، فخلت السواحل من الإفرنج[4] ، و لم يبق
منهم فى بر المسلمين أحد[5] بالشام إلا من هو أسير أو نصرانى ذمى .

٥ و فى خامس عشر ذى الحجة سنة اثنين و سبعمائة ورد الخبر بوفاة
الأمير زين الدين كتبغا النائب بحماة ، و كان قبل ذلك سلطان مصر .
و تسمى بالملك العادل كما تقدم ذكره .

[الزلازل و الطاعون و الأهوية و الفيضان و الغلاء]

و فى يوم الخميس الثالث و العشرين من ذى الحجة سنة اثنين[6] و سبعمائة
١٠ حصل [7]بالقاهرة و مصر[7] زلزلة عظيمة هدمت أماكن[8] كثيرة ، و كذلك
فعلت بالإسكندرية و بلاد مصر . و أتلفت هذه الزلزلة [9]شيئا كثيرا[9] ،

(١) فى الأصلين : الرايس .

(٢) فى بن : البطرانى ، و ربما كان هذا هو الصواب .

(٣) زيد فى : بن قلاون .

(٤) فى بن : الفرنج .

(٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٦) فى بن : اثنتين .

(٧ – ٧) فى بن : بمصر و القاهرة .

(٨) فى الأصلين : أماكنا .

(٩–٩) كذا فى بن ، و هى فى بر : شىء كثير .

و أقامت أياما تزلزل و ترجف رجفا خفيفا ، و لم تزل تعد[1] إلى قريب أربعين يوما . و حصل عند العالم خوف عظيم من ذلك إلى أن خرج أكثر الناس من مصر و القاهرة إلى القرافة ، و بعضهم ضرب له خياما[2] خارجها و نزل فيها . و أقاموا أياما على ذلك خوفا على أنفسهم أن تعود . و أقامت مقدار[3] ثلاث ساعات عند أول الأمر . ٥

و سأذكر[4] الآن هنا ما وقفت عليه من الزلازل و الخسف و الرجم و الرجفات و الوباء و الأمراض[5] و الغلاء[5] و غير ذلك [6] إن شاء الله تعالى[6] .[7]و ذلك[7] بعد الهجرة النبوية [6] إلى سنة خمس و سبعين و سبعمائة[6] ، فأقول و بالله التوفيق . إن قال قائل ما سبب[8] هذه الزلازل؟ قيل إن أصلها

(١) في الأصلين تعهد – و الغالب أنه خطأ قلمي لكلمة « تعد » . كما أثبتناه بالنص .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : خيام .

(٣) في بن [١٧٦ : الف] : تقدير .

(٤) في بن : و إذ قد ذكرت الزلزلة فسأ ذكره – و بهامش بر : مطلب ، يذكر فيه الزلازل و الخسف و الرجم و الرجفات و الوباء و الأمراض و الغلاء و غير ذلك .

(٥) ساقطة من بن .

(٦–٦) العبارة ساقطة من بن .

(٧–٧) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨) زيد في بن : أصل .

جبل قاف له عروق تجرى منها المياه فى البحور من البياض و السواد و الحمرة و الصفرة و الكدر و العذب و المالح و المر و الزعاق . فاذا أراد الله أن يزلزل[1] بقرية أوحى الله إلى ذلك الجبل أن حرك منك عرق كذا و كذا . فاذا حرك خسف الله[2] بالقرية مع ما يرسل إليه من ٥ الملائكة – انتهى .

و لما وقع[3] الوباء بالديار المصرية و غيرها فى سنة تسع و أربعين و سبعمائة تعجب الناس من ذلك الفصل الوخم الذى مات فيه [4]من الناس خلق[4] لا يحصى عددهم إلا [5]الله تعالى[5] ، فكانوا كما قيل[6] :

هبت عليهم رياح الموت فانتثروا كأنهم كلهم كانوا بميعاد

١٠ [7]فقال قائلهم : ما أظن أن هذا الوباء وقع فى عصر من الأعصار[7] . و كان سبب موتهم كبة تطلع للانسان فى مراقه[8] فيموت منها بسرعة.

(١) فى بن : يزلزله .

(٢) زيد فى بن : تعالى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤ – ٤) فى بن : خلائق .

(٥ – ٥) فى بن : الذى خلقهم .

(٦) فى بن : قال بعضهم .

(٧ – ٧) العبارة ساقطة من بن .

(٨) فى بن : مرقاته .

فرأى

فرأى [٢٣٠ : الف] بعضهم [١] حرفوشا مسطولا وقت الفناء [١] فأنشأ يقول :

عاينت فى الفصل أخا سطلة [٢] يغض عينا منـــه مسطولة

الناس بالكبة قـــد قتلوا و كبـــة المسطول مقتولة

و فى سنة ثلاث و ستين و سبعمائة وقع الفناء بمصر و الإسكندرية و غيرهما [٣] ، [٤] فمات من الخلق [٤] كثير [٥] . و فى سنة خمس و سبعين ٥ و سبعمائـة [٦] قصر النيل عن الوفاء ، فغلت الحبوب بالإسكندرية [٧] و سائر بلاد مصر ، و مات بالإسكندريـة خلق كثير أكثرهم أطفال و جوار و عبيد [٨] ثم رجال و نساء [٨] ، [٩] كان موتهم بالطاعون فى شوال و ذى القعدة من السنة المذكورة [٩] . و فيها مات ملك الأمراء أرغون الأحمدى ١٠ بعد أن أقام بالإسكندرية متوليا بها أربعين يوما من حين دخوله نائبا

(١ - ١) الكلمتان الأوليان مطموستان فى بن ، و الأخيرتان واضحتان بـه و لكنهما ساقطتان من بر .

(٢) فى بن : سلطة .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) فى بن : مات من الناس .

(٥) فى الأصلين كثيرا ، و زيد فى بن : فيهما و فى غيرهما .

(٦) ساقطة من بر و واردة فى بن - و بهامش بر : حادثة .

(٧) فى بن : بمصر و الإسكندرية .

(٨ - ٨) العبارة ساقطة من بن .

(٩ - ٩) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(١٠) من هنا إلى قوله « انتهى » بأكمله نقلا عن بن [١٧٦ : الف] ، وفى بر فقط العبارة : وقاضى القضاة الحلبى .

بها إلى حين وفاته . و كذلك مات فيها قاضى القضاة شهاب الدين الحنفى الحلبى ، كان بالإسكندرية قاضى قضاتها مع قاضى قضاتها كمال الدين ابن قاضى القضاة فخر الدين ابن قاضى القضاة شرف القضاة المالكى الريغى ، و توفى قاضى القضاة كمال الدين الريغى المالكى فى حدود صفر سنة ثمانين ٥ و ستمائة رحمه الله . و مات ولده قاضى القضاة عز الدين بن كمال الدين فى ذى القعدة من السنة المذكورة[١] - انتهى .

نعود إلى ذكر ما [٢]قاله ابن الجوزى[٢] و غيره فى الطاعون[٣] و الوباء من ذلك الطاعون الذى كان فى سنة ثمانى عشرة من الهجرة بعمواس ، و هى[٤] على عشرة مراحل من بيت المقدس ، مات بها يومئذ ستة و عشرون ١٠ ألفا . و فيه مات أبو عبيدة بن الجراح و الحارث بن هشام و سهيل و يزيد[٥] و معاذ بن جبل . و بهذه القرية مات بلال الحبشى[٦] مؤذن النبى صلى الله عليه و سلم و قبر بها . و لما كثر الموت جدا أحدث الناس كيف أصبحت و كيف أمسيت .

و فى شوال[٧] هلك فى ثلاثة أيام سبعون ألفا . و قال رجل رأيت

(١) انتهى ما نقل عن بن .
(٢-٢) كذا فى بن ، أما فى بر فقط : قيل .
(٣) فى هامش بر : الطواعين .
(٤) فى بن : و عمواس .
(٥) فى بن : و زيد .
(٦) فى هامش بر : قبر بلال المؤذن .
(٧) فى هامش بر : غريبة .

فى المنام أيام الطاعون إنى أخرج من دارى اثنى عشر[١] جنازة و أنا مع عيالى اثنا[٢] عشر، فمات منها إحدى عشر و بقيت وحدى ، فقلت فى نفسى أنا ثانى عشرة ، فخرجت من الدار[٣] ثم رجعت[٤] إليها بالغد ، فاذا بلص قد دخل ليسرق فأصابه الطاعون فمات . فكان هو الثانى عشر ، و بقيت أنا وحدى[٥] . قال و رأى نافع أيام الطاعون رجلا قد هرب ٥ من البصرة على حمار ، فجعل نافع يقول : انظروا إليه يهرب من الله على حماره . و فى حديث قال الطاعون : أنا لاحق بالشام ، قال الخير و الرخاء : إنا معك . و قال الجوع و الشقاء و العرى و البلاء : إنا لاحق بالبادية ، فقالت الصحة : و أنا معك - انتهى .

و أما الزلازل فقال ابن الجوزى [٦] فى كتاب العقود[٦] فى تاريخ ١٠ العهود إن فى سنة أربع و عشرين و مائتين للهجرة زلزلت[٧] فرغانة ، فمات بها أكثر من خمسة عشر ألفا . و فى سنة خمس و عشرين و مائتين كانت رجفة بالأهواز عظيمة حتى[٨] تصدعت منها الجبال و هرب أهل البلد

(١) فى الأصلين : اثنى . و لفظة « عشر » ساقطة من بن .
(٢) فى الأصلين : اثنى .
(٣) فى بن : دارى .
(٤) فى بن : عدت .
(٥) الكلمة ساقطة من بن .
(٦-٦) ساقطة من بن .
(٧) فى بن [١٧٦ : ب] : زلزلة .
(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

إلى البر و إلى السفن ، و سقطت فيها[1] دور كثيرة . و سقط نصف الجامع ، و مكثت ستة عشر يوما . و فى سنة ست و عشرين و مائتين[2] [٢٣٠ : ب] مطر أهل تيما مطرا و بردا كالبيض ، فقتل بها ثلاثمائة و سبعين انسانا ، و سمع فى ذلك صوت[3] يقول : ارحم عبادك ، أعف عن عبادك . فنظروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع و عرضها شبران ، من الخطوة خمسة أذرع أو ست . و اتبعوا الصوت فجعلوا يسمعونه و لا يرون شخصا . و فى سنة ثمان و عشرين و مائتين غلا السعر بطريق مكة . و بلغ رطل خبز بدرهم ، و راوية ماء بأربعين درهما ، [4]و سقطت قطعة من الجبل[4] عند جمرة العقبة فقتلت عدة من الحاج . و فى ثلاث و ثلاثين و مائتين رجفت دمشق رجفة شديدة من ارتفاع الضحى ، فانتقضت منها البيوت ، و زالت الحجارة العظيمة ، و سقطت عدة طاقات فى الأسواق على من فيها فقتلت خلقا كثيرا ، و سقطت بعض شرافات المسجد الجامع ، و انقطع ربع المنارة ، و انكفأت قرية من عمل الغوطة على أهلها ، فلم ينج منهم إلا رجل واحد . و اشتدت الزلازل على أنطاكية و الموصل ، و وقع أكثر من ألفى دار على أهلها فقتلتهم ، و مات من أهلها عشرون ألفا ، و فقد من بستان أكثر من مائتى نخلة بأصولها

(١) فى بن : منها .
(٢) فى هامش بر : واقعة .
(٣) فى الأصلين : صوتا .
(٤ – ٤) فى بن : و طرقه طايفة من الخيل .

فلم

فلم يبق لها ، أثر[1] . و فى سنة أربع و ثلاثين و مائتين هبت ريح شديدة
لم يعهد مثلها ، و اتصلت نيفا و خمسين ميلا و شملت بغـــداد و البصرة
و الكوفة و واسط و عبادان و الأهواز ثم إلى همدان فأحرقت الزرع ،
ثم ذهبت[2] إلى الموصل فمنعت الناس من الانتشار و عطلت الأسواق[3] ،
و زلزلت هراة حتى سقطت الدور . و فى سنة تسع و ثلاثين و مائتين ٥
غزا بلاد الروم على بن يحيى الأرمنى ، فقتل عشرة آلاف علج ، و سبى
عشرة آلاف رأس ، و من الدواب سبعة آلاف دابة ، و أحرق أكثر
من ألف قرية . و رجفت طبرية فى الليل حتى مادت الأرض و اصطكت
الجبال ، ثم انقطع من الجبل قطعة ذرعها خمسون ذراعا طولا فى[4] خمسين
ذراعا[3] عرضا ، فمات تحتها خلق كثير . و فى سنة أربعين و مائتين سمع ١٠
أهل حلاط صيحة من السماء فمات[3] خلق كثير . و خرجت ريح من
بلاد الترك فمرت بمرو فقتلت خلقا كثيرا بالزكام ، و أصاب أهل بغداد
حمى و سعال و زكام . قال محمد بن حبيب جاءت الكتب من المغرب[5]
ان ثلاثة عشر قرية من قرى القيروان خسف بها فلم ينج منها
[٢٣١ : الف] إلا اثنان و أربعون رجلا سود الوجوه ، فأتوا القيروان ١٥

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : أثرا .
(٢) فى بر : هبت ، و صححتها فى بن .
(٣) الكلمة ساقطة من بن .
(٤) زيد فى بن : عرض .
(٥) فى بن : الغرب .

فأخرجوهم أهلها و قالوا : أنتم مسخوط عليكم . فبنى[1] لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوها . و فى هذه السنة و هى سنة أربعين و مائتين سُئل بَطْرِيق عمورية و هو أحد البطريقين اللذين كانا خرجا إلى أمير المؤمنين المعتصم[2] فمات أحدهما فى أيام أمير المؤمنين جعفر المتوكل[3] ، و أسلم ٥ الآخر على يد المتوكل و كان اسمه ندراقس[4] فسمى نفسه إسحاق ، و كان عاقلا فهما أديبا ، فسئل عن أنساب الروم فقال : الروم ولد روم[5] بن سملاحين ابن هربا[6] بن عسفا[7] بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، و من ولده[8] الملك قسطنطين الأكبر ملك الملوك ، و هو الذى بنى مدينة قسطنطينية ، و أظهر دين النصرانية ، و بَطرك البطاركة ، و سَقّف الأساقفة ، ١٠ و عمل الهياكل و المذابح ، و جمع الأساقفة بمدينة نيقية[9] ، و هو الذى بَطْرق

(١) ف بن : فبنا .

(٢) الخليفة العباسى و خلافته ٢١٨ - ٢٢٧ هـ = ٨٣٣ - ٨٤٢ م .

(٣) الخليفة العباسى ، و خلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧-٨٦١ م .

(٤) ف بن : بدراقس . - و أغلب الظن أنه اندرونيق Andronikos .

(٥) ف بن : الروم .

(٦) ف بن : هريا .

(٧) ف بن : عسفان .

(٨) زيد ف بن : الولد .

(٩) مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ م .

البطارقة و جعلهم رؤس[1] المدن و البلدان ، و قومس[2] القوامسة [3]و هم القواد ، و رسم رسوم المملكة . فأما البطارقة فهم الرؤساء و الوزراء لأنهم أشراف الروم ، و القوامسة[3] أصحاب الأعمال و الحروب . و سئل أيضا عن بنى إسرائيل و أنسابهم فقال : هم شعوب كثيرة و بطون شتى ، لم تزل علماؤهم يعرفونها و يعلمونها ، فأولهم بنو[4] لاوى بن يعقوب بن ٥ إسحاق بن إبراهيم الخليل ، و هو الثالث من ولد يعقوب ، و من ولد يهودا بن يعقوب أيضا جميع بطون بنى إسرائيل الأنبياء و الكهان ورؤس الجواليث و أئمة اليهود و أخبارهم ، فمن الأنبياء من ولد يهودا داود الذى جعله الله خليفة فى الأرض ، و سليمان[5] بن داود الذى سخرت له الجن و الرياح و البهائم ، و بعده رحبيعم[6] بن سليمان[5] و افترقت أسباط بنى ١٠ إسرائيل فى أيامه ، و من ولد يهودا شمويل بن عزرا ، و من ولده أيضا اليشع[7] النبى عليه السلام تناسل أولاد هؤلاء الأنبياء و الكهان ، فهم بطون كثيرة يتعارفها علماؤهم . و من سبط يوسف بن يعقوب عليهما السلام

---

(١) فى بن : روسا .

(٢) مأخوذة عن الأصل Comes و جمعها Comites و يقابلها فى العصور الوسطى لقب Comte بالفرنسية ثم Count بالإنجليزية .

(٣ - ٣) العبارة ساقطة من بن [١٧٧ : الف] .

(٤) فى الأصلين : بنوا .

(٥) فى بن : سليمن .

(٦) فى بن : رحبعم .

(٧) فى الأصلين : اليسع .

يوشع بن نون خليفة موسى بن عمران عليه السلام ، و هو الذى أخرج
بنى إسرائيل من التيه . قال بعضهم فى يهودى [1]أحمق يهجوه[1]:

لنا صديق يهودى حماقته إذا تكلم يبدو النتن من فيه
يتيه و الكلب خير منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه - انتهى

٥ [٢٣١ : ب] نعود - و فى سنة إحدى و أربعين و مائتين ماجت النجوم
فى السماء و جعلت تتطاير[2] شرقا و غربا كالجراد من قبل[3] غروب الشفق
إلى قريب الفجر . و لم يكن مثل ذلك إلا عند ظهور رسول الله صلى الله
عليه و سلم . و فى سنة اثنتين و أربعين و مائتين رجمت قرية يقال لها
السويدا بناحية مصر بخمسة أحجار ، فوقع حجر منها على خيمة أعرابى
١٠ فاحترقت ، و وزن منها حجر فكان فيه عشرة أرطال ، فحمل منها أربعة
إلى فسطاط مصر [4](و) إلى تنيس[4] . و زلزلت الرى و جرجان و طبرستان
و نيسابور[5] و أصبهان كلها فى وقت واحد ، و تقطعت جبال و دنى[6]
بعضها من بعض ، و سمع للسماء و الأرض أصوات عالية ، و سار جبل
باليمن عليه مزارع حتى أتى مزارع قوم آخرين فوقف فيها . و زلزلت
١٥ الدامغان[7] فسقط بعضها على أهلها فهلك بذلك خمسة و عشرون ألفا .

(١-١) الكلمتان ساقطتان من بر و واردتان فى بن .
(٢) كذا فى بن ، و هى فى بر : تطاير .
(٣) الكلمة ساقطة من بن .
(٤-٤) ساقطة من بن ، و واو العطف ساقطة من بر .
(٥) فى الأصلين : نيسابورس .
(٦) فى بن : و دنا . (٧) فى بن : دامغان .

و سقطت

و سقطت بلدان كثيرة على أهلها . و وقع طائر[1] أبيض دون الرخمة
و فوق الغراب على دابة بحلب اسبع مضين من رمضان فصاح : « يامعشر
الناس اتقوا الله الله الله » حتى صاح أربعين صوتا ، [2]ثم طار و جاء من
الغد ، صاح أربعين صوتا[2] ، و مات رجل فى بعض كور الأهواز ، فسقط
طار أبيض على جنازته ، فصاح باللغة الفارسية : إن الله قد غفر لهذا ٥
الميت . و فى سنه خمس[3] و أربعين و مائتين زلزلت بلاد المغرب حتى
تهدمت الحصون و الميادن[4] و القناطر ، فأمر المتوكل[5] بتفرقة ثلاثة آلاف
درهم فى الذين أصيبوا بمنازلهم . و كانت بأنطاكية زلزلة و رجفة قتلت
خلقا و سقط ألف و خمسمائة دار و وقع من سورها نيف و تسعون
برجا ، و سمع أهلها أصواتا هائلة لا يحسنون وصفها من كوى[6] المنازل ، ١٠
و هرب الناس إلى الصحارى . و سمع أهل تنيس صيحة هائلة دامت
فمات منها خلق كثير و ذهبت حلة بأهلها . و فى سنة ست و أربعين
و مائتين[3] زلزلت مدينة ديبل بالليل ، فأصبحوا و لم يبق من المدينة

(١) فى بن : طير .

(٢ - ٢) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) فى بن : و المآذن . - و هو الأصح على ما يظهر .

(٥) الخليفة العباسى و خلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ - ٨٦١ م .

(٦) فى بن : كرى .

إلا اليسير، فأخرج من تحت الردم خمسون و مائة ألف . و فى سنة أربع
و ثمانين و مائتين ظهرت ظلمة بمصر و حمرة فى السماء شديدة حتى كان
الرجل ينظر إلى وجه الرجل فيراه أحمر و كذلك الحيطان و غيرها ،
و مكثوا كذلك إلى العشاء ، فخرج الناس يدعون الله و يستغيثون إليه ،
٥ و وعد المنجمون الناس بالغرق[1] فغارت المياه و احتاجوا إلى الاستسقاء .
و فى سنة خمس و ثمانين و مائتين ارتفعت ريح بالبصرة كذلك [2]و مُطِروا
بردا فى [٢٣٢ : الف] البردة الواحدة[2] مائة و خمسون درهما . و فى
سنة تسع و ثمانين و مائتين صلى الناس العصر يوم عرفة ببغداد فى ثياب
الصيف ، ثم هبت ريح فبرد الهواء[3] إلى أن احتاج[4] الناس إلى التدفى
١٠ بالنار، و خمد الهواء[3] . و فى سنة ثلاثمائة كثرت الأمراض ببغداد فى الناس ،
و كلبت الكلاب و الذئاب فى البادية ، وكانت تطلب الناس و الدواب ،
فاذا عضت إنسانا هلك . و فى سنة عشرة و ثلاثمائة انبثق بواسط سبعة
عشر بثقا[5] أصغرها مائتى ذراع و أكبرها ألف ذراع ، و غرق من أمهات
القرى ألف و ثلاثمائة قرية . و فى سنة سبع عشرة و ثلاثمائة هجم
١٥ أبو طاهر القرمطى صاحب البحرين على الحاج بمكة يوم التروية و هو

---

(١) فى بن : الغرق .
(٢-٢) فى بن [١٧٧ : ب] : و مطر و برد زنة الواحدة .
(٣) فى بر : الهوى .
(٤) كذا فى بن ، و هى فى بر: احتاجوا .
(٥) فى بن : شقا .

يوم الثامن من ذى الحجة قتلهم فى المسجد الحرام و فى فجاج مكة و فى البيت ، و قلع الحجر الأسود و باب البيت و قبة زمزم ، و قد تقدم فعل القرمطى بمكة مفصلا فأغنى عن اعادته[1] . و سمى يوم التروية لأنهم كانوا يرتوون فى الماء لما بعده أى يستقون[2] و يسقون . و قيل سمى يوم التروية لأن إبراهيم عليه السلام تفطر[3] فى الرؤيا ، و فى التاسع عرف ٥ فسمى لذلك عرفة . و فى سنة أربع و أربعين و أربعمائة غلت[4] الأسعار ببغداد حتى أكلت الناس الكلاب و وقع الوباء فى الناس . و وافى[5] من الجراد شيء كثير جدا حتى أبيع منه كل خمسين رطل[6] بدرهم ، فارتفق الناس بأكله فى ذلك الغلاء . و الجراد واحدها جرادة ، و تكنى أم عوف ، قال الشاعر : ١٠

و ما صفراء تكنى أم عوف كأن رجيلتاها[7] منجلان

قال[8] الأصمعى : يقال الجرادة للذكر و الأنثى[9] كما يقال بطه[10]

---

(١) زيد فى بن : هنا . ــ انظر ج ٢ ص ١٢ و ما يتلوها .
(٢) فى بن : يستسقون . ــ و بهامش بر : لم سمى يوم التروية .
(٣) فى بن : تفكر . ــ و المعنى غامض فى كلا الفرضين على كل حال .
(٤) فى بن : علت .
(٥) فى بن : و وافا .
(٦) فى بن : رطلا .
(٧) فى بن : رجلتاها .
(٨) عن بن ، و فى بر : فقال .
(٩) زيد فى بن : من الجراد (١٠) فى بن : بطية .

و حية ؛ و جمعه جراد ، و الرِّجل من الجراد قطعة منه قدر ما يكون
مائة ذراع فى مثلها . و إذا باض الجراد قيل غرز فهو مغرز و يبقى فى
الأرض أربعين ليلة ، ثم يثورا مثل صغار الدود ، فيقال قد أدبا بيض
الجراد إذا صار دبا – انتهى .

٥ و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل فى الجراد أيضا إن شاء الله
تعالى . نعود – و فى سنة سبع و أربعين و أربعمائة زادت الأسعار فبلغت
قيمة الكر من الحنطة بالأهواز ثلاثمائة دينار . و فى سنة ثمان
و أربعين و أربعمائة وقع الغلاء و الوباء فى الناس و فسد الهواء[٢] ، و اشتد
الجوع حتى أكلوا الميتة ، و بلغ المكوك من بزر القلة سبعة دنانير
١٠ و السفرجلة [٢٣٢:ب] و الرمانة دينارا[٣] . و عم الغلاء و الوباء جميع
البلاد ، و ورد كتاب إلى بغداد من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا
دارا ، فوجدوا عند الصباح موتى ، أحدهم على باب النقب ، و الآخر
على رأس الدرجة ، و الثالث على الثياب المكورة . و فى سنة تسع
و أربعين و أربعمائة بلغت كارة الدقيق الخشكار عشرة دنانير ، و مات
١٥ من الجوع خلق كثير ، و أكلت[٤] الكلاب . و ورد كتاب من بخارى[٥]
إلى بغداد أنه قد وقع فى تلك الديار وباء حتى خرج فى يوم ثمانية عشر
ألف جنازة ، و أحصى من مات إلى أن كتب هذا الكتاب فكانوا[٦]

(١) من بن ، و فى بر : يثور . (٢) فى بر : الهوى .
(٣) كذا فى بن ، و هى فى بر : دينار .
(٤) زيد فى بن : منهم .
(٥) فى بن : بخارا .
(٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .

ألف ألف و ستمائة ألف و خمسين ألفا ، و بقيت الطرقات فارغة و الأسواق خالية . و وقع الوباء بأذربيجان و أعمالها و واسط و الكوفة و مصر و طبق الأرض حتى كان يحفر للعشرين و الثلاثين حفرة[1] فيلقون فيها[2] ، وكان سبب ذلك الجوع . و باع رجل أرضا له بخمسة أرطال خبز ، فأكلها و مات فى الحال . و تاب الناس كلهم ، و أراقوا الخمور ، و كسروا ٥ آلات الملاهى ، و تصدقوا بمعظم[3] أموالهم و لزموا المساجد ، و دخلوا على رجل مريض قد طال نزعه سبعة أيام ، فأشار بأصبعه إلى بيت فى الدار ، فاذا خابية خمر فقلبوها فمات من ساعته . و توفى رجل كان مقيما[4] بمسجد ، فخلف خمسين ألف درهم فلم يقبلها أحد ، فدخل أربعة أنفس ليلا إلى المسجد فأخذوها فماتوا عليها . و دخل رجل على ميت مستجى ١٠ بلحاف ، فاجتذبه عنه فمات . طرفه بيده .

[5]و فى سنة تسع و أربعين و ثلاثمائة رأى الخليفة المطيع[6] كأن مؤذنين قد أقبلا من مطلع الشمس و هم يؤذنان و فى أيديهما ...[7] فذكر [8]صندل الزمام[8] هذا المنام لمعبر حاذق فقال: تسلم خلق من سكان مطلع الشمس أولوا بأس شديد ، فوردت الأخبار من خراسان بأنه ١٥ أسلم من الترك مائتا ألف بيت[5] .

---

(١) فى بن : حفيرة . (٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٣) فى بن : بعظم .
(٤) ساقطة من بن .
(٥-٥) هذا القسم ساقط من بر و وارد فى بن .
(٦) الخليفة العباسى و خلافته ٣٣٤ - ٣٦٣ ه = ٩٤٦ - ٩٧٤ م .
(٧) بياض بالأصل . (٨-٨) كذا فى الأصلين ، و المعنى غامض .

و فى سنة ثمان و خمسين و أربعمائة ولد ببغداد صبية لها رأسان و رقبتان و أربع أيد على بدن كامل ثم ماتت . و ظهر كوكب له ذؤابة عرضها نحو ثلاثة أذرع و طولها أربع ، و لبث ليالى كثيرة ثم غاب ، ثم ظهر و قد اشتد نوره كالقمر ، و بقى عشرة أيام حتى اضمحل .

٥ و ورد الخبر من البحار[1] بأنه فى الليلة الأخيرة من طلوع هذا الكوكب غرق ستة و عشرون مركبا و هلك فيها نحو من ثمانية[2] عشر ألف[3] انسان ، و كان من جملة المتاع الذى فيها عشرة آلاف طبلة كافور . وكانت زلزلة بخراسان لبثت أياما فتصدعت منها الجبال ، و خسف بعد ذلك بقرى .

١٠ و فى سنة ستين و أربعمائة كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلكت بلد الرملة ، فهلك فيها خمسة عشر ألف[4] ، و وقعت شرافات من مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم . و انشقت صخرة بيت المقدس ، ثم عادت و التأمت ، و غار البحر مسيرة [٢٣٣ : الف] يوم ، و ساح فى البر ، و غرّق الدنيا . و دخل الناس إلى أرضه[5] يلتقطون ، فرجع عليهم فأهلك

١٥ خلقا عظيما منهم ، و بلغ حسّ الزلزلة إلى الرحبة و الكوفة .

---

(١) فى بن : بخارا . و الجملة بعدها مطموسة.

(٢) الكلمة ساقطة من بن . (٣) الكلمة بهامش بر ، و هى فى بن : آلاف .

(٤) فى الأصلين : ألفا . (٥) كذا فى بن (و هو أقرب للفهم) ، و الكلمة فى بر : أهله .

و فى سنة ثنتين[1] و ستين و أربعمائة كانت زلزلة بالرملة ، فذهب[2] أكثرها ، و عم ذلك بيت المقدس ، و انخسفت أيلة كلها ، و انحفر البحر وقت الزلزلة حتى انكشف ثم عاد ، و اشتد الجوع و الوباء بمصر حتى أكل الناس[3] بعضهم بعضا . و بيع اللوز و السكر بوزن الدراهم ، و البيضة بعشرة قراريط درهم . و خرج وزير صاحب مصر إليه ، فنزل ٥ عن بغلته فدخل ، و شغل المهتار عن البغلة لضعف قوته من الجوع ، فأخذها ثلاثة أقوام فذبحوها و أكلوها ، فأخذوا و صلبوا ، فلما كان من الغد ، وجدت عظامهم تحت خشبهم و قد أكلوا . و باع رجل بمصر دارا كان اشتراها بتسعمائة دينار و سبعين دينارا ، و اشترى بها دون الكارة دقيقا . ١٠

[4] قال ابن عبد السلام المالكى فى شرح مختصر ابن الحاجب : اختلف المذهب فى الحيوان الذى لا يؤكل لحمه إذا بلغ به المرض إلى حد الإياس ، هل يجوز ذبحه إراحة له مما هو فيه أو لا ؟ على قولين ، فأجاز ذلك ابن القاسم ، و منعه بعضهم . و بعض ما وافق ابن القاسم فى الإراحه من ألم المرض خالفه فى الذبح . قال يعقر عقرا لئلا يكون ١٥

---

(١) فى بن : اثنتين .

(٢) فى بن : مهدمت .

(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) هذا الجزء لآخر الفتوى ساقط من بن - و يستأنف الكلام فيها عند « و فى سنة سبعين و أربعمائة » .

ذلك تشكيكا[١] للعوام فى إباحة أكلها إذا رأوها مذبوحة. قال و لقد
أخبرنى الشيخ أبو الحسن على الغمازى، قال كنت أيام فضائى ببونة
أصاب الناس فيها مجاعة شديدة، فكانوا (يلقون[٢]) قططهم أحياء لقلة
القوت، و كان المار فى الطريق إذا رآها نظر إلى أمر مهول لا سيما
٥ إن كان رقيق النفس، فسألنى أهل البلد أن آذن لهم فى قتلها،
فأذنت لهم، فقتل الصبيان منها عددا كثيرا. ثم أنى عدت على نفسى
بالملامة لأنى أذنت فى أمر لم أره لأحد من أهل العلم، فبينما أنا كذلك
إذ دخل علىّ رجل باختصار العتبية للبيع. فنظرت فيه فكان أول شىء
وقع بصرى عليه قول ابن القاسم فيها بالإباحة، يعنى ما حكيت عنه،
١٠ فحمدت الله و اشتريت الكتاب بسبب هذه المسألة – انتهى[٣].

و فى سنة سبعين[٤] و أربعمائة ورد الخبر بأنه حوصرت انطاكية[٥]
[٦]إلى أن[٦] بيع فيها كل رغيف بدينار، و وقع الوباء بها. و قيل
لما حوصرت تلمسان[٧] فى بعض السنين[٧] [٨]من أرض المغرب[٨] بلغ الفأر

(١) فى الأصل: تشكيلا – و الكلمة صححت بقلم آخر إلى «تشكيكا».
(٢) ناقصة من نص بر و يكتمل بذكرها الكلام.
(٣) هنا ينتهى السقط من بن [١٧٨ : الف].
(٤) فى بن: سبع.
(٥) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٦–٦) فى بن: حتى أنه.
(٧–٧) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٨–٨) ساقطة من بن.

فيها

[١]فيها دينارا[١] . و فى سنة ثلاث و تسعين و أربع [٢٣٣ : ب] مائة امتنع القطر[٢] و كثرت الأمراض و عدمت الأدوية و كثر الموت حتى رئى[٣] على نعش ستة موتى ، ثم حفر لهم حفرة فألقوا[٤] فيها .

و فى سنة إحدى عشرة و خمسمائة زلزلت الأرض ببغداد يوم عرفة ، و كانت الحيطان تمرّ و تجىء ، و بلغ الكُر الدقيق ثلاثمائة ٥ دينار حتى أكل الناس الكلاب .

و فى سنة ثمان و أربعين و خمسمائة وقعت حيطان منبج[٥] [٦]بعضها على بعض[٦] ، فهلكت أهلها ، و لم يسلم من أهلها غير سبعة عشر نفر[٧] كانوا خارجين عنها . و قد تقدم ذكر خبر الزلزلة التى كانت بالديار المصرية فى ذى الحجة سنة ثنتين[٨] و سبعمائة ، و تقدم أيضا ذكر [٩]الوباء ١٠ الذى كان فى سنة تسع و أربعين و سبعمائة بالديار المصرية مع كثرة الرخاء الذى كان بها . و تقدم أيضا ذكر الوباء الذى كان بالإسكندرية[٩] فى سنة خمس و سبعين و سبعمائة .

(١–١) فى بن : بدينار – و فى الأصل بر : دينار .
(٢) فى بن : المرض .
(٣) فى بر : رئ – و فى بن : راى .
(٤) فى بن : فالقو .
(٥) فى الأصلين : منبيج – و هو خطأ واضح .
(٦–٦) ساقطة من بن .
(٧) فى الأصلين : نفرا .
(٨) فى بن : اثنتين .
(٩–٩) فى بن : الوباء و الغلاء اللذين كان بها و بالإسكندرية .

وذكر أصحاب الإمام مالك أن الناس أصابهم سنة بطريق مكة سعال، فكان الرجل لا[1] يسعل إلا يسيرا حتى يموت، [2]ففقد ناس ممن خرج إلى الحج، فلم يأت لهم خبر حياة ولا موت[2]. فرأى مالك بقسم[3] أموالهم[4] ولا يضرب لهم أجل المفقود ولا غيره للذى بلغه من موت الناس من ذلك السعال. قالوا [5]وكذا الشأن فى[5] أهل البوادى فى الشدائد ينتجعون من ديارهم إلى غيرها من البوادى[6]، ثم يفقدون أنهم على الموت، وقد علم ذلك من حالهم - انتهى[7].

[ذكر محاسن الناصر محمد]

[8]نعود إلى ذكر محاسن السلطان الملك الناصر محمد ابن [2]الملك المنصور[2] قلاون و[9]رفعه الظلامات[9] كان رحمه الله[10] عادلا فى رعيته،

---

(١) ساقطة من بر وواردة فى بن.

(٢ - ٢) ساقطة من بن [١٧٨ : ب].

(٣) فى بن: أن تقسم.

(٤) زيد فى بن: وتنكح نساؤهم.

(٥ - ٥) فى بن: وكذلك.

(٦) فى بن: البرارى.

(٧) الكلمة ساقطة من بن.

(٨) فى هامش بر: ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاون.

(٩ - ٩) العبارة ساقطة من بر وواردة فى بن.

(١٠) زيد فى بن: تعالى.

محسنا فى قضيته، أبطل المظالم، و كف أيدى [1] كل ظالم [1]، و كان هيكلا حسنا على ظهر فرسه، كبير الوجه أحمر اللون، [2] ذا لحية [2] كبيرة مستديرة [3]، قد وخطه [4] الشيب. [بن ١٧٨ : ب] [5] و كان برجله الواحدة قصر لسبب عرض له فيها فى صغره، وكان يعرج بها. قيل كان يجلس بشباك قصره الذى عمره بقلعة الجبل المسمى بالقصر الأبلق فى الليل و العيون ٥
راقدة، و الأصوات خامدة، فيرى النجوم زاهرة، و الكواكب السيارة سائرة، و السحاب المسخّر بين السماء و الأرض، و النيل الذى فرش الأرض بطول أرض مصر [6] ...... الله تعالى و يقدسه و يمجده و يعظمه و يشكره و يحمده و يقول: سبحان من أعطى ملكه لأضعف خلقه.
يعنى بذلك نفسه، فلاعترافه بقدرة الله تعالى و خضوعه و تواضعه لعظم ١٠
خالقه خوّله الله تعالى فى الملك نحو الخمسين سنة. و كانت دولته أحسن الدول من الأمن الكثير، و الرخاء الغزير. و انقادت له الدول، و خضعت له الملوك فى السهل و الجبل. فكانت الملوك تهابه، و ليس

(١ – ١) فى بن: الظالم.
(٢ – ٢) فى بر: ذو لحية – و فى بن: بلحية.
(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٤) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: خطه.
(٥) يبدأ هنا سقط كبير من بر و يستمر فى بن إلى ١٨٠ ب ثم يستأنف الكلام فى كليهما بقصيدة رثاء الناصر مطلعها « فقد الوجود بل الوجود لفقده ».
(٦) العبارة هنا مطموسة بالأصل بن.

أحدا منهم يحاديه، فعاش عيشا هنيئا، و مات على فراش[1] سويا .

و سأ ذكر الآن ما فعله الملك الناصر محمد فى دولته من روك البلاد، و نفع العباد إن شاء الله تعالى . و ذلك أنه برز مرسومه الشريف فى سنة خمس عشرة و سبعمائة بإبطال المظالم التى كانت بالديار المصرية و نصه:

٥ " رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى مثال العلامة الكريمة محمد بن قلاون، لا برح إحسانه يرعى بحسن نظره مصالح الرعية، و امتنانه يسعى بأنواع السماح و البر إلى البرية، و توالى فضله على الأمة المحمدية، يخجل بكرمه و سمى[2] (كذا) وليه أن يخلد هنا المرسوم الشريف فى الأعمال البهنساية[3]، بما شمل الرعايا . و أهل البلاد و كافة البرايا . من صدقاتنا

١٠ التى عمت، و معداتنا التى بمت و تمت، و بما سامحناه و أبطلناه عنهم من المكوس و المظالم و الحوادث و الرسوم التى كانت تستأدى منسوبة للحقوق الديوانية بالجهات التى ذكرها فى هدا المرسوم المكتتب من نسخه المرسوم ....[4] و المقررات و المراسيم الشريفة التى اقتضتها آراؤنا العالية، و ذلك عند روك[5] الديار، فأول ما ابتدأنا به تَعْفية آثار مظلمه قد أذلهم

(١) فى بن : فراشا .

(٢) كذا فى الأصل، و جائز قراءة الكلمة « و يسمى » .

(٣) كذا فى الأصل، و لعل الكلمة « البهنساوية » نسبة إلى منطقة البهنسا بمصر الواسطى، و قد آثرنا الإبقاء على صيغة المرسوم كما هى دون تعديل أو تصحيح لفظى إلا فى أضيق الحدود التى يقتضيها السياق باعتبار أن النص كما هو يمثل اللغة الديوانية الشائعة فى ذلك العصر .

(٤) هنا كلمة لا يستقيم بها السياق، و من الممكن قراءتها « لسامح » أو « بمسامح » .

(٥) إشارة إلى « الروك الناصرى » وهو عبارة عن عملية مسح الأرض و تقدير الضريبة و توزيع الأقطاعات على مساحتها. و قد خصص المقريزى فى « الخطط » =

ليلها

ليلها ، وعم ويلها ، و اندفع سيلها ، و هى المقررات التى كانت تستأدى
منسوبة لحقوق سواحل الغلال[1] و العرصات ، و تسقط هذه المظلمة
و تعفا آثارها من القاهرة و مصر المحروستين و الأخصاص و الفروع
المنسوبة إلى ذلك جميعها ، ولا يتعرض إلى تنمية الدرهم الفرد عن الغلة
الواصلة و لا المبيعة و لا شيء من [بن ١٧٩ : الف] الرسوم و لا الوجوه ٥
التى كانت تستأدى منسوبة لعلامات سواحل الغلات بالجهتين المذكورتين.
و كذلك رسمنا بابطال نصف السمسرة و ضمانها و هو الكسر الذى
يستأدى من السماسرة و المناديين و يساهمون فيه من أجرة بيعهم
و شرائهم و محو هذه المظلمة و إسقاطها من بطون الأوراق والدفاتر
و الدواوين و تعفية آثارها نظرا فى حالة الضعفاء الذين امتحنوا بهذه ١٠
المحنة إلى أن يسر الله تعالى لهم هذه المحنة على أيدينا و منّ باسقاطها ،
و أمنّا الرعايا و الضعفاء و المساكين من تناولها منهم و توفّرا لخاطرهم
على كسبهم و معايشهم و الأدعية الصالحة لما يقبلها الله تعالى من كل داع
مخلص . و كذلك بابطال المقدمين و مقرراتهم و بدولهم و ما يضم إلى
ذلك من الحوايص و البغال ، و إبطال الرسل و المترددين من البلاد و تعفية ١٥

= (طبعة مصر ١٣٢٤ هـ ج ١ ص ١٤١ - ١٤٧) فصلا لذلك تحت عنوان « ذكر الروك الأخير الناصرى » و هو الفصل الثانى و العشرون (ج ٢ ص ٢٠ و ما يتلوها) من الطبعة التى بدأ نشرها (Gaston Wiet) جاستون فييت .

(١) أورد المقريزى فى خططه الكثير من هذه الاعفاءات من المكوس والقرارات المالية التى أصدرها الناصر محمد و المذكورة بهذا الموسوم - انظر الحاشية السابقة .

آثارهم لتطمئن الرعايا بأمانكم، و قررنا أن يكون نواب الأمراء الذين يقررونهم ببلادهم نوابا عن مجلس الحرب السعيد[1] . . . . . واحد من أهلها لحق من الحقوق فيخلصه الوالى ممن يتعين فى جهته و يوصله لمستحقه و يتصدّى لإزالة التعدى عن أحد منهم على الآخر، و إن اتفق فى ٥ البلاد أمر كبير مثل قتيل أو ظهور فساد فيها أو حضور واحد من المفسدين إليها فيكون والى تلك الناحية و مشايخها و خفراؤها ملتزمين بالدرك فى ذلك و إحضار الغرماء و المفسدين إلى والى الحرب، و لا يُمكّن أحدا (كذ) من الفساد، و لا يستحسنوا لأحد فعله عندهم، و لا يمنعوا أحدا عن شىء يتعين عليه، و لا يحمى بلد على بلد أخرى، و من حضر ١٠ إليهم من المقبحين أو المتحيدين فلا يؤوه و لا يقربوه بل يمسكوه و يعيدوه إلى بلده و يسلموه إلى أهل تلك البلد و يشهدوا عليه و على شيوخها بتسليمه لهم أو يسلموه لوالى الحرب من غير حماية ولا يمكّن من إقامته يوما واحدا عندهم و لا يؤوه ساعة واحدة. و من ارتكب (خرو) جا[2] عن مرسومنا هذا أو حمى أحدا أو مكن أحدا من الإقامة عنده من ١٥ المفسدين أو المسلحين[3] . . . و فعل[4] خلافه أو نقض حكما واحدا من

---

(١) العبارة هنا مطموسة بالأصل.

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا و قد أكملناها من السياق.

(٣) فى الأصل: المسجين، و قد تكون «المساجين».

(٤) جاءت الكلمة بأول السطر، وجائز أن يكون مطموسا منها حرف ألف، و بذا تصبح قراءتها «أو فعل».

أحكامه فى أى بلد كان ، فالوالى بتلك البلد و شيوخها و خفراؤها (كذا)
و أرباب الدرك يقومون[١] بحكم سيوفنا بالتوسيط و الشنق و التسمير على
نخيل تلك البلدة . و إن اتفق فى سنة من السنين حصول شراق و قصد بعض
الفلاحين أن ينتجع من بلده إلى بلد ريّ ليزرع فيها مؤنته فيتوجه برضى
مقطعى بلده و يكون حطه معهم بالرضى بذلك ، و عند ضم المغل يرجع ٥
إلى بلده و وطنه بحيث لا يحصل فى ذلك منازعة و لا يدعى أخذ[٢] فلاح
غيره لكونه زرع عنده ، فيعمل كل منهم بما شمله من إحساننا و صدقاتنا
و معروفنا و برّنا . وكذلك رسمنا بابطال رسوم الولاية و عدم استيداتها ،
ولا يُمكّن أحد من الولاة و لا نوابهم و لا المتحدثين (كذا) عندهم من جباية
رسم و لا مشاهرة و لا إحداث حادثة عليه[٣]، و كذلك كتاب الولاة ١٠
و دواوينهم و مباشروهم فلا يتعرض أحد منهم إلى تناول رسم و لا جامكية
على البلاد ، فقد رسمنا بابطال جوامكهم على البلاد و أسقطنا ذلك عن
الرعية ، فلا يتعرض أحد بعد مرسومنا هذا من كُتّاب الولاة و لا مباشريهم
إلى تقرير جامكية [ن ١٧٩: ب] على البلاد و لا رسم ولا مقرر و لا مشاهرة
ولا مياومة ، و لا يستأدى من ذلك الدرهم الفرد و لا شيء قلّ و لا جلّ ، ١٥
فقد أبطلنا هذا الحادث و عفينا آثاره فليحذر كل منهم من تناول
شيء من ذلك . رسمنا بابطال حقوق السجون و مقرراتها و ضمانها
و منع التعرض لأخذ الدرهم الفرد منها ، و أن لا يجمع على المسجونين

---

(١) فى الأصل : يموتون . – و هو خطأ قلمى واضح .
(٢) الكلمة فى الأصل : أحد . و هى بدون نقط و قد آثرنا نقطها كذلك للسياق .
(٣) فى الأصل : على عليه . – و تقع لفظة « على » بين السطرين و هى زائدة .

بين ضيق السجن وضيق العسر، فانه ما بقى عند المسجونين إطلاقه بمقدار
تعويقه على الضمان المذكور، فرأينا أن تكون هذه الحسنة مسطرة فى
صحائف حسناتنا و تقرّبنا إلى الله تعالى بتعفية آثارها. ثم أنعمنا النظر
فى مصالح البلاد و الأعمال الراتبة فوجدنا أهم أمورها مصالح جسورها
٥ و إتقانها، و أن لا تدخل الأيدى بجباية مبلغ، فرسمنا بأن تعمل جميع
الجسور و الترع بالجراريف و الأبقار و الرجال على قدر مصلحة كل بلد
من غير أن تطلب عن ذلك دراهم و لا دخول و لاخروج، بل كل بلد
تعمل (بأهلها [1]) و تعفا من الطلب بالدراهم عن القش و المدامسة و عن
رسوم الخولة و المهندسين، و إبطال استخراج الدراهم عن جميع ذلك،
١٠ و يستقر العمل دون جبايه مبلغ، و توفر على الرعايا صدقة عليهم و نظرا
فى حالهم، و يمحا ذكر طلب يطالب للجراريف و الجمع و الرسوم السدود
بحيث لا يكون اسد و لا مهندس و لا خولى رسم و لا بدل و لا استيداء
الدرهم الفرد، بل كل بلد يلتزم مقطعها بعمل ما يجب عليه عمله من
غير رجوع إلى العوائد القديمة. و كذلك رسمنا بابطال طرح بالفراريج
١٥ على البلاد و إنذار الرعية بها، و لا يُلزَم أحد بما لا يختاره من الفراريج،
بل يكون بيعها و شراؤها بالسعر الخاص أسوة بقية الأصناف من غير
جبر و لا إكراه، و لا تُرمى فراريج بلد على أهلها، و لا يُلزم أحد
بمشترى شيء منها اغتصابا، و لا يُقرر شيء منها بضمان و لا رسم و لا غيره،

---

[1] العبارة هنا مطموسة و لكن أعليها يقرأ على وجه التحقيق إلا هذه الكلمة اقتبسناها من سياق الكلام.

و تنقض

و تنقض العوائد السيئة التى كانت فى ذلك من غير رجوع إليها ، و تكون أسوة المبيعات التى تباع و تشترى من غير طرح و لا رمى و لا تقرير . و كذلك رسمنا بابطال مقرر الفرسان و مقرر الخيل الذى كان يستأدى وقت حركات الجيوش المنصورة إلى البواكير و كذلك قود[1] الخيل، و أبطلنا هذه المظلمة[2] ابتغاء لثواب الله تعالى ، و الله لا يضيع ٥ أجر المحسنين ، و وثوقا بكرم الله تعالى ، و إمداد[3] نصره للمؤمنين[4] . و كذلك رسمنا فى أمر الإفراح بأن لا يؤخذ مقرر ملاهى ممن يعمل فرحا ، و من أعرس أو كتب كتابه أو أملك أو كان عنده ختان أو ولد له ولد أو غير ذلك من الولائم و لم يعمل فرحا فلا يلزم بالقيام بشىء من المقررات المثبوتة للملاهى و للافراح ، و لا يطلب مقررا للملاهى إلا ممن ١٠ يعمل عنده فرحا بملاهى ، و من لم يكن عنده أحد من الغوانى (و الملاهى[5]) فلا يطلب عن وليمته شىء قل و لا جل من المقررات التى كانت تستأدى أولا . و كذلك رسمنا بالمسامحة بثمن العبي[6] التى كانت تقررت و أبطلناها فلا يتعرض أحد لاستخراجها بعد مرسومنا هذا .

---

(١) و المقصود بالكلمة « أود » .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا و لكنها واضحة من السياق .

(٣) فى الأصل : و الامداد .

(٤) فى الأصل : المستومين . و أغلب الظن أنه خطأ قلمى فى النسخ .

(٥) الكلمة مطموسة بالأصل ، و لكنها واضحة من سياق الحديث .

(٦) الكلمة واضحة ، و أغلب الظن أن المقصود بها جمع كلمة « العباءة » .

و كذلك رسمنا بابطال المقرر من الأتبان التى توجد لمعاصر الأقصاب[1]
و أن لا يتعرض أحد إلى أخذ تبن من بلد من البلاد إلا بثمنه و رضى أصحابه،
و يستمر الحكم فى ذلك عاما شاملا لمعاصر الخاص الشريف و الأمراء
و غيرهم من الجهات ، و تستقر أتبان المعاصر الجارية فى الخاص الشريف
٥ على بلاد الخاص الشريف من جملة ما يؤخذ منها ، و لا يتعرض إلى غير بلاد
[بن١٨٠:الف] الخاص الشريف إلا بالثمن المرضى والقيمة العادلة ، و لا يجبر
أحد من أهل البلاد على بيع تبنة بغير رضاه ، و لا يقرر عليه شىء من التبن
حسب ما رسمنا به . و كذلك رسمنا بابطال حماية المراكب و أن لا يعود
أحد من الأمراء و أرباب الجهات يحمى مركبا لا يستأدى عن الحماية
١٠ حقا .ولامقررا من المقررات التى كانت تستأدى فيما قبل مرسومنا هذا ،
ولا يتعرض أحد إلى المراكب بغير حق يشهد به الديوان المعمور من
غير حماية . وكذلك رسمنا بالرفق بالرعايا و أن لا يطالب الحى عن الميت
و لا المقيم عن النازح و لا الحاضر عن الغائب ما لم يكن ضامنا أو كفيلا
أو ملتزما . وكذلك قد رسمنا بالمسامحة بما انساق للأمراء و المقطعين من
١٥ البواقى فى بلادهم من الخراجى و الضمان و غير ذلك و إلى آخر مُغَلّ
سنة أربع عشرة و سبعمائة ، و لا يطالب أحد من الرعية و المزارعين
إلا بحق شرعى يكون الغريم قد قبض العوض عنه ، و مهما كان باقيا من
خراج أو ضمان و ما يجرى مجرى ذلك فيسامح .....[2] و لا يطلب منهم

---

(١) فى الأصل : الاقتصاب . و الكلمة غير منقوطة، ولكنها واضحة من السياق .
(٢) الجملة هنا مطموسة ، و ربما كانت الكلمة الأولى منها « الناس » و لكن باقيها لا يقرأ .

بالجملة الكافية ، و يستمر الحكم على ما رسمنا به فى المساحة إلى آخر مغل
سنة أربع عشرة و سبعمائة ، و لا يتعرض أحد من نواب الأمراء و المقطعين
إلى استخراج شيء من الباقى المختص بالسنة المذكورة و ما قبلها. وكذلك
رسمنا أن تعفا جماعة الفلاحين من ضيافة القدوم عند انتقالات الإقطاعات
فى سنة الروك المبارك . و كذلك رسمنا بابطال عداد النحل[1] حسب ٥
ما يشهد به الديوان المعمور من جملة ذلك و تفصيله الحكم فى ذلك فى
بلاد الخاص الشريف و الأمراء و المقطعين ، و لا يستخرج بعد هذا
المرسوم الشريف . وكذلك رسمنا بابطال زكاة الرجال بالديار المصرية
بالوجهين القبلى و البحرى ، ثم أنعمنا النظر فيما عدا الملة المحمدية من
الطوائف ليكون عدلنا جامعا لجميع الملل و الطوائف ، فرسمنا فى أمر الجوالى ١٠
بالديار المصرية و أعمالها تؤخذ من اليهود و النصارى أن لا تؤخذ
منهم جالية إلا على حكم التصقيع ، و رسمنا بالمساحة بما كان يستأدى[2]
(م)نهم[3] منسوبا للعجز حسب ما يشهد به الديوان المعمور . و كذلك
رسمنا بابطال جميع البدول من الولاة و النظار (و الم)ستوفين[4] و أرباب

---

(١) جائز أن تكون الكلمة أيضا « النخل » لأن النقطة الأولى ساقطة ، و النقطة الثانية قد تتبع الخاء أو ما قبلها ، و لكننا آثرنا استعمال « النحل » لوجود كلمة « استخراج » فيما بعد مما يتصل بعسل النحل .

(٢) فى الأصل : يستددى .

(٣) الكلمة مطموسة جزئيا بأول السطر .

(٤) الكلمة مطموسة جزئيا . و ربما كانت « المستوفين » كما جاءت فيما بعد .

الوظائف[1] جميعا من أرباب و غيرهم . فليستقر حكم هذا المرسوم الشريف
لاستقبال تاريخه ....٢ معمل الروك المبارك و خروج المناشير الشريفه ،
و هو من استقبال شهر صفر سنة ست عشرة و سبعمائة ، بلغ الله تعالى
إليها و ختمها بالصالحات . و تبطل هذه الحوادث و المظالم التى رسمنا
٥ بابطالها من القاهرة و مصر المحروستين و سائر أعمال مصر بجميع الولايات
و الأعمال بالوجهين القبلى و البحرى حيث ما يشهد الديوان المعمول
بحمله ذلك و تفصيله و تفريقه و تأصيله ، لا يختص بذلك بلد من البلدان
و لا مدينة من المدن و لا قرية و لا كفر و لا جهة و لا منيل كبيرا كان
أو صغيرا ، و لا استثناء فى هذا المرسوم الشريف و لا رجوع و لا تعقيب ،
١٠ و سبيل كل واقف على مرسومنا هذا من النواب و الأمراء و الولاة
و النظار و المستوفيين و الشادين و المتصرفين و سائر ولاة الأمور فى
ممالكنا الشريفة العمل بحسبه من غير تأويل فى ذلك و لا تبديل ، و من
نقض شيئا من ذلك أو استحل حرمته أو أحيا مظلمة أماتها عدلنا الشريف
فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لعنة باقية إلى يوم الدين، و العلامة
١٥ الشريفة أعلاه حجة به ، و قد كتبنا مثالها فى الأول إن شاء الله تعالى .
كتب ثامن عشر ذى الحجة [ن ١٨٠ : ب] سنة خمس عشرة و سبعمائة
حسب الأمر الشريف . الحمد لله وحده و صلوته على سيدنا محمد و آله
و سلامه و حسبنا الله و نعم الوكيل . " – انتهى .

---

(١) فى الأصل : الوضايف .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا ، و ربما قرئت « بالعمل » .

فانظر

فانظر يا هذا إلى محاسن فعل الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون . فلما عدل فى الرعية ، و أخلص النية ، طالت مدته فى الملك فعاش هنيا ، و مات على فراشه سويا . و كانت وفاته فى ذى الحجة سنة إحدى و أربعين و سبعمائة ، و دفن مع والده الملك المنصور قلاون فى قبره بقبّة المنصورية بين القصرين بالقاهرة المعزية . و عمّر المنصور محمد ٥ فى حياته المدرسة الناصرية المجاورة لقبة المنصورية من شرقها ، و عمر أيضا الجامع الذى بدار النحاس بمصر ، و عمر أيضا الخانقاه التى بسرياقوس ، و عمر أيضا جامع القلعة ، و جدد أيضا عمارة أبواب القلعة و كان محبا فى [1].... لا يكاد ينقطع فى القلعة ، رحمه الله تعالى . و قد رثى بمراثى منها المرثية التى لأبى الفضل قاسم البجائى القصّار نزيل ثغر الإسكندرية ، ١٠ فنها قوله :

بكت العيون بكل بحر زاخر	أو كيف لا تبكى لفقد الناصر
ملك الشآم و عزّ مصر و نورها	حامى الحجاز مبيد كل مخامر[2]
[3]فقد الوجود بل الوجود لفقده	متحسرا أضحى شبيه الحائر
يبكى عليه بأدمع كيواقت	طورا[4] و لؤلؤ بعضها بجواهر ١٥

---

(١) الكلمة مطموسة بالأصل ، و لكن يمكن قراءتها حدسا « العبادة » أو العمارة

(٢) إلى هنا تنتهى الزيادات الواردة فى بن وهى ساقطة من بر ، فأخذناها برمتها عن بن وهى تشمل ذلك المرسوم الفريد من حكم الناصر محمد .

(٣) من هنا يستأنف الكلام فى كل من بن [١٨٠ : ب] و بر [٢٣٣ : ب] . و يسبق الشعر فى بر : و قيل فى هذا المعنى .

(٤) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن و يستقيم بذكرها ميزان البيت .

زار الثرى فاضا الثرى[1] من نوره و أجابه أهلا [1] بنعم الزائر
فغدا به القبر الذى قد حله روض يفوح كنشر مسك عاطر
و كأنه مذ حل فيه روضة ممطورة قد نمقت بأزاهر
سقيا لترب حل فيها جسمه قد عطرت منه بجسم طاهر
٥ كم حجة قد حجها مبرورة كم[2] وقعة شهرت له ببصائر
[٢٣٤:الف] / فى شقحب حز الرؤس بسيفه قهرا و نصرا من عزيز ناصر
قد مده بالعز منه أولا [3] فضلا [4] و يتمم فضله [4] فى الآخر

و ظهر فى [5] دولة الملك الناصر محمد المذكور [5] بحمص [6] مكان متسع [6] تحت الأرض قد خسف ، و إذا سرير كبير عليه رجل ميت ، و إن
١٠ هامته من عظمها يفرش عليها حصير ، و لم يجدوا عنده مالا [7] ، فكوتب الملك الناصر [8] فى ذلك [9] ، فأمر أن تردم تلك الحفيرة عليه فردمت ،

(١ - ١) هذا الجزء من البيت مطموس فى بن .
(٢) فى بن : و كم .
(٣) فى بن : او .
(٤ - ٤) فى بن : و تمم بعضه .
(٥ - ٥) فى بن : دولته . و بهامش بر : نكتة .
(٦ -) فى الأصلين : مكانا متسعا .
(٧) فى الأصلين : مال .
(٨) زيد فى بن : محمد .
(٩) فى بن : بذلك .

فقيل إنه شداد بن عاد البانى لارم ذات العماد ، و قيل غيره[1] – و الله[2] أعلم [3] من هو من الملوك . قال بكر بن حماد :

غفلت و حادى الموت فى إثرى يحد ... و إن لم أرح ميتا فلا بد أن أغدو
أرى عمرى ولى و لم أترك المنى ... وليس معى زاد و فى سفرى بُعد
أنعّم جسمى باللباس و لينه ... و ليس لجسمى من قميص البِلا بد ٥
كأنى به قد مُدّ فى برزخ البلا ... و من فوقه ترب و من تحته لحد
و قد ذهبت تلك المحاسن و انتحت ... فلم يبق فوق العظم لحم و لا جلد
عسى غافر الزلات يعفو زلتى ... فقد يغفر المولى إذا أذنب العبد
أنا الفرد عند الموت والفرد فى الثرى ... و أبعث فردا فارحم الفرد يا فرد[3]

[4] و سأذكر هنا[4] ما قيل عن بعض الملوك فى تعظيمه لقدرة الله ١٠ تعالى [5] كفعل الملك الناصر محمد إذ كان يقول فى ذكره : سبحان من أعطى ملكه لأضعف خلقه[5] . و هو أن ذلك الملك اضطجع على فراشه بأعلى قصره أول الليل ، و أشخص بصره للفلك [6] ، و أقبل عليه متفكرا و فى هيئته متدبرا . فقال : أيها الفلك إن بناء أنت سقفه لعظيم ، و إن

(١) ساقطة من بن .
(٢) زيد فى بن : تعالى .
(٣ – ٣) الجملة و القصيدة التالية ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٤ – ٤) فى بن : فلنذكر الآن .
(٥ – ٥) الجملة ساقطة من بن .
(٦) فى بن : الى تلك .

بينا أنت غطاؤه[1] لمكين، و إن شيئا أنت تظله لكبير، و إن فيك لعجبا لذى تفكير، فليت شعرى أعلى عمد من تحتك تمسك، أم بمعاليق تتعلق، و لعمرى إن ممسكا أمسكتك قدرته لملك قدير، و إنك فى استدارتك بتقديره[2] عن[3] زوالك لحكيم خبير[4]، و إن جهل من غفل عن التفكر
٥ فى هذه العظمة لغير صغير – ثم أقبل على نجومه و قال: ليت شعرى كم أفنيت من القرون، وكم صحبت قبلنا من الأمم فى سالف الدهور، و كم حسر[5] الناظرون إليك من العيون، وكم أعييت قبلنا من الفكر و العقول؟ ليت شعرى ما طلوعك حين تطلعين، و مسيرك حين تسيرين، و أفولك حين تأفلين، و على من سقوطك حين تغيبين؟ و ليت شعرى أمنوطة أنتِ
١٠ أم تتحركين، أم كيف صفتك التى بها توصفين، و لونك الذى به تتوسمين، و من سمّاك باسمك الذى به تعرفين؟ فسبحان من لأمره تنقادين، و بمشيئته تجرين، و بصنعة استقامتك حين[6] تستقيمين، و رجوعك حين ترجعين، و [7] استنارتك حين تستنيرين[7]، و بروزك حين تبرزين، فتبارك

(١) كذا فى بن، و هى فى بر: غطاءه.

(٢) فى بن: بتقدير.

(٣) فى بن: و عن.

(٤) فى بن: لخبير حكيم.

(٥) فى الأصلين: حسرت.

(٦) فى بن [١٨٢: الف] حتى.

(٧–٧) فى بن: و استتارك حين تستترين.

الله

الله أحسن الخالقين - شعر ١ فى المعنى ١ :

كأن نجوم الليل سارت نهارها ٢ فوافت٣ عشاء وهى٤ انضاء أسفار٤

و قد خيمت كى تستريح ركابها فلا فلك جار و لا كوكب سارى

و لبعضهم فى فراقه لمحبوبه :

[٢٣٤ : ب] خليلى إنى للثريا لحاسد و إنى على ريب الزمان لواجد ٥

أ يبقى جميعا شملها و هى سبعة و أفقد من أحبته و هو واحد

[الكواكب و الأفلاك و الأبراج]

قال المسعودى فى تاريخه: الأفلاك ٥ تسعة فأولها و أصغرها و أقربها إلى الأرض فلك القمر ، و الثانى لعطارد ، [6]و الثالث للزهرة[6] ، و الرابع للشمس، و الخامس للمريخ ، و السادس للمشترى ، و السابع لزحل، ١٠ و الثامن للكواكب الثابتة ، و التاسع للبروج . و الأفلاك مستديرة محيطة للعالم ، و هى تدور على مركز الأرض ، و الأرض[7] فى وسطها مثل النقطة وسط الدائرة ، و سائر الكواكب كلها فى الفلك الثامن ، و الفلك التاسع هو أرفع و أعظم[7] جسما . و هذا الفلك يحيط بالأفلاك التى دونه و بالطبائع

(١ - ١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢) فى بن : نهارها . (بدون نقط و هو خطأ قلمى واضح) .

(٣) فى بن : فوفيت .

(٤-٤) فى بن : انما اشعار .

(٥) فى هامش بر : الأفلاك و عدتها .

(٦ - ٦) مطموسة فى بن .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

الأربع و بجميع الخليقة و ليس فيه كوكب واحد[١] ، و دوره من المشرق إلى المغرب كل يوم دورة واحدة تامة[٢] ، و يدير بدورانه ما تحته من الأفلاك المتقدم وصفها . و قيل إن الرعد[٣] هبوب[٤] الرياح فى بطون السحب ، و البرق[٥] نار تظهر من تلاطم السحب ، و الصاعقة[٦] حديد و نحاس ٥ امتزجا فى الجو و ألهبتهما[٧] النار[٨] فقطرا . فأما[٩] الأفلاك السبعة المتقدم ذكرها ، فانها تدور من المشرق إلى المغرب ، و الفلك الثامن يدور على قطبين غير قطبي الفلك الأعظم . و إن الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ، و لها تفاوت فى حركاتها ، و ان مقادير حركات هذه الكواكب فى أفلاكها مختلفة[١٠] ، فمقام القمر فى كل برج

---

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : تامة واحدة .

(٣) بهامش بر : الرعد .

(٤) فى بن : مرور .

(٥) بهامش بر : البرق .

(٦) بهامش بر : الصاعقة .

(٧) فى بن : و ألهبتها .

(٨) فى بن : نار .

(٩) فى بن : و أما .

(١٠) فى بن : تختلف .

يومان[1] و نصف و يقطع الفلك فى شهر . قال الشاعر فى الهلال و البدر[2] و مغيبهما و ظهورهما :

يغيب هلال الشهر من دون ساعة ... كذلك[3] أيضا ليلة النصف يظهر

فستة أسباع له كل ليلة ... يغيب على هذا الحساب[4] و يسفر

فللبدر ثنتا[5] عشر ساعة كملت ... لثامن عشرين الحساب المحرر[6] ٥

و تاسع عشرين الشعاع حجابه ... و يخرجه منه[7] ثلاثون تحصر

فان كان فى قدر الأهلة قلّ يُرى ... و إن قلّ عن مقدارها ليس يظهر

و اعلم أن مقام[8] الشمس فى كل برج شهر[9] ، و مقام عطارد فى كل برج خمسة و أربعون[10] يوما ، و مقام المشترى فى كل برج سنة ،

---

(١) فى الأصلين : يومين .

(٢) فى بن : و القمر .

(٣) فى بن : كذاك .

(٤) فى بن : الهلال .

(٥) فى بر : ثنتى ، و هى كذلك فى بن و هو الأصح .

(٦) فى الأصلين : محرر .

(٧) فى بن : معه .

(٨) فى هامش بر: إقامة الكواكب فى أبراجها .

(٩) فى الأصلين : شهرا .

(١٠) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : و أربعين .

و مقام زحل فى كل برج ثلاثون[1] شهرا ، و إن البروج الإثنى[2] عشر يتلو بعضها بعضا فى [٢٣٥ : الف] مسيرها ، و لا تنتقل[3] عن أماكنها فى طلوعها و غروبها .

[استدارة الأرض و أبعادها]

٥ و استدارة الأرض[4] كلها جبالها و بحارها أربعة و عشرون ألف ميل ، و إن قطرها و عمقها سبعة آلاف و ستمائة و ستة و ثلاثون[5] ميلا . و أن الفلك مستدير بمحورين و قطبين ، و أنهما بمنزلة محور النجّار و الخرّاط الذى يخرط الأكر[6] و القصاع و غيرها من آلات الخشب ، و ان من كان مسكنه فى وسط الأرض و عند خط الاستواء استوى[7] ١٠ ساعات ليله و نهاره و سائر الدهر ، و ان هذين[8] المحورين هما القطب الشمالى و القطب الجنوبى . و الكلام يطول على ما قيل فى الأفلاك و الكواكب ، فلنقتصر على هذا القدر منها .

---

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : ثلاثين .
(٢) فى بن : الاثنا .
(٣) فى بن : تستقل .
(٤) فى هامش بر : استدارة الأرض .
(٥) فى بن : و ثلاثين .
(٦) فى بن : الأكرة .
(٧) فى بن : استوا .
(٨) فى بن : هاذين .

[الجبال و البخار و الأنهار و العيون و المدن]

و سأذكر[١] ما قيل فى الجبال و البحار [٢]و الأنهار و العيون و المدن إن شاء الله تعالى[٢]. ذكر فى [٣] الكتاب المعروف بجغرافيا[٣] صفة الدنيا و مدنها و جبالها و ما فيها من البحار و الجزائر [٤]و الأنهار والعيون[٤] و وصف المدائن المسكونة و المواضع العامرة ، و أن عددها[٥] أربعة ٥ آلاف مدينة و خمسمائة و ثلاثون مدينة فى عصره ، و سماها مدينة مدينة فى إقليم إقليم . و ذكر [٦]فى هذا الكتاب[٦] ألوان جبال الدنيا من الحمرة و الصفرة و الخضرة و غير ذلك من الألوان ، عددها[٧] مائتا جبل و نيف ، و ذكر مقاديرها و ما فيها من المعادن و الجواهر . و ذكر أيضا أن عدة البحار المحيطة بالأرض خمسة أبحر ، و ذكر ما فيها من الجزائر ١٠ و العامر منها و الغامر مما اشتهر من الجزائر دون ما لم يشتهر . و ذكر أن ابتداء بحر مصر و الروم من بحر الأصنام النحاس ، و أن جميع العيون

---

(١) فى بن [١٨٢ : ب] : و لنذكر الآن – و بهامش بر : مطلب يذكر فيه الجبال و البحار و الأنهار و العيون و المدن .

(٢ – ٢) فى بن : و العيون و الأنهار و المدن الكبار .

(٣ – ٣) فى بن : كتاب جغرافيا .

(٤ – ٤) فى بن : و العيون و الأنهار .

(٥) بهامش بر : عدد المدن .

(٦ – ٦) فى بن : فى الكتاب المذكور .

(٧) بهامش بر : عدد الجبال .

الكبار التى تنبع من الأرض مائتا عين و ثلاثون عينا ما عداها من الصغار . و أن عدد الأنهار الكبار الجارية فى الأقاليم السبعة المتقدم ذكرها[١] على دوام الأوقات مائتان و تسعون نهرا . و هذه الجبال و البحار و العيون و الأنهار كلها مصورة فى كتاب جغرافيا بأنواع [٢]من الأصباغ
٥ مختلفة[٢] المقادير ، فمنها[١] على صورة الطيلسان ، و منها على صورة الشابورة ، و منها مدوّر ، و منها مثلث و غير ذلك ــ انتهى .

[خلفاء الناصر محمد]

فلنرجع إلى ذكر[٣] من ملك مصر من ذرية الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون . ولى بعد وفاة الملك الناصر محمد ولده الملك
١٠ المنصور أبو بكر[٤]، فأقام مدة يسيرة ، [٥]و غضب عليه الأمير قوصون ، أرسله إلى قوص حبسه بها و قتله[٥] . فقال أبو الفضل قاسم القصّار البجائى نزيل الإسكندرية من [٢٣٥ : ب] المرثية المتقدم [٦]ذكر بعضها[٦] :

هذا محمد قد مضى لسبيله   فى رحمة الرب الرحيم الغافر

---

(١) الكلمة ساقطة من بن .
(٢ - ٢) مطموسة فى بن .
(٣) فى هامش بر : مطلب ، ذكر من ملك مصر من ذرية الملك الناصر محمد بن قلاوون .
(٤) هو المنصور سيف الدين أبو بكر و سلطنته ٧٤١ - ٧٤٢ هـ = ١٣٤٠ - ١٣٤١م .
(٥ - ٥) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن ، و زيد فى بر : و قتله الأمير قوصون بمدينة قوص .
(٦ - ٦) فى بن : ذكرها .

و أتى خليفته أبو بكر فلا تخشوا توثّب غادر وغامر
أودى به قوصون غدرا فاغتدى في أرض قوص تحت لحد داثر

وولى قوصون مصر بعد أبي بكر بجك [1] ابن الملك الناصر محمد و لقبه [2]الملك الأشرف[2] . و أمر قوصون و نهى فى المملكة لصغر[3] سن الأشرف فكرهت قوصون الأمراء و العوام[4] و [5]أبغضوه بغضة[5] عظيمة ٥ لأمور يطول شرحها . فعمل عليه الأمير ايدغمش[6] ، فسلط العوام و الحرافيش على إسطبله المحتوى على أمواله و ذخائره فنهبوها [7] بكمالها ، و أخربوا مساكنه [8] ، و أخذوا سقوفها ، و قلعوا رخامها ، و نقضوا سقوف خانقته التى عمرها بالقرافة ، و نهبوا بيوت صوفتها (كذا) .وقبض على

(١) فى الأصل بر : لكجك . و صحته فى بن – وهو الأشرف علاء الدين بجك و قد خلف أخاه المنصور سالف الذكر و سلطنته فى ٧٤٢ هـ = ١٣٤١ – ١٣٤٢ م . انظر المقريزى (كتاب السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ٥٧١ و ما يتلوها « سلطنة الملك الأشرف علاء الدين بجك بن الناصر محمد قلاون » .

(٢ – ٢) فى بر : بالملك الأشرف . و فى بن : ولقبه بالأشرف .

(٣) فى بن : فصغر .

(٤) فى بن : كراهة .

(٥ – ٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : ايدغمش .

(٧) عن بن ، و فى بر : نهبوها .

(٨) فى بن : قصوره و مساكنه .

ثم خلع الملك الصالح صالح[1] ، وأعيد [٢٣٦ : الف] [2] إلى المملكة[2] الملك الناصر حسن[3] ، فتمكن من المملكة ، و قعدت قواعده ، و اجتمعت له الأموال الكثيرة ، و بنى[4] المدرسة السلطانية المقابلة لقلعة الجبل بالقاهرة التى لم يبن ملك من الملوك مثلها ، و اشترى مملوكا يدعى ٥ يلبغا ، فقربه و أدناه و أفاض عليه إحسانه ، و أكرم مثواه و لقبه بالخاسكى[5] ، فكبر شأن يلبغا و عظم حاله ، فوثب على أستاذه الملك الناصر حسن قبض عليه ، و أودعه [6] بيتا فى قصره[6] ، فأقام[7] به أياما قليلة و قتله ، فوجد بخط السلطان حسن مكتوبا على[8] حائط البيت [9] الذى كان مسجونا به[9] ما مثاله : « لا تقل متى كان ، و لا أين كان ، ١٠ و لا كيف كان ، قُدِّر فكان ، كتبه حسن ملك مصر كان » . ثم ان

(١) الكلمة ساقطة من بن [١٨٢ : الف] .

(٢–٢) ساقطة من بن .

(٣) الناصر ناصر الدين حسن و هذه سلطنته الثانية ٧٥٥ – ٧٦٢ هـ / ١٣٥٤ – ١٣٦١ م . و بهامش بر : سلطنة السلطان حسن .

(٤) فى بر : و بنا ، و فى بن : فبنى .

(٥) فى بن : بالخاصكى .

(٦–٦) كذا فى بن ، و العبارة فى الأصل بر : قصرا فى بيته .

(٧) فى بن : أقام .

(٨) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : فى .

(٩–٩) ساقطة من بر و واردة فى بن .

يلبغا المذكور ولى الملك المنصور[١] محمد بن المظفر حاجى ابن الملك الناصر محمد ، فأقام فى الملك إلى أن بلغ ، فطلب من يلبغا الرشد ، فخلعه من الملك ، و ولى مكانه الملك الأشرف شعبان[٢] بن الحسين ابن الملك الناصر محمد لصغر سنه ، فسأله يلبغا أن يوليه نيابة المملكة مدة سنين معينة ، فولاه فصار يلبغا يأمر و ينهى [٣]و يؤمّر من أراد[٣] من مماليكه و يعزل ٥ من يشاء ، و تسمى بالأمير الكبير ، و انقادت لأمره الدولة ، و سكن القصر المعروف بالكبش ، [٤]فوسع فيه و عمر القصور به[٤] ، و أقام فى العز الضخم ؛ و كان له نحو ألف[٥] مملوك يقال لهم الجلبان ، ادخرهم لنوائب الزمان ، فخذلوه و قتلوه كما سيأتى ذكر ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى . ١٠

[٦]ثم لما[٦] قتلت المماليك المذكورة أستاذهم يلبغا ، أقاموا من بينهم أميرا يدعى أَسَنْدَمُر ، فصاروا يفسدون فى الأرض و يفعلون القبائح

---

(١) المنصور صلاح الدين محمد و سلطنته ٧٦٢ - ٧٦٤ هـ / ١٣٦١ - ١٣٦٣ م .

(٢) الأشرف ناصر الدين شعبان و سلطنته ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م و فى عهده حدثت وقعة الإسكندرية التى عاصرها النويرى و كتب « كتاب الإلمام » فى صددها، و بهامش بر : الأشرف شعبان .

(٣-٣) فى بن : و يولى من يريد .

(٤-٤) فى بن : فوسعه و عمر به القصور .

(٥) فى بن : ألفى .

(٦-٦) فى بن : فلما .

جهرا، و قصدوا القبض على السلطان الملك الأشرف شعبان، فانتصرت له العوام، و قتلوا تلك المماليك الطغاة[1]، و قبض على أسندمر و أودع الجب بالإسكندرية، فصار به مسجونا إلى أن مات[2]. و قعدت بعد ذلك قواعد الملك للأشرف[3] شعبان، و تمكن فى الملك و دخل الإسكندرية، ٥ و بنى بقصر السلاح [4]التى بها[4] قاعة [5]ملأها سلاحا كثيرا، فصارت تلك القاعة[5] كأحد قاعات الملوك السالفة بالقصر المذكور ليذكر بذلك كما ذكروا. و هو الآن فى سنة خمس[6] و سبعين و سبعمائة متنصب فى مملكته، محسن لأهل دولته، مشفق برعيته، فالله تعالى يقوى سلطانه، و يشدد أركانه. شعر[7]:

١٠ ملك علـى متن السماء محله و بكفّه الإيجاد و الإعـدام

[٢٣٦: ب] / أقلامه قهرت سيوف عداته و سيوفه دانت لها الأقلام

و إذا هى اشتهرت ليوم كريهة فغمودها قمم هناك و هام

---

(١) فى بن: العظام.

(٢) زيد فى بن: به.

(٣) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: الأشرف.

(٤-٤) ساقطة من بن.

(٥-٥) فى بن: سلاح.

(٦) فى بن: سبع.

(٧) الكلمة ساقطة من بن.

و سيأتى

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب تاريخ دخوله الإسكندرية و صفة ذلك إن شاء الله تعالى .

[مرثاة الإسكندرية للنستراوى]

فلنذكر الآن مرثية رثيت بها الإسكندرية ، بعد [1] الواقعة الردية [1] ، [2] و الظفر بها فى العشر الأخير من المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة [2] . ٥

[3] ذكر المرثية التى رثا بها الإسكندرية الشيخ الفاضل أبو عبد الله محمد [3] النستراوى التى [4] عارض بها مرثية الشيخ الفاضل أبى عبد الله محمد ابن طاهر الإخميمى المتقدم ذكرها [5] :

خاطر [6] فاجا الورى لما خطر ... أوقع الناس [7] الرزايا و الخطر

ياله من خطر حل فما ... يُبق فى تغييره و لا يذر ١٠

بغتة جاء فما أعجله ... أخذة كانت كلمح [8] بالبصر

يا لها من داهية مرت فلم ... أر منها قط أدهى و أمر

(١-١) فى بن : وقعتها .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣-٣) فى بن : و هى لأبى محمد .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) فى بن : ذكره .

(٦) فى بن : خطر .

(٧) فى بن : للناس .

(٨) فى بن : لمح .

أقطعت فى الناس بالثغر الذى لم تزل عادتــه سد الثغر
فغدا بعد ابتسام عابسا ببنى الأصفر عبّاد الصور
جاء كلب الروم بالسفن التى وقرها خيل و رجل و مير
ملأ المينة منهم و لقد سير[1] الملعون فيها و عبر
٥ وأتى منهم غراب مسرعا جر بالمجذاف جرا مستطر
جاء للبر فاحتاطت بــه عصبة الإسلام يبغون الظفر
فانثنى منهم سريعا راجعا و لباقيهم جميعا قد[2] صفر
فأتوا للبر عن آخرهم ورموا[3] خيلا و رجلا و نفر
و أحيط[4] المسلمون بالبلا و استطال السيف فيهم وانشهر[5]
١٠ لم يفدْ مذ دفعوا بمدفع و رموا بالمنجنيق فانكسر
لا و لا عدّتهم معتــدة[6] للقاء الروم و كان يختبر
[7]فلكم رامى[7] رمى عن قوسه نبلة خابت و ارمت بالوتر
و لكم[8] سيف صقيل باتر قد نبا فى ضربه ثم انبتر

(١) فى بن [١٨٢ : ب] : ستر .
(٢) الكلمة ساقطة من بن .
(٣) فى بن : و رمو .
(٤) فى بن : و أحاط .
(٥) فى بن : و انتشر .
(٦) فى بن : معتقد .
(٧–٧) فى بن : فكم رام .
(٨) فى بن : و كم .

[1]ولكم من رامح عاجله علج روم فتولى و دبرا[1]
و لكم [2]من فارس[2] جواده كرّه فى حلبة الميدان خر
و لقد جاءت عراب نجدة بخيول عاريات كالبقر
أرمت الأعداء[3] عليهم سهمها بنصال حارقات كالأر
/ وصلت للسور منهم نفر دافعوا دفعا قليلا بالحجر ٥ [٢٣٧:الف]
و مضت قوم إلى القصر لأن يأخذوا منه السلاح المدخر
لم يروا إلا سلاحا واهبا صار فيهم كهشيم المحتضر[4]
فأتوا القاعات كيما [5]يلبسوا لم يروا من الناس فيها[5] نفر
عند هذا حققوا[6] أنهم وقعوا وسط القضاء و القدر
عميوا[7] عن رشدهم لا حيلة و إذا جاء القضى أعمى[8] البصر ١٠
هان بذل النفس منهم فرموا من أعالى السور[9] لا يخشو خطر

(١–١) هذا البيت ساقط من بر و وارد فى بن .
(٢–٢) فى بر : فارس من . و صححته كما أوردنا فى النص لاستقامة الوزن به .
(٣) فى بن : العدا .
(٤) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : المحتظر .
(٥–٥) العبارة مطموسة فى بن و لوأن آخر كلمة فيها تنتهى بحرف السين ، و ربما كانت « الناس » .
(٦) فى بن : حققوا . (و واضح أنها خطأ قلمى) .
(٧) فى بن : عموا .
(٨) الكلمة أصلا «عمى» و هى مصححة بقلم آخر إلى « عمى » و قد أخذنا بها .
(٩) كذا فى بن . و هى فى بر : الصور .

و لقد جاء فريق منهم يبتغوا باب رشيد للفر
كسروه ثم ولوا هربا بعضهم من بعضهم يقفو[1] الأثر
عند ما عاين كلب الروم ذا أن جيش المسلمين إنكسر
جاء زحفا عازما[2] بعزمه دخلوا للثغر من باب القذر[3]
٥ رفعوا الصلبان فى أعلاته فتعالى ربنا بارى الصور
و لقد كانوا غداة[4] دخلوا كجراد فى حصيد إنتشر
أين عينيك ترى الثغر و قد هتك الإفرنج منه ما استتر
و نسات خفرات مُحرَّم قد أزالوا عنهم[5] داك الخمر
و لكم مرضعة قد[6] نحروا طفلها فى صدرها أيضا انتحر
١٠ و لكم شيخ كبير قتلوا ما رعوا فى أمره حق الكبر
و لكم شاب نشا فى طاعة دأبه فى[7] عمره يتلو السُّوَر

(١) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : يقفوا .
(٢) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : هازما .
(٣) ربما كان المقصود « مجارى الأقنية » بجوار الباب الأخضر ، و هى الواردة فيما سبق من هذا الجزء . راجع بر ١٨٦ : ب .
(٤) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : عداة .
(٥) فى بن : منهم .
(٦) الكلمة ساقطة من بن .
(٧) فى بن : من .

اسروه و استباحوا أسره   و بهم أمسى ذليلا محتقر

ما رعوا شانا و لا ذا[1] شيبة   فصغير و كبير مستطر

و لكم عين و عين جمعوا   و لكم حازوا بدُور و بدر

كم عزيز قد غدا فى ذلة   و غنىّ بعد مال إفتقر

عظم الله لهم اجرا لقد   نال أجرا منهمُ من قد شكر

و لقد جاء[2] حديث مسند   نصه قد جاء عن خير البشر

ما قضى[3] الله على امره قضا   منه إلا و له فيه الخير

كم وكم من مسجد[4] عمر فى   مبدإ الإسلام مَن عهد عمر

قد غدا خاوى على عروشه   دخل الأعداء فيه و شعر

/حرقوا الخانات مع حانوتها   إذ رموهم بحراريق الشرر   ١٠ [٢٣٧: ب]

كل هذا فعل مولانا الذى   لا يردّ أمره إذا أمر

ساقت[5] البرد لمصر غارة   سوق عنف لا يخافون الغير

و جدوا السلطان فى سرياقس   نازلا فيها فأعطوه الخبر

بطقوا بلبيس فى ساعتهم   فى حمام طالعوا المولى الأقر

يلبغا مدبر الملك الذى   أمره و نهيه قد اشتهر   ٥

(١) فى بن : ذو . و الكلمة مصححة فى بر بقلم آخر .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : قضا .

(٤) زيد فى بر : قد . و الكلمة لا وجود لها فى بن ، و يستقيم الوزن بدونها .

(٥) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : ساقة .

جاءهم سوقا على حالته ساعة الوقت سريعا ما فتر
جهز الجيش و أعطى بالملا أوقر السفن و نادى بالسفر[1]
لم يكن إلا قليل وصلوا بجيوش ليس تحصى كالمطر
عبروا الثغر سراعا و جدوا قد قضى زيد من الوصل وطر
٥ و مضوا الإفرنج فى ساعتهم و خذوا فى البحر جد [2] فى السفر[2]
و غدا الثغر الشنيب أبخر[3] عبره يبصرها[4] من اعتبر
يا لها من خدلة قد خذلوا[5] كسرة يجبرها من قد كسر
لا يرجّا لبلاها كاشف غير مَنْ لله حقا قد نصر
كاشف الخطب المهول إن غزا فارج الهم إذا ضاق المقر
١٠ سيد الرسل الذى يقدمه نصره[6] بالرعب شهرا إن سفر
يا رسول[7] الله إنا فتية ملك لذنا من لئيم قد غدر
يا رسول[7] الله قد حل بنا من بنى الأصفر[8] بؤس و ضرر

---

(١) ف بن : السفو .
(٢–٢) ف بن : بالسفر .
(٣) كذا فى الأصلين ، ولعل الكلمة الأخيرة « أبحر » .
(٤) ف بن : يبصر .
(٥) ف بن : خاوا .
(٦) ف بن [١٨٤ : ــ الف] : نصرة (تاؤها المربوطة منقوطة على غير ما جاء فى بر) .
(٧) ف بن : يرسول .
(٨) ساقطة من بن .

يا رسول[1] الله خانوا الله فى — أمره و تعدوا ما أمر
يا غياث المستغيثين به — يا غياث الخلق طرا و البشر
يا ملاذ الناس يا كهف الورى — يا كفيل البدو جمعا و الحضر
لك نشكو[2] ما أتى من حادث — قد عرانا من ملاعين عور[3]
قد دهوا ثغر الهدى بدهية — يالها من دهية فما أمر ٥
و أحاط الثغر فيهم نكبة — و رّختها الناس فى الدنيا سير
فاسأل[4] الرحمن فى نصرتنا — و خذ الثار لنا ممن كفر
استغثناك أغثنا إحمنا — إنتقم[5] عنا لنا ممن قهر
بك عذنا من رجيم مارد — جاحد لله ندل قد فجر
/ لم تزل عنا خفيرا زائدا — تحم عنا فى الدنا ثم الآخر ١٠ [٢٣٨:الف]
و الخفير الغوث من عادته — و سجاياه يحامى من خفر
إن يكن هذا لذنب[6] سابق — قد جرى منا و جهل و غرر
أو تكن منا أساءات[7] بدت — فإله العرش أولى من غفر

(١) فى بن [١٨٤ : الف] : يرسول .
(٢) فى بن : تشكوا .
(٣) فى بن : عرر .
(٤) فى بر : فاسئل ، وفى بن : فسل .
(٥) فى بن : انتم .
(٦) فى الأصلين : الذنب .
(٧) فى بن : اسات .

فانصر[1] الأمة[2] واكشف عارها أنت أولى[2] فى الورى من انتصر
واشدد الوطأة فى أعدائنا واعطنا فتحا مبينا وظفر
واقتدر عنا وخذ تاراتنا من عدانا يا عزيز إقتدر
وعلى المختار صل[3] ربنا فى أصيل وعشاء وبكر
٥ وعلى الآل الكرام من بهم عز دين الحق حقا وظهر
ما همى وبل ومالت أيكة وشذا ارق على أعلا شجر

قال المؤلف غفر[4] الله له و[5] للسلمين أجمعين[5]: ولما اجتمعت بالشيخ أبي عبد الله محمد بن طاهر الإخيمى أوقفته على هذه المرثية التى عارض بها أبو عبد الله[6] محمد النستراوى[7] مرثيته المتقدم ذكرها قطب وجهه
١٠ وظهر[8] حرجه [9]لمعارضته لمرثيته التى رثا بها الإسكندرية بسبب نهب الفرنج لها وسبى بعض أهلها[9] وأنشد لسان[10] حاله يقول:

---

(١) كذا فى بن، والكلمة فى بر: فانتصر. ولا يستقيم بها الوزن.
(٢ - ٢) مطموسة فى بن.
(٣) عن بن، وفى بر: صلى.
(٤) فى بن: رحمه.
(٥ - ٥) ساقطة من بن.
(٦) فى بن: هبة.
(٧) فى بن: التستراوى.
(٨) فى بن: وأظهر.
(٩ - ٩) العبارة ساقطة من بر وواردة فى بن.
(١٠) الكلمة ساقطة من بن.

أقول

أقول إذا قالوا تراك مقطبا		إذا ما ادعى دين الهوى غير أهله
يحق لدود القز يقتل نفسه		إذا جاء بيت العنكبوت بمثله

[1]و قد تقدمت[2] مرثية ابن طاهر التى أولها :

حادث حل أرى الناس العبر		فيما قد حال منه يعتبر[1]

## [حكايات جرت بالإسكندرية حين الوقعة]		٥

و سأذكر[3] الحكايات التى قيل إنها جرت بالإسكندرية حين الوقعة مع ما أضفت[4] إليها من الأشياء المستطردة[5] المناسبة لها [6] إن شاء الله تعالى[6] .

حكاية تشتمل على ترك حفظ الحريم من العدو اللئيم . حكى أن الإفرنج الكفرة الطغاة الفجرة لما ظفروا بالإسكندرية ، و فرت أهلها منها[7] ١٠ هربا من أبواب البر[8] ، صارت الإفرنج[9] تنهب الديار ، و تأسر الأحرار ،

(١-١) هذا الجزء ساقط من بن .
(٢) فى الأصل : تقدم .
(٣) فى بن : فلنذكر الآن .
(٤) فى بن : أضيف .
(٥) فى بن : الاستطرادات .
(٦-٦) ساقطة من بن .
(٧) ساقطة من بن .
(٨) فى بن : برها .
(٩) فى بن : الفرنج .

فدخل إفرنجى[١] دارا فوجد بها شيخا مسنا[٢]، و بيد الإفرنجى[٣] [٤]سيف مجرد[٤]، فارتاع الشيخ منه و فزع فزعا شديـــدا، فقال له الإفرنجى[٣]: أين الذهب؟ قال: حاضر. قال: احضره. قال: أخاف أن تأخذه منى و تقتلنى، و ليس لك فى قتلى راحة. قال: أنت[٥] فى أمان منى. قال: ٥ فاحلف لى بالانجيـــل و الصليب أنك إذا أخذت منى الذهب تتركنى حيا. فحلف له[٦]، فأحضر الشيخ ذهبا كان [٢٣٨ : ب] عنده فقبضه[٧] منه و قال له: امض معى إلى القرقورة لأريك ما عندى فيها و اطلق سبيلك. فقال الشيخ: أعفـــنى من ذلك و لا تستأسرنى بعد أخـذ[٨] مالى. قال: لا بد منه و فيه مصلحتك لئلا يقتلك أصحابى[٩] فى منزلك ١٠ هذا إذا دخلوا عليك[٦]. قال الشيخ: فسرت معه إلى أن حصلت القرقورة، و إذا بامرأة[١٠] جالسة قد غطت وجهها و هى تبكى و تتأوه

(١) فى الأصلين: افرنجيا.
(٢) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٣) فى بن: الفرنجى.
(٤-٤) فى الأصلين: سيفا مجردا.
(٥) فى بن: فأنت.
(٦) ساقطة من بن.
(٧) فى بن: فقضه.
(٨) فى بن: أخذك.
(٩) فى بن: أصحابنا.
(١٠) فى بن: بامرة.

فكشف الإفرنجي عن وجهها، و إذا[1] هي امرأة حسناء جميلة من سبايا الإسكندرية. قال فتعجبت من حسنها، و تألمت لبكائها و حزنها بسبب أسرها و بعدها عن وطنها؛ [2]فكلمتها فسكتت و لم تجبني عن وطنها[2] و لسان حالها يقول:

لم يبق إلا نَفَس خافت[3] و مقلة إنسانها باهت ٥
و مغرم تحرق احشاؤه بالنار إلا انه ساكت

فقال الإفرنجي: يا هذا أكان[4] ينبغي لزوج هذه الفرار عنها و يتركها لغيره و لا يحميها بقتاله أو يقتل فيعذر. قلت: بلى و الله. فقال: امض إلى بلدك و لُم زوجها على فراره عنها، و قل له أين المروءة و النخوة و الذب عن[5] الحريم، فما يحمي الحريم إلا [6]ذو النسب[6] الكريم، و لا يفر ١٠ عنه إلا الذميم اللئيم. قال الشيخ[3] فقلت له: لقد وبخت فأوجعت، و ثكلت بما ذكرت، [7]و لست أعرف زوجها فأخبره بذلك[7] و لكني[7]

(١) في بن: فاذا.

(٢-٢) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن.

(٣) ساقطة من بن.

(٤) في بر: كان. و صحته في بن [١٨٤ : ب] كما أوردنا بالنص.

(٥) عن بن، و في بر: على.

(٦-٦) في بن: ذا الحسب.

(٧) كذا في بن، و هي في بر: لكني.

إذا نزلت من هذه القرقورة قتلني[1] أصحابك النصارى . قال فدفع لي ريشة و قال : ضعها على جبينك تكفي[2] شرهم . ففعلت ما قال فسلمت منهم في طريق و داري .

حكاية تشتمل على فرج بعد شدة . حكى أن امرأة [3] حسنة الوجه [3] كثيرة المال تأخرت في دارها هي و وصفانها[4] و جواريها[5] عن الهروب حين الوقعة[6] بالإسكندرية ، فدخلت الإفرنج إليها [7]بأيديهم السيوف[7] المسلولة ، فلما رأتهم نهضت قائمة ، و صارت من الفزع كالمهبولة[8] ، فنخزها أحدهم بذبابة سيفه[9] نخزة خفيفة ، فصارت منها مجروحة[10] ، و قال لها : أين المال؟ فازداد رعبها و قالت : المال في هذه الصناديق التي هي داخل هذا البيت . و أشارت إلى بيت بالمجلس[11] التي هي به ، و صارت ترعد من الخوف .

(١) عن بن ، و في بر : قتلتني .
(٢) في بن : تكفا .
(٣-٣) في بن : جميلة .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) في بر : و جوارها . و هي كما أوردنا في بن .
(٦) في بن : ظفروا الإفرنج .
(٧-٧) في بن : بالسيوف .
(٨) في بن : كالبهلولة .
(٩) في بن : السيف .
(١٠) في بن : مرجوفة .
(١١) في بن : في المجلس .

فقال

فقال [1] أحدهم لها [1] : لا تخافى و لا تفزعى فأنت تكونى عندى ، و فى [2] مالى و خيرى ترتعى . ففهمت عنه أنه أحبها و يريدها [3] لنفسه ، فقالت إليه و قالت له [4] بكلام خفى [4] : أريد [5] أن [4] أدخل بيت [4] الخلاء ، [6] و رقّقت له القول [6] ففهم عنها أنها أرادته [7] ، و أنها حصل لها من الرعب ما احتاجت معه إلى ذلك . فأشار إليها أن تمضى لقضاء [8] ، [٢٣٩ : الف] حاجتها . فمضت و اشتغلوا بنهب الصناديق ، فخرجت المرأة من باب دارها ، و دخلت مخزنا غلسا مملوءا تبنا بزقاق دارها ، فحفرت فى التبن حفرة و اندفنت [9] بها ، فطلبتها الإفرنج [10] بعد نهبهم لدارها فلم يجدوها [11] فاشتغلوا [12] بحمل النهب و مضوا ، فسلمت المرأة من الأسر [6] بحيلتها تلك [6] ،

(١ - ١) فى بن : لها كبيرهم .

(٢) فى بن : فى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : إنى أريد .

(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٧) فى بن : أحبته .

(٨) فى بن : إلى قضاء .

(٩) فى بن : فاندفنت .

(١٠) فى بن : الفرنج .

(١١) فى الأصلين : فلم يجدونها .

(١٢) فى بن : و اشتغلوا .

و كذلك وصفانها[1] و جواريها سلبوا منهم بصعودهم سطح الدار . فقالت المرأة عند ذلك : سلامة الدين[2] و العرض[3] خير من المال الذى لم يدخر عند ذوى المروءات الا لغرض مثل هذا ، لأن الفقر خير من الأسر ، [4]و الافتتان بتغيير[4] الدين بالقهر ، و ان كان فى الأسر ٥ الغنى[5] بسبب[6] الحسن . فرضيت هذه المرأة بسلامة دينها و صيانة عرضها ، و لا تكون[7] بعد الديانة عند كافر فى حانه و لسان حالها [8]ينشد و يقول[8] :

إنى لحر المال ممتهن   و لحر عرضى غير ممتهن

[9]ثم قال لسان حالها أيضا :

١٠ إن الغنى هو الغنى بنفسه   و لو انه عارى المناكب حافى
و سلامة الدين القويم من الأذى   خير من الكفر السقيم الجافى
ما كل ما فوق البسيطة كافيا   فاذا قنعت فكل شىء كافى[9]

---

(١) ساقطة من بن .
(٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٣) فى بن : العرض ، بدون واو العطف .
(٤-٤) فى بن : و الاكراه على تغير .
(٥) فى الأصلين : الغنا .
(٦) فى بن : لأجل .
(٧) كذا فى بن ، و هى فى بر : تكن .
(٨-٨) فى بن : يقول .
(٩-٩) هذا القسم بأكمله ساقط من بن .

ثم إنها[1] رفعت قصتها[2] إلى عالم[2] سريرتها ، و لسان حالها يقول :

الصبر يعقب راحة و الغم يعقبه الجزع

إصبر و إلا فاصطبر فالصبر أنفع ما نفع

كم من مضيق[3] معسر بالصبر وسع فاتسع

و الصبر عدة كل ذي عقل إذا وقع الفزع

كم عاد بالصبر امرء عند الشدائد فاندفع

الصبر زين للفتى و يشينه ذل الطمع

ثم إنها قنعت بالفقر بعد الغنى[4] و قالت : إن[5] الدنيا عاقبتها للفناء .

و لسان حالها يقول :

هل عاينت عيناك من حامل شيئا من الدنيا إلى قبره ١٠

سوى الذي لابد له من كفن يكسى[6] إلى حشره[7]

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) في بن : لعالم .

(٣) في بن : ضيق .

(٤) في الأصول : الغنا .

(٥) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) في بن : يسلى .

(٧) زيد هنا في بن : قال الأصمعي : دم أعرابي رجلا بخيلا فقال أفسد آخرته بصلاح دنياه ، ففرق مما عمر غير راجع إليه ، و قدم على ما أخرب غير منتقل عنه ، و أن مال البخيل أبصر (!) تحت خاتمه ، و ليس يطلق إلا يوم ما . . . (الكلمة الأخيرة مطموسة و العبارة فيها خبل فآثرنا تركها بالحاشية) .

حكاية يعقبها أخبار و مواعظ و غير ذلك . حكى بعضهم قال:
كنت مختفيا[1] حين ظفر الإفرنج بالإسكندريـــة بمكان [2] أنظر من كوة
صغيرة[2] إلى الشارع ، و إذا بأربعة من الإفرنج[3] فيهم[4] علج محتشم ،
[5] فدخل الثلاثة[5] [٢٣٩ : ب] إلى دار و تأخر ذلك العلج خارجها ،
٥ ثم خرجوا منها و معهم شاب حسن الوجه على رأســـه طاقية و امرأة
مغربية جسيمة جميـــلة الصورة كاملة الحسن على رأسها كوفية مذهبة
و عليها قميص شَرْب[6] و شعرها مسدول على كتفيها ، فأتوا بهما[7] إلى
كبيرهم ، فأمر بضرب عنق الشاب ، فضرب بسرعة[8] ، فوقعت جثته
على الأرض ، فاختلج و مد ذراعه عند خروج روحه ، فلما رأته زوجته
١٠ قتيلا جزعت عليه [9] جزعا شديدا[9] ، و لسان حالها يقول :

سألت فؤادى الصبر عنك فقال لى   إليك فان الصبر من غير عادتى

---

(١) كذا فى بن [١٨٥ : الف] ، و الكلمة فى بر : مخفيا .
(٢–٢) كذا فى بن . و العبارة فى بر : اصغر من طاقة صغيرة . (و العبارة ناقصة) .
(٣) فى بن : الفرنج .
(٤) فى بن : احد .
(٥–٥) فى بر : فدخلت الثلاثة ، و فى بن : فدخل ثلاثة .
(٦) الشرب نسيج رقيق من الكتان .
(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : بها .
(٨) فى بن : سريعا .
(٩–٩) ساقطة من بن .

و انكبت

و انكبت على رأسه المقطوعة[١] تقبله و لسان حالها يقول:

[٢]فوا أسفا ما أمرّ الفراق و أعلق نيرانه بالكبود

فقال لهم كبيرهم: آمضوا بها إلى القرقورة. فقالوا لها ذلك فامتنعت من المضى معهم، فقالوا: نقتلك كما قتلنا صاحبك. قالت: الموت بعد فراق الحبيب أحسن من الحياة التى بعده لا تطيب. و لسان حالها يقول[٢]: ٥

ما لى سوى روحى و باذل روحه فى حب من يهواه ليس بمسرف

فأنا القتيل بحب من أحببته إن الملام عن الهوى مستوقف

ثم إنهم حاولوها[٣] على أن تمضى معهم، و هى [٤]تمتنع و تلتقط[٤] الحجارة من الأرض و ترميهم بها، فغلبوا فى أمرها، فتقدم إليها أحدهم، ضربها بسيفه على عاتقها، خرط السيف إلى بطنها، [٤]فبرزت حشوتها[٤] و سقطت ١٠ المرأة إلى الأرض، فوقع معصمها على ذراع زوجها الممتد. و مضت الإفرنج و تركوهما بعد نهب[٥] ما كان بدارهما، فماتا شهداء، [٦]رحمة الله عليهما[٦].

---

(١) فى بن: المقطوع.

(٢ - ٢) هذا الجزء ساقط من بن.

(٣) فى بن: حاوروها.

(٤ - ٤) فى بن: فبرز حشوها.

(٥) الكلمة ساقطة من بن.

(٦ - ٦) فى بن: رحمهما الله تعالى.

[فضل الشهادة و الشهداء]

قال المؤلف [١]غفر الله له و لوالديه و للأقربين اليه و لجميع المسلمين آمين : و سأذكر[١] ما قيل فى الشهداء و فضل الشهادة إن شاء الله تعالى.
قال ابن رشد : الشهداء سبعة عشر و هم المقتول فى سبيل الله ، و من قتل
٥ دون ماله ، و من قتل دون أهله ، و من قتل دون دينه ، و الغرق ، و الحرق ، و المجنون ، و الهديم ، [٢]و ذات الجمع - قيل إنها ذات الحمل ، و قيل هى البكر[٢] ، و المقتول ظلما ، و أكيل السبع ، و الميت فى سبيل الله و من مات مبطونا فهو[٣] شهيد ، [٤]و المطعون شهيد[٤] و المريض شهيد ، [٤]و الغريب شهيد[٤] ، و صاحب النظرة شهيد ، و الملسوع شهيد .

١٠ عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فناء أمتى بالطعن و الطاعون . [٢٤٠ : الف] فقلت : هذا الطعن ، فما هو[٥] الطاعون؟ قال : غدة كغدة البعير ، و الفار[٦] منه كالفار من الزحف .
فأما الذى يقتل دون ماله ، ففى الحديث كان سعد بن أبى و قاص و عبد الرحمن ابن عوف يخبران أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : من قاتل دون

(١ - ١) فى بن : رحمه الله تعالى ، و إذ قد ذكرت الشهداء فسأذكر .
(٢ - ٢) ساقطة من بن .
(٣) فى بن : فهذا .
(٤ - ٤) وردتا بآخر القائمة فى بن .
(٥) الكلمة ساقطة من بر .
(٦) فى بن : الفار

ماله حتى قتل فهو شهيد . فهذا الرجل الذى قتله[1] الإفرنج[2] المتقدم ذكر ضربهم[3] عنقه ، حصل له ثلاث شهادات ، لأنه قتل دون ماله . و دون أهله ، و دون دينه . و زوجته أيضا ماتت شهيدة لأنها [4]قاتلت و قتلت[4] و أبانت عن مروءة لعدم تسليمها نفسها للاسر خوفا من أن تصير فى الرق و يطأها كافر فتحمل بكافر ، و تفتن فى[5] دينها بالضرب و الأذى ٥ حتى تدخل فى دين الكفر ، فماتت مسلمة مؤمنة[6] طاهرة حريصة على [7]دينها و طلبها[7] الشهادة يرميها الكفار ، [8]بصم الحجار[8] ، إلى أن قتلت مقبلة غير مدبرة ، فصارت شهيدة مع زوجها الشهيد فى الجنة أحياء عند ربهم يرزقون . فكما[9] كانا مجتمعين[10] فى الدنيا ، صارا مجتمعين[10] بجنة المأوى . ١٠

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سألنا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن أرواح الشهداء فقال : جعلت[6] فى أجواف طير خضر

(١) فى الأصلين : قتلته .
(٢) فى بن : المرنج .
(٣) فى بن : ضرب .
(٤ - ٤) فى بن : قتلت بعد أن قاتلت .
(٥) فى بن : عن .
(٦) الكلمة ساقطة من بن .
(٧ - ٧) كذا فى بن ، و هى فى بر : طلب .
(٨ - ٨) فى بن : بجلاميد الأحجار .
(٩) فى الأصلين : فلما . - بسقوط شرطة الكاف .
(١٠) كذا فى بن ، و فى بر : مجتمعان .

تأوى إلى قناديل تحت العرش تسرح فى الجنة حيث تشاء، ثم اطلع عليهم ربك اطلاعة. فقال هل تستزيدونى شيئا فأزيدكم؟ فلما رأوا أنهم لا بد أن يسألوه، قالوا: ترد أرواحنا إلى أجسادنا فنقتل فى سبيلك مرة أخرى.

٥ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكرة و عشيا. فان قيل: لم سمى الشهيد شهيدا؟ قيل لأن النبى صلى الله عليه و سلم شهد لقتلى[1] أُحد المسلمين[2] بالجنة، فقال لأنهم شهدوا لطف الله وكرامته. و قيل لأنهم يشهدون الحساب و لا يحاسبون، و قيل: لأنهم ١٠ يبعثون يوم القيامة[3] و دمهم شاهدا لهم كما جاء فى الحديث: اللون لون الدم، و الريح ريح المسك. و الأصل فى هذا قوله [4] صلى الله عليه و سلم[4] فى قتلى أحد: زملوهم فى ثيابهم وكلومهم - الحديث[5] عن كعب الأحبار. قال فى كتاب الله المنزل [6] الذى أنزله[6] على موسى بن عمران أنه قال: بالإسكندرية شهداء استشهدوا يبطحائها [7]هم خير من مضى و خير[7] من

(١) كذا فى بن [١٨٠ : ب]، و الكلمة فى بر: لقتلا.
(٢) الكلمة ساقطة من بن.
(٣) فى بن: القيمة.
(٤ - ٤) فى بن: عليه السلام.
(٥) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٦ - ٦) ساقطة من بن.
(٧ - ٧) فى بن: هم مضى و خير.

بقى فهم الذين يباهى بهم الله شهداء بدر .

و قيل لمالك بن أنس : هل بلغك أن النبي صلى الله عليه و سلم [٢٤٠ : ب] صلى على عمه حمزة وكبر عليه سبعين تكبيرة ؟ قال : لا و لا إنه صلى على أحد من الشهداء . و اختلف بما ذا[1] لا يصلى على الشهيد .[2] فقيل لأن الصلاة[2] إنما هى شفاعة لمن عليه ذنوب ،[3] فالشهيد ٥ مستغن[3] عن الشفاعة لعلو درجته[4] ، وكثرة ثوابه[5] . و لهذا قيل إنه عليه السلام لم يصل[6] عليه بعد موته ، و إنما كان الناس يدخلون عليه أفواجا فيدعون و يتضرعون . قال ابن وهب : إنما لا يصلى على[7] الشهيد لأنه حي[7] . قال ابن رشد : و هذا اعتلال ضعيف لأنه يقسم ماله ، و تنكح زوجته . و قيل يصلى على الشهداء إذا كان قتلهم فى بلاد[8] الإسلام بدخول ١٠ العدو عليهم لانحطاط درجتهم على درجة من يدخل من المسلمين بلاد[9]

---

(١) عن بن ، و فى بر : فيما ذا .

(٢ – ٢) مطموسة فى بن .

(٣ – ٣) فى بن : و الشهداء مستغنون .

(٤) فى بن : درجاتهم .

(٥) فى بن : ثوابهم .

(٦) كذا فى بن ، و هى فى بر : يصلى .

(٧ – ٧) فى بن : الشهداء لأنهم أحياء .

(٨) فى بن : دار .

(٩) فى بن : ببلاد .

العدو فيستشهد هناك . و جاء فى الخبر: ما غزوا[1] قوم فى قطر دارهم إلا ذلوا. و قال النبى صلى الله عليه و سلم : ما التقت فئتان قط إلا و يد الله[2] بينهما. فاذا أراد الله أن يهزم إحدى[3] الطائفتين أمال يده عليها . و قيل إذا التقت الفئتان تقول الملائكة : يا ربنا نكون مع من منهما ؟ فيقول:
٥ مع أعدلهما .

و اختلف لما ذا سمى الشهداء أحياء . فقيل لأنهم يتمتعون و يرزقون كالأحياء . و قيل لأنهم يكتب لهم فى كل ليلة ثواب غزوة و يشركون فى فضل جهاد المجاهدين إلى يوم القيامة[4] لأنهم[5] سنوا لهم الجهاد ، و دليله قوله تعالى[6] : " من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا
١٠ بغير نفس[7] او فساد فى الارض[7] فكانما قتل الناس جميعا و من احياها فكانما احيا الناس جميعا ". و قوله [8]عليه السلام[8] : « من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة[4] ، و من سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة[4] » . و قال رسول الله صلى الله

---

(١) فى بن : عزى .
(٢) زيد فى بن : تعالى . (٣) فى الأصلين : أحد .
(٤) فى بن : القيمة .
(٥) فى الأصل : لهم . و لا يستقيم بها السياق .
(٦) قرآن كريم ٥ : ٣٢ .
(٧-٧) ساقطة من بر و واردة فى بن و هو الأصح .
(٨-٨) ساقطة من بر و واردة فى بن : فيكون بذلك الكلام حديثا شريفا .

عليه و سلم : بعث الله جل ثناؤه[1] فى آخر كل سبع أمم نبيا ، فمن عصى نبيه كان من الضالين ، و من أطاع نبيه كان من المهتدين .

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم فى قوله[2] تعالى[3] : "يوم ندعوا كل اناس بامامهم[4]" قال : يدعى[5] أحدهم فيعطى[6] كتابه بيمينه ، و يمد له فى جسمه ستون ذراعا ، يبيض وجهه ، و يجعل على رأسه تاج ٥ من لؤلؤ يتلألأ ، فينطلق إلى أصحابه ، فيرونه من بعيد ، فيقولون اللهم آتنا بهذا و بارك لنا فى هذا حتى يأتيهم ، فيقول : ابشروا لكل رجل منكم[7] مثل من هذا ، قال : و أما الكافر فيسود وجهه ، و يمد له فى جسمه ستون ذراعا ، فيلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون [٢٤١ : الف] نعوذ بالله من شر هذا ، اللهم لا تأتنا بهذا . قال فيأتيهم فيقولون : اللهم أخره . ١٠ فيقول : أبعدكم الله[8] فان لكل رجل منكم مثل هذا . ذكره الترمذى و قال هذا حديث حسن غريب – انتهى .

نعود – قيل إن أرواح الشهداء تركع و تسجد تحت العرش كأرواح

(١) زيد فى بن : بعث .
(٢) فى بن : قول الله .
(٣) فى بن : عز و جل .
(٤) قرآن كريم ١٧ : ٧١ .
(٥) فى بن : يدعا .
(٦) فى بن : فيعطا .
(٧) كذا فى بن ، و هى بهامش بر : منهم .
(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

المؤمنين الذين يبيتون على وضوء . و قيل لأن الأرض لا تأكل لحومهم .
و قيل أربعة لا تأكل الأرض لحومهم[1] : الأنبياء و الشهداء و العلماء و حملة
القرآن . و قيل : سموا أحياء و إن كانت جميع الأرواح حية باقية لتأكد[2]
الشهادة كما يقال فلان هو الرجل . و لا يغسل الشهيد ظاهره[3] و إن
٥ كان جنبا لأن غسل الجنابة من العبادة المتوجهة على الأحياء عند القيام
إلى الصلاة . فاذا مات الميت[4] ارتفعت عنه العبادات من الصلاة و الغسل
لها و غير ذلك ، و غسل الميت إنما هو عبادة للأحياء تعبدوا بها ، فهى
واجبة عليهم على الكفاية باجماع[5] قيل وجوب السنن ، و قيل وجوب
الفرائض ، و قد جاء بذلك الأثر .

١٠ ذكر[6] أهل العلم بالسير أن حنظلة[7] بن أبي عامر الأوسى كان
قد ألم بزوجته فى حين خروجه إلى غزاة أحد ، ثم هجم من الخروج فى
النفير ما أنساه الغسل و أعجله عنه[8] ، فلما مات شهيدا أخبر النبي صلى الله

(١) بهامش بن : أربعة لا تأكل الأرض لحومهم .
(٢) فى بن [١٨٦ : الف] : لتأكيد .
(٣) فى بن : طاهر .
(٤) فى بن : الشخص .
(٥) فى بن : بالاجماع .
(٦) فى بن : و ذكر .
(٧) مطموسة فى بن .
(٨) ساقطة من بن .

عليه

عليه و سلم أن الملائكة غسلته . و روى أن النبي صلى الله عليه و سلم سأل امرأته ما كان شأنه . فقالت يا رسول[1] الله إنه كان جنبا غسلت إحدى شق رأسه فلما سمع الهيعة خرج فقتل ، فقال عليه السلام : لقد رأيت الملائكة تغسله . فسمى حنظلة الغسيل .

و أما[2] غسل غير الشهيد فلا بد منه و الصلاة عليه لأنهما عبادة للأحياء تعبدوا بها[3] ، فهما واجبان عليهم على الكفاية باجماع[4] قيل وجوب السنن و قيل وجوب الفرائض. و إذا مات[5] أحد من رَكْب الحجاج[6] بطريق مكة لزمهم غسله و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه ، فان تركوه عصوا كلهم ، فان لم يجدوا ماء يمموه فى وجهه و يديه و كفنوه و صلوا عليه و دفنوه[5] .

و لما برز عبيدة بن الحارث لعتبة بن ربيعة فى يوم بدر ، و كان عبيدة من حزب النبي صلى الله عليه و سلم ، و عتبة بن ربيعة من حزب المشركين ،

---

(١) فى بن : برسول .
(٢) فى بن : أما .
(٣) فى بن : فيهما .
(٤) فى بن : بالاجماع .
(٥) ساقطة من بن .
(٦) فى بن : الحاج .

فاختلف[١] بينهما ضربتين ، و كر حمزة بن عبد المطلب و على بن أبي طالب بأسيافهما على عتبة فقتلاه ، و احتملا صاحبهما عبيدة ، و جاءا[٢] به إلى رسول الله صلى الله [٢٤١ : ب] عليه و سلم ، فأضجعاه[٣] إلى جانب موقف رسول الله [٤] صلى الله عليه و سلم[٤] فأفرشه رسول الله قدمه ٥ الشريفة ، فوضع خده على قدمه و قال : يا رسول[٥] الله لو رآني عمك أبو طالب لعلم أني أحق بقوله في قصيدته :

و نسلمه حتى يُصَرَّع حوله و نذهل عن آبائنا[٦] و الحلائل

ثم مات رضي الله عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أشهد أنك شهيد[٧] .

١٠ و ثبت في الصحيحين أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر ، و كان في النظارة أصابه سهم فقتله ، فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت : يا رسول[٥] الله أخبرني عن حارثة ، فان كان في الجنة صبرت

(١) في بن : و اختلف .

(٢) في بر : و جاءوا ، في بن : و جا .

(٣) عن بن ، و في بر : فأضجعوه .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : يرسول .

(٦) في بن : ابنائنا .

(٧) في بن : صحيح .

و إلا فأذن لى ما أصنع . تعنى من النياحة ، و كانت لم تحرم بعد . فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم : ويحك أهبلت أنها جنان ثمانية ، و أن ابنك فى الفردوس الأعلى[١] .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى[٢] مطغيا ، أو مرضا ٥ مفسدا ، [٣]أو هرما مفندا[٣] ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى و أمر - انتهى[٤] .

[فى تلقين الميت و غير ذلك مما يتصل بالموت و القبر]

فلنذكر الآن ما قيل فى تلقين الميت [٥]و تغميضه و غسله و الصلاة عليه و دفنه[٥] . يستحب أن يلقن الميت الشهادة [٦]لما جاء عن النبى صلى الله ١٠ عليه و سلم قال[٦] : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة . و لا يكثر عليه فى ذلك ، فان قالها مرة ثم تكلم بغيرها أعيد تلقينه ، و إن

---

(١) فى بن : الأعلا .

(٢) كذا فى بن ، و هى فى بر : غناء .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٥-٥) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٨٦ : الف - ب] باضافة «لما عن النبى صلى الله عليه و سلم» و الغالب أن صحتها «لما جاء» .

(٦-٦) فى بن [١٨٦ : ب] : قال عليه السلام .

لم يتكلم تركه و يغمض بصره إذا قضى لا قبل ذلك ، و تمد رجلاه إن أمكن ، و أن تشد لحياه ، هذا قبل أن تبرد أعضاؤه ، لئلا يبقى مشوه الخلقة . و يستحب أن يقال عند الميت حين يحتضر « سلام على المرسلين ، و الحمد لله رب العالمين ، لمثل هذا فليعمل العاملون ، وعد غير مكذوب » .
٥ و لا بأس أن تغمضه الحائض و الجنب . و يستحب أن يقال عند إغماضه « بسم الله[1] و على ملة[2] رسول الله صلى الله عليه و سلم ، اللهم يسر عليه موته ، و أسعده بلقائك ، و اجعل ما خرج إليه خيرا مما خرج منه[3] » . و أن يكثر له الدعاء فان الملائكة يحضرونه و يؤمنون على دعاء الداعي . و يستحب أن يقرب منه رائحة طيبة من بخور . و لا بأس أن يقرأ
١٠ عند رأسه سورة يس أو غيرها . و الذى يتوجه على المسلمين فى الميت غسله و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه . فأما غسله فقيل فرض ، و قيل سنة . و فى غسله[4] بماء زمزم قولان : القول بالمنع فى كتاب ابن شعبان ، [٢٤٢ : الف] و أنكره ابن أبى زيد . و روى أنه مخالف لقول مالك و أصحابه ، و لا شك أنه ماء مبارك . و مع ذلك [5] فلا يمنع أن [5] يصرف

---

(١) فى بن : باسم .
(٢) كذا فى بن ، والكلمة فى بر: وفاة .
(٣) فى بن : عنه .
(٤) مطموسة فى بن .
(٥-٥) فى بن : انه .

فيما يصرف فيه أنواع المياه ، إذ المعلوم أن هاجر أم إسماعيل[1] [2]صلوات الله عليه و سلامه[2] إنما كانت هيَ و ابنها و من نزل عليهما [3]من العرب[3] لم يكونوا[4] يستعملون[5] فى كل ما يحتاجونه سواء . و أما تكفينه [6]فقد قال[6] النبي صلى الله عليه و سلم : البسوا البياض و كفنوا فيه موتاكم فانها من خير[7] ثيابكم . و قال عليه السلام : إذا كفن أحدكم أخاه ٥ فليحسن كفنه . و المطلوب [8]فى الكفن[8] الستر مع حصول الوتر ، فإن اضطر إلى أحدهما لوقوع التعارض فى بعض الصور ، قدم الستر على الوتر ، لأن جنس الستر من باب الواجبات ، و الوتر من باب الفضائل ، و لأجل دلك قدم الإثنان على الواحد ، و إنما يحصل معه[9] الإحزاء خاصة ، و قدمت الثلاثة على الأربعة لحصول الستر و الوتر ١٠ جميعا فى الثلاثة . و فقدان الوتر فى الأربعة . و الواجب من الكفن

---

(١) ف بن : اسمعيل .

(٢ – ٢) ف بن : عليه السلام .

(٣–٣) ساقطة من بن .

(٤) كذا ف بن ، و ف ر : لم يكن غيره لم .

(٥) ف الأصلين : يستعملوا .

(٦–٦) ف بن : فقال .

(٧) ف بن : نفس .

(٨–٨) ف بن : من دلك .

(٩) ساقطة من بن .

ما يستر [١] عورته، أى الميت [١]، و ما زاد عليه فهو سنة . و الصلاة عليه فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، و قيل سنة و تجب بأربع صفات فى الميت : ثبات الحياة له قبل، و الإسلام، و وجود الجسد [٢] أو أكثر [٢]، و كون الميت غير قتيل فى معترك بين المسلمين ٥ و الكفار . و لا يصلى [٣] على (من) لم يظهر له [٣] صراخ أو ما يتحقق به حياته، و لا على كافر، و لا على شهيد فى المعترك . و لا يغسلون و لا يحنطون و لا يكفنون تكفين الموتى، بل يدفن الشهيد فى ثيابه إلا أن يكون عريانا فيلف فى ثوب . و كذلك يفعل بالقى [٤] و الكافر إن اضطر المسلمون إلى دفنه .

١٠ و فى الصلاة على الميت قيراط من الأجر . و قيراط فى حضور دفنه [٥]، و القيراط مثل جبل أحد ثوابا، و اختلف لأى [٦] شىء مثل القيراط بجبل أحد عن سائر الجبال، فقيل [٧]: لأنه أكبر الجبال و هو

(١-١) فى بن : عورة الميت .
(٢-٢) فى بر : و أكثره . و الصواب فى بن .
(٣-٣) فى بن : على سقط لم له . و لفظة «من» لا وجود لها بالأصل و هى لازمة لانسجام العبارة .
(٤) فى بن : بالسقط .
(٥) مطموسة فى بن .
(٦) كذا فى بن، و الكلمة فى بر : و لأى .
(٧) فى بن : قيل .

جبل بمدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم . و قيل مثل لهم بما يعرفون ، و قيل لأنه متصل بالأرضين السبع . و يكون لأحد معنيان : أحدهما[1] أنه لو كان هذا الجبل من ذهب و فضة و تصدق به لكان ثواب مثل هذا القيراط ، و قيل لو أخذ هذا الجبل و جعل[2] فى كفة و جعل هذا القيراط فى كفة لكان يساويه . [3]و لا يصلى على غائب أو غريق أو أكيل ٥ سبع و نحوه إلا أن يوجد أكثر الجسد [3] ، و أما دفنه ففرض . قال مالك فى الصلاة على [٢٤٢ : ب] الطفل : يسأل له الجنة و يستعاذ له من النار ، قال اللخمى : و قد قيل لا يعذب لقول الله عز و جل "و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا [4] " - و لا نعذب إلا من خالف و عصى بعد توجه الخطاب . و إن كان ذلك لم يستعذ له من النار ، و الذى عليه جمهور ١٠ أهل السنة إن الله تعالى له أن يعذب من يشاء من خلقه ابتداء و إن لم يتوجه عليه تكليف ، يدل عليه ما جاء فى الحديث من أن يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ، و معلوم أن الشاة لم يتوجه عليها تكليف و إن كان قد قيل فى الحياة إنما هو مجاز و عبارة عن المبالغة فى العدل . و سيأتى فى ترجمه القضاة لمع من أخبار أطفال المسلمين و أطفال المشركين ١٥ [5]إن شاء الله تعالى[5] .

---

(١) ساقطة من بن . (٢) فى بن : و وضع .

(٣-٣) العبارة بأكلها ساقطة من بن .

(٤) قرآن كريم ١٧ : ١٥ .

(٥-٥) ساقطة من بن .

و نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن لطم الخدود، و شق الجيوب و ضرب الصدور، و الدعاء بالويل و الثبور. و في الحديث: لعنت النائحة و السامعة و الشاقة جيبها و اللاطمة وجهها، و لا ينشرن شعرا، و لا يدعين ويلا. قال ابن حبيب: و قد أبيح البكاء قبل الموت و بعده ٥ ما لم يرفع به الصوت[1]، أو يكون معه كلام يكره، أو باجتماع من النساء، و بكى[2] النبي صلى الله عليه و سلم و إبراهيم ولده يجود بنفسه، فقيل[3] له في ذلك فقال: تدمع [4]العين و يحزن[4] القلب، و لا نقول ما يسخط الرب، يا إبراهيم لو لا أنه أمر حق، و وعد صدق، و قضاء مقضى، و سبيل مأتى، و إن الآخر لاحق بالأول لحزنا عليك، و وجدنا بك[5] ١٠ أشد من حزننا هذا، و إنا بك يا إبراهيم لمحزونون. ثم استرجع النبي [6]عليه السلام[6] و أكثر من حمد الله تعالى. و مر النبي صلى الله عليه و سلم بجنازة يبكى عليها من غير نياحة فانتهرهن عمر فقال عليه السلام: دعهن يا ابن الخطاب فان العين دامعة، و النفس مصابة، و العهد قريب. و في

---

(١) ف بن: الموت.

(٢) ف بن: و بكا.

(٣) ف بن: و قيل.

(٤-٤) مطموسة ف بن.

(٥) ف بن: و وجدناك.

(٦-٦) ف بن: صلى الله عليه و سلم.

الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مر بيتيم يبكى فبكى[1] رحمة له ثم قال: إن [2] لميت يعذب ببكاء الحى. أى إن ذلك يحزنه و يسوءه، فكم من ميت رئى فى المنام، فقيل له: كيف حالك؟ فيقول: ساء حالى من فلان و فلانة كانا يكثران علىّ البكاء. و قال [3]عليه السلام[3]: إن الميت ليعذب ببكاء الحى عليه. قال الشيخ أبو عمران الجوراى: إنما ذلك إذا أوصاهم و قال لهم: تفعلون ذلك بعد موتى، و أما إن[4] لم يوصهم فلا لقوله تعالى: "و لا تزر وازرة وزر أخرى[5]".

فلنذكر الآن ما قيل فى تجصيص القبور و بنائها. و كره مالك [6] رحمه الله[6] تجصيص القبور [٢٤٣: الف] و البناء عليها. و إنما كره ذلك لنهى [3]النبي عليه السلام[3] عن تجصيص القبور، و لأن ذلك من زينة الدنيا و تفاخرها، و الميت غير محتاج إلى ذلك. قال الشاعر:

و ما ينفع المقبور عمران قبره
إذا كان فيه جسمه يتهدم

---

(١) فى بن: فبكا.

(٢) ساقطة من بن.

(٣-٣) فى بن: النبي صلى الله عليه و سلم.

(٤) فى بن: إذا.

(٥) وردت فى عدة آيات بالمصحف منها ٦: ١٦٤ و ١٧: ١٥ و ٣٥: ١٨ و ٣٩: ٧ و ٥٣: ٣٨.

(٦-٦) فى بن: رضى الله تعالى عنه.

عن عائشة رضى الله عنها ، قالت[1] : توفيت امرأة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يضحكون منها و يمازحونها ، فقلت : استراحت. فقال النبي صلى الله عليه و سلم : إن بين أيديكم عقبة كؤودا[2] لا ينجو[3] فيها إلا[4] مخف . و قال [5]رسول الله[5] صلى الله عليه و سلم : الناس أربعة و الأعمال ستة : موجبات[6] . [7]و مثل بمثل و عشرة أضعاف و سبعمائة ضعف .

موجبات[7] من مات كافرا . وجبت له النار . و من مات مسلما ، وجبت له الجنة ، و مثل بمثل العبد يهم بالحسنة فتكتب له حسنة ، و العبد [8]يهم بالسيئة[8] فلا يجزى[9] إلا بمثلها ، و العبد يعمل الحسنة فتكتب له عشرا ، و العبد ينفق النفقة فى سبيل الله فتضاعف له مائة ضعف . و الناس أربعة : موسع عليه فى الدنيا ، موسع عليه فى الآخرة ، و موسع عليه فى الدنيا مقتور[10] عليه فى الآخرة ، و شقى فى الدنيا شقى فى الآخرة ، و سعيد

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢) فى الأصلين : كودا .

(٣) فى بن : ينجوا .

(٤) زيد فى بن : كل .

(٥-٥) فى بن : النبى .

(٦) فى بن : موجبتان . و الكلمة مطموسة جزئيا .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨-٨) فى بن : يعمل السيئة .

(٩) فى بن : يجازى .

(١٠) فى بن : مقتر .

فى الدنيا سعيد فى الآخرة . قال الشاعر :

أربعة فى الناس أبصرتهم — أحوالهم بينة ظاهره
فواحد دنياه منقوصة — من خلفه آخرة وافره
و آخر دنياه قدامه — ليس له من خلفه آخره
و آخر فاز بكلتيهما — صحّت له الدنيا مع الآخره ٥
[1]و آخر يبكى على حاله — ليس له دنيا و لا آخره[1]

و لا بأس أن يوضع فى طرف القبر الحجر الواحد لئلا يحفر[2] موضعه . و لا بأس بالمشى على القبر إذا عفا أثره . فاما و هو مسنم و الطريق حوله فلا أحب ذلك لأن فى ذلك تكسير تسنيمه و إباحته طريقا . و قال ابن حبيب : و لا بأس بزيارة القبور و الجلوس عليها ١٠ [3]و السلام عليها[3] عند المرور و قد فعل ذلك النبي عليه السلام وكان يقول : السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين و المسلمين ، يرحم الله المستقدمين و المستأخرين ، و إنا بكم لاحقون ، اللهم ارزقنا اجرهم ، و لا تفتنا بعدهم و اغفر لنا و لهم . و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بزيارة القبور فقال عليه السلام : زوروا القبور فانها تذكر [٢٤٣ : ب] الآخرة . ١٥

عن جابر بن عبد الله[4] قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

(١-١) البيت ساقط من بن .
(٢) فى بن : يحتفر .
(٣-٣) زيدت من بن [١٨٧ : ب] و هى ساقطة من بر .
(٤) فى هامش بر : نكتة .

تحدثوا عن بنى إسرائيل فانه كانت فيهم أعاجيب . ثم أنشأ يحدث[1] قال : خرجت طائفة منهم ، فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين و دعونا الله[2] يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت ، قال ففعلوا ، فبينما هم كذلك إذ اطلع رجل رأسه من قبر بين عينيه أثر ٥ السجود ، [3]فقال يا هؤلاء ، ما أردتم إلى[3] فو الله لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى[4] حرارة الموت حتى الآن ، فادعوا[5] الله أن يعيدنى كما كنت - انتهى[4] .

قال بعضهم : رأيت على قبر حجرا[6] فيه منقوش[7] :

أصبحت بقعر حفرة مرتهنا لا أملك من دنياى إلا كفنا
١٠ يا من وسعت عباده رحمته من بعض عبادك المسيئين أنا

و قال[8] بعضهم رأيت أبياتا منقوشة على حجر بقبر ملك و هى :

---

(١) فى بن : يحدثوا .
(٢) زيد فى بن : تعالى .
(٣-٣) مطموسة فى بن .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) فى بن : فادع .
(٦) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : حجر .
(٧) فى بن : منقوشا .
(٨) فى بن : قال .

أنا رهن

أنا رهن التراب فى القبر وحدى و اضعا فوق لبنة الطين خدى
قد بدا الدود فى محاسن وجهى ورعى[1] فى يدى وكفى وزندى
و جرى ناظرى على صحن خدى وجفانى الصديق من بعد ودى
فأنا اليوم فى التراب ذليل بعد عز و جمع شمل و جندى[2]
عجب[3] للذى يرى سوء حالى كيف يلهو وكيف يلتذ بعدى ٥

و رئى[4] على قبر° حجر منقوش فيه°: اللهم° إنى جئت بك إليك، و لا شيء[6] أعز منك عليك[6]، اللهم كما كنت دليلى عليك، فكن شفيق إليك، اللهم إن حسناتى من عطائك[7]، و إن سيئاتى من قضائك فجد بما أعطيت على ما بـــه قضيت حتى تمحو[8] ذلك بذلك يا أرحم الراحمين. ١٠

و قد جاء فى تعزية المصاب ثواب كثير. روى أن[9] النبى صلى الله

---

(١) فى بن: ورعا.
(٢) فى بن: و حند.
(٣) فى بن: عجبى.
(٤) فى بر: رءى. و فى بن: روى.
(٥) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٦-٦) كذا فى بن، و العبارة فى بر: أعرضك عليك.
(٧) فى بن: عطاك.
(٨) فى الأصلين: تمح.
(٩) فى بن: عن.

عليه و سلم[١] كان إذا عزى يقول: بارك الله لك فى الباقى، و آجرك فى الفانى . و عزى عليه السلام امرأة فى ابنها فقال: إن لله ما أخذ و له ما أعطى، و لكل أجل مسمى، و كل إليه راجعون، فاحتسبى و اصبرى فان الصبر عند الصدمة الأولى[٢]، فمن بان صبره على عظم ٥ بلواه تضاعف أجره .

و كان ابن سيرين يقول: أعظم الله أجرك، و حسّن عاقبتك، و غفر لميتك . و احسن التعزية ما جاء فى الحديث: آجركم الله فى مصيبتكم، و أعقبكم منها خيرا، إنا لله و إنا إليه راجعون . و من نزلت به مصيبة فقال: إنا لله و إنا إليه راجعون، اللهم آجرنى فى مصيبتى، ١٠ و اعقبنى خيرا منها، و اغفر لى سيئها [٢٤٤ : الف] و ما كان من توابعها، و ما اتصل بها، و ما هو محشو[٣] فيها، و كل شىء كان[٤] قبلها و ما كان[٥] بعدها، قال بعض الصالحين: فقلتها فهانت على تلك المصيبة فلو أن الدنيا كلها[٦] كانت لى فى ذلك الوقت و أصبت فيها لهانت علىّ

---

(١) زيد فى بن: أنه .

(٢) زيد فى بن: قال عمارة اليمنى هى الصلوة الأولى .

(٣) فى بن: محشور .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن: يكون .

و لكان ما وجدت من برد الرضى[1] و التسليم أحب الى من ذلك الكتاب[2] كله[3] . و لبعضهم فى المعنى[4] :

إذا نزلت بساحتك المنايا[5] فلا تجزع لها جزع الصبى
فان لكل حادثة عزاء بما قد كان من فقد النبى

و قال أبو الحسن الشاذلى : كل مصيبة يرجى ثوابها ، و لا يخاف[3] عقابها . [6] و قال أيضا : من قال على مصيبة نزلت به اللهم أجرنى فى مصيبتى ، و أعقبنى خيرا منها . قال : فألق[7] على و اغفر لى سيئها ، و ما كان من توابعها ، و ما اتصل بها ، و ما هو محشو فيها ، و كل شىء كان قبلها ، و ما يكون بعدها . فقلتها فهانت على ، فلو أن الدنيا كانت لى فى ذلك [الوقت[8]] و أصبت فيها لهانت على ، و لكان ما وجدت من برد الرضى و التسليم أحب إلى من ذلك كله .

[9] قال بعضهم كنا فى جنازة عبد الله بن الحارث ، فاذا امرأة تقول

---

(١) فى بن . الرضا .
(٢) كذا فى الأصلين : وقد تكون كلمة « الكتاب » زائدة .
(٣) ساقطة من بن .
(٤) مطموسة فى بن [١٨٨ : الف] .
(٥) فى بن : الرزايا .
(٦) العبارة من هنا إلى « قال بعضهم كنا فى جنازة » ساقطة من بن .
(٧) فى الأصل : فالقى .
(٨) الكلمة غير موجودة بالأصل ، و تكتمل بها الجملة و المعنى .
(٩) يستأنف هنا الكلام فى بن [١٨٨ : الف] كما هو فى بر .

يا حرّا عليك ، و يا شوقا إليك . فسألت عنها ، فقيل إن ابنها مات . فقلت : يا أم عبد الله إن عبد الله كان بعض البشر . قالت : بل كان ظهرا فانكسر ، و جارا حرا ينتظر ، و إن فى ثواب الله لعزاء على القليل ، و عوضا من الجليل . قال : فما ذكرنا حسن التعزى ، إلا خطر ببالنا قولها .

٥ و عزى بعضهم آخر فقال : المصيبة [1] فى غيرك لك ثوابها ، خير من مصيبة فيك لغيرك أجرها . و عزى بعضهم فقال : سرك ولدك حيا و هو عدو و فتنة ، ثم أحزنك و هو صلة و رحمة . و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا مات ولد العبد قال الله عز و جل للملائكته : قبضتم ولد عبدى ، فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ، فيقولون :

١٠ نعم ، فيقول : فما ذا قال عبدى ، فيقولون [2] : حمدك و استرجع ، فيقول : ابنوا له بيتا فى الجنة و سموه بيت الحمد . ذكره الترمذى ، [3] و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما يصيب المسلم من نصب و لا وصب و لا همّ و لا حزن و لا أذى و لا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه ، ذكره مسلم .

١٥ و من بلغه موت أخيه المسلم فترحّم عليه و استغفر له ، كتب له كأنه شهد جنازته و صلى عليه . و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [٢٤٤ : ب] مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء ، ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ [4] أو قريب ، و إنه ليدخل على قلوب

---

(١) فى بن : لمصيبة .

(٢) فى الأصلين : فيقول .

(٣) بهامش بر : الصبر على المصيبة .

(٤) فى بن : و أخ .

الأموات من دعاء الأحياء مثل الجبال . و قال بعض السلف : الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت معه[1] طبق من نور عليه منديل ، فيقول هذه[2] هدية لك من أخيك فلان ، من عند قريبك فلان ؛ فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

٥ و ذكر أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة من ابنه أو صديقه ، فاذا لحقته كان أحب له من الدنيا و ما فيها ، و إن الميت كالحي فيما يعطاه و يهدى إليه ، بل الميت أكثر و أكثر ، لأن الحي قد يستقل ما يهدى إليه ، و يستحقر ما يتحف به ، و الميت لا يستحقر شيئا من ذلك و لو كان

١٠ مقدار جناح[3] بعوضة أو وزن مثقال الذرة لا[4] يعلم قيمته ، و قد كان يقدر عليه فضيّعه . و مما يدل على صحة ما [5]يهدى الحي[5] للميت . قوله عليه السلام[6] : إذا مات المرء انقطع عمله[7] إلا من ثلاثة[8] : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ؛ فهذا دعاء الولد يصل والده ينتفع به ، و ما ذلك إلا أن يكون الدعاء لهم[9] ، و السلام

---

(١) كذا في بن ، و هي في بر : و عليه .

(٢) في بن : هذا .

(٣) في بن : لجناح .

(٤) في بن : لأنه .

(٥-٥) في بن : يجيء .

(٦-٦) في بن : صلى الله عليه وسلم .

(٧) في بن : عليه .

(٨) في بن : ثلثة .

(٩) ساقطة من بن .

عليهم ، يصل إليهم[1] و يأتيهم - و الله أعلم .

و مما يدعى[2] به لأهل القبور أن يقول : أمن الله روعتكم ، آنس الله وحشتكم ، رحم الله غربتكم ، قبل الله حسناتكم ، تجاوز الله عن سيئاتكم. [3]قال عتبة بن هارون : كنت مع فضل الرقاشى فمر بقبر فقال : يا أهل القبور الموحشة ، و المحال الوعرة ، التى نطق بالخراب فناؤها ، و شيد فى التراب بناؤها ، فحلها مقترب ، و ساكنها مغترب ، أهل منازل متشاغلين لا يتواصلون تواصل الإخوان ، و لا يتزاورون تزاور الجيران ، قد طننتم بكلكلها البلاد و أكلهم الجندل و الثرى[3] . و الحذر الحذر من شتم الحى للميت . قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا شتم الحى الميت فكأنما قتل سبعين[4] نبيا[1] ، و كأنما قتل أمه و أباه ، و كتب الله عليه بكل نجم فى السماء ستين خطيئة ، أصغرها كمن قتل مؤمنا متعمدا ، و يضيق عليه قبره ، و يفتح عليه من قبره بابا من العـــذاب ، و لا يستجاب له دعاء ، و يعاقب فى الأرض[5] كما يعاقب شاهد الزور و مدمن الخمر ، و يلعنه كل ملك بين السماء و الأرض ، و لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من النار فان تاب تاب الله عليه .

---

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى بن : يدعا .

(٣ - ٣) هذه العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن [١٨٨ : الف - ب] وبها بعض غموض و قد نقلناها كما هى فى الأصل .

(٤) فى بن [١٨٨ : ب] : ستين .

(٥) فى بن : الآخرة .

و قال أبو هريرة قال[1] رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا رفع الله عذاب أهل القبور خربت قبورهم ، فاذا رأيتموها خرابا ، فاعلموا أن الله قد غفر لأصحابها ، فاستغفروا ربكم و اسألوه أن يرحمكم . و قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن فى الجنة موضعا يقال [٢٤٥:الف] له سوق المؤمنين ، ليس فيه شراء و لا بيع ، و لكن يجتمع إليه المؤمنون ٥ كل جمعة ، يتحدثون بما كانوا يعملون فى الدنيا ، ثم ينادى مناد[2] من تحت العرش : هلموا يا أمة محمد إلى زيارة الرحمن ، قال فيركب كل واحد منهم على ناقة قوائمها من الزعفران ، و ساقها من العنبر ، و بدنها من المسك ، و عنقها من كافور أبيض ، و رأسها من در ، و عيناها ياقوتتان حمراوتان ، و سرجها من نور ، و فوق السرج قبة مضروبة من سندس أخضر ، ١٠ يزورون الرب كل جمعة مرة كزيارتكم إلى المسجد الجامع . و فى الموطأ أن سعيد بن المسيب كان يقول : إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده ، و قال[3] بيده نحو السماء يرفعها (كذا) . و ذكر[4] أبو داود من حديث بريدة بن خصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان زيارتها تذكرة . و فى الحديث من زارنى ميتا ، فكأنما ١٥ زارنى حيا . و فى الحديث : اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم أعدوا قبور أنبيائهم مساجد .

---

(١) مكررة فى بن .

(٢) فى بن : منادى .

(٣) كذا فى الأصلين ، و الغالب أن الكلمة « و أشار » .

(٤) فى هامش بر : زيارة القبور .

[١] عن عائشة رضى الله عنها ، قالت لما اشتكى النبى صلى الله عليه و سلم ذكر بعض نسائه كنيسة رأتها بالحبشة يقال لها مارية و كانت أم سلمة و أم حبيبة أتيا أرض الحبشة فى الهجرة الأولى مع من هاجر إليها فذكرتا من حسنها و تصاويرها ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : أولئك الذين ٥ إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله . قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فى مرضه الذى لم يقم منه : لعن الله اليهود و النصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت : و لو لا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا . قال الشيخ محيى الدين النووى : لا يجوز الطواف ١٠ بقبر النبى صلى الله عليه و سلم ، و يكره إلصاق البطن و الظهر بجدار القبر ، قاله الحليمى . و غيره و قال : و يكره مسحه باليد و تقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره فى حياته صلى الله عليه و سلم ، هذا هو الصواب و أطبقوا عليه . قلت قال مالك فى رواية ابن وهب : إذا سلم أحد على النبى صلى الله عليه و سلم يقف و وجهه ١٥ إلى القبر لا إلى القبلة و يدنو و يسلم و لا يمس القبر . قال بعض المتأخرين : لمس القبر و تقبيله من فعل اليهود و النصارى [١] . يروى من حديث عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم . و كان النبى صلى الله عليه و سلم إذا أتى المقابر قال : السلام عليكم أهل الديار من

(١–١) هذا الجزء بأكمله ساقط من بر و وارد فى بن [١٨٨ : ب] .

المؤمنين

المؤمنين و المسلمين ، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم لنا فرط[1] و نحن لكم تبع ، أسأل الله العافية لى و لكم . و كان عليه السلام يعلمهم مثل هذا أن يقولوه إذا دخلوا المقابر . و هذا يدل على أن الميت يعرف سلام من يسلم عليه ، و دعاء من دعا له . و قد أجمع المسلمون على الدعاء و الصدقة يصل ثوابهما للميت : فسبيل الابن البار بوالديه ، ٥ العارف بما لهما عليه من الحقوق ، أنه لا يخليهما من الدعاء .

[2] روى فى بعض الأخبار عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: أهدوا إلى موتاكم رحمكم الله . قالوا : و ما نهدى يا رسول الله ؟ قال : الصدقة و الدعاء . ثم قال صلى الله عليه و سلم : إن أرواح المؤمنين ترقى كل ليلة جمعة إلى السماء الدنيا ، فيقفون بازاء دورهم و بيوتهم ، و يشرفون ١٠ على أبنائهم و ذراريهم ، فينادى كل واحد منهم بصوت حزين « يا أهلى يا ولدى و يا أهل بيتى و قراباتى ، تعطفوا علينا يرحمكم الله ، و اذكرونا و لا تنسونا ، و ارحموا غربتنا و قلة حيلتنا و ما قد دفعنا إليه و ما نحن فيه ، قد وقعنا فى بحر عميق ، و سجن وثيق ، و قد أضر بنا المقام تحت هذه الأرض ، و نحن فى هم شديد و فقر طويل و غم ما عليه من يد ، ١٥ فارحمونا رحمكم الله ، و لا تبخلوا علينا بالدعاء ، لعل الرحمن يرحمكم قبل أن تصيروا منا ، يا عباد الله اسمعوا كلامنا و لا تنسونا ، و اعلموا أن

---

(١) فى بن : فرطا .

(٢) من هنا إلى قوله « ثم يرجعوا » أيضا ساقط من بر و وارد فى بن .

هـــذه القصور التى فى أيديكم قد كانت فى أيد(ينا) ، و المنازل التى أنتم فيها قد كانت لنا ، فتعطفوا علينا بصدقة درهم أو لقمة من خبز أو كلمة طيبة أو بدعوة حسنة ، لعل الرحمن أن يستجيب فينا ، فلا يزالوا إلى آخر النهار من يوم الجمعة ثم يرجعوا .

٥ و روى عن الفضيل بن موفق رحمه الله قال : كنت آتى قبر أبى المرة بعد المرة و أكثر ذلك ، فشهدت يوما جنازة فى المقبرة التى دفن فيها ، فتعجلت لحاجتى فلم آته ، فلما كان فى الليل رأيته فى المنام فقال لى : يا بنى لِمَ لَمْ تأتنى ؟ قلت : يا أبتى[1] و إنك لتعلم بى إذا أتيتك ؟ فقال : و الله يا بنى إنك لتأتينى ، فما أزال أنظر إليك حـــتى تجوز ١٠ القنطرة .

و روى ابن عيينة[2] أنـــه قال : إن ابن آدم يستوحش فى ثلاثة مواطن ، يوم يولد فيخرج إلى دار الدنيا ، و ليلة يبيت مع الموتى فيجاور جيرانا لم [٢٤٥ : ب] يجاور مثلهم[3] ، و يوم يبعث فيشهد مشهدا لم ير مثله قط . قال الله تعالى ليحيى بن زكريا فى هذه الثلاثة مواطن : ١٥ "و سلٰم عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا[4]" و قال النبى

---

(١) فى بن : يا أبت .

(٢) بهامش بر : ابن آدم يستوحش فى ثلاث .

(٣) فى بر : مثلهن . و صوابه فى بن كما أو ردنا بالنص .

(٤) قرآن كريم ١٩ : ١٥ و قد وردت الآية فى بن " و السلٰم علىّ يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا " و هى أيضا من سورة مريم ١٩ : ٣٣ .

صلى الله عليه و سلم : الموت كفّارة لكل مسلم ، و تحفة المؤمن الموت .
و قال مطرف بن عبد الله : إن هذا الموت قد نغض على أهل النعيم
نعيمهم ، فاطلبوا نعيما لا موت فيه . و قال الحسن : فضح الموت الدنيا
فلم يترك ١ بها لذوى ١ عقل فرحا . ٢ و قال بعضهم :

قد رأينا أهلك الموت قبلنا خلقا فخلقا ٥
درجوا قرنا فقرنا و بقى من ليس يبقى

و لبعضهم :

يا واضع الميت فى قبره خاطبك القبر و لم تفهم

و لبعضهم :

و كيف يلذ العيش لمن هو عالم بأن إله الحق لابد سائله ١٠
فيأخذ من ظلمه لعباده و يجزيه بالخير الذى هو فاعله ٢

و قال أبو العتاهية :

إن من ترى لا يبقى أفنت المنايا الخلقا
أفنت المنايا الغربا أفنت المنايا الشرقا
إن للمنايا طعنا ٣ إن للمنايا خرقا ١٥
إن للمنايا خطفا ٣ إن للمنايا خنقا
إن للمنايا سبقا تسبق المنايا سبقا

(١ـ١) فى بر : لها بذوى . و الأصح فى بن كما أو ردنا بالنص .
(٢ـ٢) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن .
(٣ـ٣) الشطران ساقطان من بر و واردان فى بن .

و كان سبب توبة أبى العتاهية و تصدّيه لنظم الشعر فى الزهد فى الدنيا أنه كان يحب جارية لأمير المؤمنين الرشيد[1] تسمى عتبة، و كانت عتبة تكرهه، و جرى له فى محبتها أمور يطول شرحها، فقال فيها أشعارا[2] كثيرة منها، [3]هذه الأبيات[3]:

٥ الله بينى و بين مولاتى أهدت[4] لى الصدود و الملالاتى

منحتها مهجتى و خالصتى فكان هجرانها مكافاتى

هيّمنى حبها و صيّرنى أحدوثة ما بين جاراتى

قال فبينما أنا نائم بعد نظم هذه الأبيات، و إذا بآت أتانى و قال لى: ما كفاك أن تجعل بينك و بين عتبة معينا على المعصية إلا الله تعالى

١٠ بقولك «الله بينى و بين مولاتى». قال[1]: فانتبهت من نومى مذعورا و تبت من ساعتى، و تصديت لنظم الشعر فى الزهد فى الدنيا و ذكر الموت.

قال الأصمعى: بعث إلىّ أمير المؤمنين هارون الرشيد و قد زخرف مجالسه و بالغ فيها و فى مباينها، ثم وجه إلى أبى العتاهية فأتاه، فقال:

١٥ صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا، فأنشد[5] يقول:

---

(١) الكلمة ساقطة من بن.

(٢) كذا فى بن، و هى فى بر: أشعار.

(٣–٣) الكلمتان ساقطتان من بن.

(٤) فى بن: أعدت.

(٥) فى بن [١٨٩: ب]: فأنشأ.

عش ما بدا لك آمنا   فى ظل شاهقة القصور[١]

فقال : أحسنت ، ثم ما ذا ؟ فقال :

يسعى إليك بما اشتهيت لدى[٢] الرواح وفى[٣] البكور

[٢٤٦ : الف] فقال[٤] : حسن[٥] ، ثم ما ذا ؟ فقال :

فاذا النفوس تقعقعت   فى ضيق حشرجة الصدور ٥

فهناك[٦] تعلم موقنا   ما كنت إلا فى غرور

فبكى[٧] الرشيد ، وعملت فيه الموعظة . فقال الفضل بن يحيي البرمكى لأبى العتاهية : بعث إليك [٨]أمير المؤمنين[٨] لتسره فأحزنته . قال الرشيد : دعه فانه رآنا فى عمى ، فكره أن يزيدنا عمى . قال ابن الحصين : وإنما حسن موقع الموعظة من أبى العتاهية لأنه قد تنسك و تاب من نظم الغزل ١٠ و ما يشبهه ، و صرف[٩] شعره فى الزهد و ذكر الموت - انتهى .

---

(١) كذا فى بن ، وهى فى بر : الصور .
(٢) فى بر : لذى . و فى بن : لدا .
(٣) ساقطة من بن .
(٤) زيد فى بن : الرشيد .
(٥) فى بن : أحسنت .
(٦) فى بن : فقال .
(٧) فى بن : فبكا .
(٨-٨) فى بن : الرشيد .
(٩) فى بن : و أخذ .

[1] قال بعضهم لغزا فى نعش:

أتعرف شيئا فى السماء نظيره ... إذا سار سار الناس [2] حيث يسير

فتلقاه مركوبا و تلقاه راكبا ... و كل أمير ٣٠٠٠٠٠٠ أسير

يحض على التقوى و يكره ذمه ... و تنفع منه النفس و هو نذير

٥ و لم يستزر عن رغبة فى زيارة ... و لكن على رغم المزور يزور[1]

و اعلم أن الليل و النهار مراحل يفنيان بمرهما الآجال، و يقطعان بتعاقبهما الآمال . قال بعضهم لغزا[4] فيهما:

ما أسود فى جوفه أبيض ... و أبيض فى جوفه أسود

ما اجتمعا قط و لا فرقا ... كلاهما من ضده يولد

١٠ فاستعدوا يا غافلين للموت بقطع مراحلها ، فانهما لم يزالا يرحلان بالخلق بسيرهما حتى يفنيانهم بأجمعهم . قال الشاعر:

الليل شيّب و النهار كلاهما ... رأسى بكثرة ما تدور رحاهما

يتناهبان لحومنا و دماءنا ... و شحومنا[5] ذابا و نحن نراهما

و لبعضهم فى الليل:

١٥ الليل مكحول الجناح كأنما[6] ... كحل العيون ظلامه بالإثمد

(١ - ١) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن .

(٢) زيد فى الأصل : من ، و سقوطها واجب لوزن الشعر .

(٣) فى الأصل كلمة غير منقوطة لا تقرأ .

(٤) فى بر : لغز ، و الصحيح فى بن كما أوردنا .

(٥) فى بن : أبداننا .

(٦) فى بن : كأنها .

و كأن أنجم ليله لما[1] بدت[2] للناظرين مسامرا من عسجد

و قال ابن عبدون الكاتب فى مرثيته التى [3]ذكر فيها[3] الملوك و قبائل العرب السالفة ، و الأجيال البادية[4] ، الذين وردوا حياض الحمام بعد أن لعبت بهم الليالى و الأيام:

أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة عن [5]نومة بين ناب[5] الليث و الظفر ٥
فالدهر حرب و إن أبدى مسالمة و البيض و السمر بين البيض و السمر
ما لليالى أقال الله عثرتنا[6] من الليالى و خانتها يد القدر
فى كل حين لنا فى كل جارحة منها جراح و إن زاغت عن البصر
تسر بالشىء لكن كى تغر[7] به كالأيم ثار على الجانى من الزهر

قال[8] [٢٤٦ : ب] الأيم ضرب من الحيات تختفى فى ناحية من الشجرة ١٠ فاذا أتى من يقتطف من ثمرها أو زهرها ثارت عليه[9] ضربته فمات من سمها – انتهى[8] .

---

(١) ساقطة من بن .
(٢) فى بن : ابدت .
(٣ – ٣) فى بر : ذكرها فى . و صححتها فى بن كما أوردنا بالنص .
(٤) كذا فى الأصلين ، و أغلب الظن أنها « البائدة » .
(٥ – ٥) فى بن : نومه بين ذاب .
(٦) فى بن : عثرتها .
(٧) فى بن : تغر .
(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٩) ساقطة من بر و واردة فى بن ، و زيد عليها فى الأخيرة « الحية » .

[1]نعود إلى آخر[1] :

كم دولة وليت بالنصر حومتها[2] فلم تدعها و سل ذكراك من خبر
هوت بدارا و فلّت عرب قاتله و كان غضبا على الأملاك ذا أثر
و استرجعت من بنى ساسان ماوهبت ولم تدع لبنى يونان من أثر
٥ و ابتعت أختها طسما و عاد على عـاد و جرهم منها ناقض المدر
و ما أقالت ذوى[3] الهيئات من يمن ولم[4] تراع[5] ذوى الغايات من مضر
ومزقت سبأ فى كل قاصيـــة[6] و ما التقى[7] رائح[8] منهم بمبتكر
و أنفدت فى كليب حكمها و رمت مهلهلا بين سمع[9] الأرض و البصر
و دوّخت آل ذبيان و إخوتهم عبسا و عضت بنى بدر على النهر
١٠ يوم القليب بنو[10] بدر[11] فنوا وغدوا[11] قليب بدر بمن فيه إلى سقر

و هذه المرثية طويلة مشروحة فى مجلد كبير، و سأذكر بعض ما وقفت

(١ - ١) ساقطة من بن .
(٢) كذا فى بن ، وهى فى بر : خدمتها .
(٣) فى بن : ذو .
(٤) فى بن : فلم .
(٥) فى الأصلين : تراعى .
(٦) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : قاضية .
(٧) فى بن : التقا .
(٨) فى بن : واضح .
(٩) فى بن [١٩٠ : الف] : سبع .
(١٠) فى الأصلين : بنوا .
((١١ - ١١)) فى بن : فتواعدوا .

عليه

عليه في[1] شرحها [2]إن شاء الله تعالى[2] .

قيل بينما داود عليه السلام يسيح في الجبال إذ رأى قبرا كبيرا وعند رأسه حجر منقوش فيه: "أنا دويسم ملك الروم، ملكت الدنيا ألف سنة، و فتحت ألف مدينة، و تزوجت ألف بكر من بنات الملوك، و قتلت ألف جبار، فمن رآني فلا يغتر بالدنيا، فما كانت إلا كحلم نائم، ٥ ثم صرت إلى ما ترى، فصار التراب فراشي، و الحجارة وسادي".

و قيل[3] إن سليمان[4] عليه السلام مر بقصر عظيم البناء، و إذا هو بنسر على القصر عظيم الخلقة، فقال له سليمان[4]: ما اسمك؟ قال: معمر. قال[5]: كم سنك؟ قال: ألف و خمسون سنة. قال: فهل رأيت أحدا بهذا القصر؟ قال: لا يا نبي الله. قال: هل تعرف له بابا؟ فقال[6]: نعم ١٠ أعرف له بابا من الحديد الصيني. فقال سليمان[4]: و أين هو؟ قال: ردمته الرياح بالتراب السافي عليه. فأمر سليمان[4] الريح أن ينسف التراب من حول القصر فنسفه[7]، فظهر له باب من الفولاذ[8]، ففتحه و دخل

---

(١) في بن: من.

(٢ – ٢) ساقطة من بن

(٣) في بن: قيل. و بهامش بر: نكتة.

(٤) في بن: سليمن.

(٥) في بن: فقال.

(٦) في بن: قال.

(٧) في بن: فنسفته

(٨) في بر: الفولاد.

إلى[1] القصر ، فنظر في وسطه قبرا من الرخام طوله أربعون ذراعا ، و عند رأسه لوح مكتوب فيه :

[2]كم قد وقفت و كم قتلت و كم ركبت الصافنات[2]

كم قد أكلت و كم شربت[3] و كم[4] لبست الناعمات

٥ و كأنني بك قد فقدت و سيل[5] عنك فقيل مات [٢٤٧ : ألف]

و ذلك [6]أني مت جوعا[6] ، فطحنا الدر ، لعدم البر ، فلم يغن عنا شيئا ، فانا شداد بن عاد ، ركبت في ألف ألف من الأجناد ، و ملكت سائر البلاد ، و بنيت مدينة ارم ذات العماد ، التي ما بني مثلها في البلاد ، فلما أتاني الموت لم يغن عني ذلك شيئا ، و ها أنا في قبري أشقى بما ألقى . قال بعضهم

١٠ [7]في المعنى[7] :

أين الملوك التي عن خطبها غفلت حتى سقاها بكأس[8] الموت ساقيها

(١) ساقطة من بن .

(٢ ـ ٢) البيت ساقط من بر و وارد في بن .

(٣) في بر : وقفت . و صحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٤) زيد قبلها في بر : وكم شربت وهي زائدة و صحة البيت في بن كما أوردنا بالنص .

(٥) بمعنى « سئل » .

(٦ ـ ٦) في بن : اننا جعنا .

(٧ ـ ٧) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨) في بن : كأس .

نلهو و نأمل آمالا تُعد لنا شريعة[١] الموت تطوينا[٢] و نطويها

[٣]و سيأتى ما قاله فى المرثية من قتل دارا ملك فارس و من قتله ، و قد تقدم ذكر ساسان ملك فارس فأغنى عن إعادته . و سيأتى ذكر مُلك[٤] اليونان [٥]و طسم وجديس[٥] و جرهم و هم العرب العاربة . و تقدم أيضا ذكر سبأ فأغنى الإعادة ، و سيأتى ذكر كليب و مهلهل و آل ذبيان و عبس[٦] ٥ فى مواضع ذكرهم إن شاء الله تعالى[٣] .

قال بعض الصالحين : رأيت راهبا فقلت له : يا راهب كيف اخترتم لباس السواد ، و تركتم لباس البياض ؟ فقال : لأن السواد لباس أهل المصائب . قلت : و أى مصيبة[٧] عندكم ؟ قال[٨] : و أى مصيبة أعظم من ارتكاب المعاصى و الذنوب على أهلها ! فقلت[٩] : ألكم عيد ؟ ١٠ قال : نعم [١٠]كل يوم[١٠] لا يُعصى الله فيه فهو عيد ، و كل يوم نصبح

---

(١) فى الأصلين : سريعة .

(٢) فى بر : تطرينا . وفى بن : يطوينا .

(٣-٣) هذه العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) وردت الكلمة فى الأصل بعد «اليونان» ، فصححنا موضعها لإستقامة الجملة .

(٥-٥) فى الأصل : طسما وجديسا .

(٦) فى الأصل : عبسا .

(٧) فى بن : مصائب .

(٨) فى بن : قالوا .

(٩) فى بن : قلت .

(١٠-١٠) ساقطة من بن

فيه[1] نقول ما نمسى فيه[2]، و كل ليل[3] نمسى فيه[2] نقول ما نصبح منه[4]، بل نرقب[5] الموت، فهذه الدنيا ليس لأحد فيها[6] بقاء، و عاقبة أمرها للفناء.

و جاء فى الأثر أن النبى صلى الله عليه و سلم أخذ[7] يد أبى هريرة و أتى إلى مزبلة فيها رؤس و خرق بالية و عذرات و عظام نخرة، فقال: يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا بأجمعها، هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم، و تأمل كأملكم، ثم هى اليوم عظام نخرة، و هذه العذرات ألوان أطعمتهم[8] التى اكتسبوها من حيث اكتسبوها، ثم قذفوها من بطونهم، و هذه الخرق البالية كانت لباسهم و رياشهم، و العظام عظام[9] دوابهم، كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد، فصارت كما ترى فمن كان باكيا على الدنيا فليبك! قال بعضهم:

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن و لو عمّرت ما عمّر نوح
بين عينى كل حى عَلَم الموت يلوح

فالسعيد من تهيأ و عمل[10] للآخرة، و اشتغل بذكر الموت عن لهو الدنيا

---

(1) ساقطة من بر و واردة فى بن. (2) ساقطة من بن.
(3) كذا فى بن، والكلمة فى بر: يوم. (4) فى بن: فيه.
(5) فى بن: ترتقب. (6) فى بن: لها.
(7) فى بن: أتى. (8) فى بن: أطعمتكم.
(9) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(10) ساقطة من بن [190: ب].

المدبرة . قال النبي صلى الله عليه و سلم: أكثروا من ذكر هادم اللذات، فانكم إن ذكرتموه فى ضيق وسّعه عليكم ، و إن ذكرتموه فى غنى بغّضه لكم . و قال شقيق البلخى: من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، و من غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار[1].

و اعلم أن الموت لا يهجم [٢٤٧: ب] فى وقت مخصوص دون وقت ٥ فيعلم ذلك فيرتقب[2]، لكنه يهجم بصولته، و يأتى المرء على طمانيته و غرته، لا يأتى فى صيف دون شتاء ، فيؤمن فى الشتاء ، و لا شتاء دون صيف[3] ، فيؤمن فى الصيف ، و لا فى هرم فيؤمن فى الشبية . فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا التى لا تفوت ، و مثل لنفسك قرب الموت و فجأته و شدائده و سكرته[4] ، و لا تكن كالحمقاء الذين يفرحون كل يوم بزيادة ١٠ أموالهم مع نقص أعمارهم ، [5]كما قال[5] بعضهم :

يبشرنى الهلال بنقص عمرى و أفرح كل ما هلّ الهلال

و أفرح كل ما يزداد مالى و لا أخشى النوائب والزوال[6]

---

(١) زيد فى بن: انتهى .

(٢) زيد فى بن: له .

(٣) فى بن: شتاء دون صيف .

(٤) فى بن: و سكره .

(٥ - ٥) فى بن: كقول .

(٦) فى بر: و الزوالى .

و اعلم يا هذا أن العاقل لا يفرح[1] إلا بزيادة علم أو عمل [2]صالح يعمله[2] فانهما رفيقاه يصحبانه[3] حين[4] يتخلف عنه أهله و ماله و ولده . و اعلم أنك إن نظرت فى المال ، فالمال غاد و رائح و لا أصل له ، ففى اليهود و النصارى من هو أكثر مالا منك ، و إن طلبت العلو و نفاذ الكلمة ٥ و الأمر ، ففى إجلاف[5] الأتراك و حماقة الأكراد من استولى عليك و جاهه أعظم من جاهك ، و إن تنعمت فى الأكل فالحمار أكثر أكلا منك ، و إن تنعمت[6] بالوقاع[7] فالخنزير أكثر وقاعا منك ، و إن طلبت القناعة فهذه رتبة لا يساهمك فيها إلا الأنبياء و الأولياء ، فانظر لنفسك أن تقتدى بمن لا دين له و لا عقل ، أو بمن هو أعز عند الله تعالى .
١٠ [8]لله در القائل حيث يقول[8] :

و لو كانت الدنيا ثوابا لمحسن إذا لم يكن فيها معاش لظالم
فقد جاع فيها الأنبياء كرامة و قد شبعت فيها بطون البهائم

(١) زيد فى بن : أبدا .
(٢ – ٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٣) فى بن : يصحبناه .
(٤) فى بن : حيث .
(٥) فى بن : اخلاف .
(٦) فى بن : تمتعت .
(٧) كذا فى بن ، و هى فى بر : فى الوقاع .
(٨ – ٨) فى بن : قال بعضهم .

و لبعضهم :

فضول العيش أكثرها هموم و أكثر ما يضرك ما تحب
فلا يغررك زخرف ما تراه و عيش ليّن الأعطاف رطب
إذا ما بلغــة جاءتك عفوا فخذها فالغنى مرعى و شرب
إذا اتفق[1] القليل و فيه سلم فلا ترد الكثير و فيه حرب ٥

و قال ابن الفارض :

يظن الفتى لذات دنياه نعمة و ما هى إلا نقمة فى الحقيقة

[2] إذا رأيت سعة الدنيا عند أهل المعاصى فاعلم أنها حظهم و الآخرة عند ربك للمتقين[2] !

عن الضحاك[3] بن سفيان[4] الكلابى قال قال رسول الله صلى الله ١٠ عليه و سلم : [٢٤٨ : الف] يا ضحاك ما طعامك ؟ قلت : اللحم و اللبن . قال : ثم يصير إلى ما ذا ؟ قلت : إلى ما قد علمت يا رسول الله . قال : فان الله[5] جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا . قال بعضهم فى الدنيا و طلبها :

يا خاطب الدنيا دنا فراقها زواجها أقرب أم[6] طلاقها ١٥

---

(١) ف بن : انفق .
(٢ – ٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٣) بهامش بر : نكتة .
(٤) ف بن : سفين .
(٥) زيد فى بن : تعالى .
(٦) ف بن : من .

وكل من[1] يطلبها قرينه يا ويحه قد يتسه صداقها

وقال بعضهم: لو قيل للدنيا صفى نفسك ما تعدت هذا البيت:

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الأصابع

قال بعضهم: الدنيا مغارة لا تصلح للتوطن. إن البيدر إذا ... حمل

٥ إلى دار الإقامة. الدنيا كامرأة فاجرة لا تلبث مع زوج ولذلك عيب طلاقها، فكلما تزوجت الدنيا بزوج طلقها الموت، فالدنيا من الموت طالق من ينقض عدتها. شعر:

ميّزت بين جمالها وفعالها فاذا الملاحة بالخيانة لم تف

حلفت لنا أن لا تخون عهودها فكأنها حلفت (لنا) ألا تفى

١٠ الدنيا قنطرة على نهر الهلاك، فخذ بالحزم فى تعلم السباحة قبل الجواز فتأمن عثور قدم ولا عاصف قاصف آمن ما يكون منها فانتظر حزنها أسرّ ما يكون بها. صاح على بن أبى طالب بالدنيا: طلقتك لا رجعة لى فيك. وقد كانت تكفى طلقة واحدة، ولكنه أكد طلاقها لئلا يتصور الهوى جواز المراجعة وطبعه الكريم يأنف من المحل[2].

١٥ دخل الامام فخر الدين الرازى[3] المتقدم ذكر ترجمته[3] على الملك صاحب

---

(١) ساقطة من بن.

(٢ - ٢) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن، أدرجناه بالنص رغم ما فى بعض عباراته من غموض. ثم أضفنا كلمة «لنا» فى الشطر الثانى من البيت الثانى لإحكام ميزانه [بن ١٩٠: ب - ١٩١: الف].

(٣ - ٣) ساقطة من بن [١٩١: الف].

خوارزم ، فسأله الملك أن يعظه ، فوعظه[1] بوعظ[2] قال فى خـــلاله : يا سلطان لا سلطانك يبقى و لا تلبيس الرازى و إن مردّنا إلى الله .

عن عبد الله بن مسعود [3]رضى الله عنه[3] عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إن بنى إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى عليـه السلام ، فقام[4] ليلة يصلى فى القمر فوق بيت المقدس ، فذكر أمورا كان ضيعها ، فخرج فتدلى بسيب[5] ، فأصبح السيب[6] معلقا و قد ذهب ، قال فانطلق حتى أتى قوما على شط البحر ، فوجدهم يضربون لبنا أو يصنعون لبنا ، فسألهم كيف يأخذون على هذا اللبن ، قال فأخبروه فلبن معهم ، يـعنى صنع معهم الطوب ، فكان يأكل من عمل يديه[7] فاذا كان حين الصلاة قام يصلى ، فرفع ذلك العمال إلى دهقانهم ان فينا رجلا يصنع كـذا و كـذا ، فأرسل إليه فأبى أن يراثيـه[8] ثلاث مرات ، ثم إنه[10] جاءه[9] يسير على

---

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : بوعظة .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : فقال .

(٥) فى بن : بسبب . مطموسة جزئيا .

(٦) فى بن : السبب .

(٧) فى بن : يده .

(٨) فى بن : يأتيه .

(٩) مطموسة جزئيا فى بن .

دابته، [1]يعنى الدهقان[1]، فلما رآه فر منه، فاتبعه الدهقان فسبقه، فقال: أنظر أكلمك. قال فقام حتى كلمه، فأخبره خبره، و أنه كان ملكا، و أنه فر من رهبة ربه. قال الدهقان: إنى لأظننى[2] لاحقا بك. قال فاتبعه فعبدا الله حتى ماتا[3] برميلة مصر. قال عبد الله بن مسعود: لو انى كنت ثم لاهتديت ٥ إلى قبريهما، من صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم التى وصف لنا[3]. خرّجه البزار.

و قال أمير المؤمنين هشام[4] بن عبد الملك: أكلت الحلو و الحامض حتى ما أجد لهما طعما[5]، و شممت الطيب حتى ما أجد لهما ريحا[6]، و أتيت النساء حتى ما أبالى أحائطا أتيت أم امرأة. فقيل له: ما بقى من لذتك ١٠ و سروروك[7]؟ فقال: محادثة الإخوان على التلال العفر فى الليالى القمر، و لما دخل محمد بن واسع سيد العبّاد [٢٤٨ : ب] فى زمانه على بلال بن أبى بردة أمير البصرة، وكان ثوبه إلى نصف ساقه. قال له بلال: ما هذه الشهرة يا ابن واسع. قال له: أنتم شهرتمونا، هكذا كان لباس من

(١ - ١) العبارة ساقطة من بن.

(٢) فى الأصلين: لأظنى.

(٣) مطموسة فى بن.

(٤) الخليفة الأموى و خلافته ١٠٦ - ١٢٦ هـ = ٧٢٤ - ٧٤٣ م.

(٥) فى بن: طعاما.

(٦) فى بن: بخياشيمى رائحة.

(٧) فى بن: و سورك.

مضى، فانما أنتم [١]طولتم ذيولكم[١]، فصارت السنة بينكم[٢] بدعا و شهرة.
و قال الشيخ أبو بكر الطرطوشى [٣]رحمه الله[٣]: لما دخلت على سلطان
مصر، و هو الأفضل ابن أمير الجيوش، فقلت: السلام عليك[٤] و رحمة الله
و بركاته، فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا، و أكرم إكراما جزيلا،
فأمرنى بدخول مجلسه، و أمرنى بالجلوس. فقلت: أيها الملك إن الله ٥
سبحانه و تعالى قد أحلك محلا عاليا شامخا، و أنزلك منزلا شريفا باذخا،
و ملكك طائفة من ملكه. و أشركك فى حكمه، و لم يرض أن يكون
أحد فوق أمرك، فلا ترضى أن[٥] يكون أحد أولى بالشكر منك، و ليس
الشكر باللسان، و لكنه بالفعل و الإحسان، قال الله تعالى: "اعملوا
آل داود شكرا[٦]". و اعلم أن هذا الذى أصبحت فيه من الملك إنما ١٠
صار إليك بموت من كان قبلك، و هو خارج عن[٧] يديك، بمثل ما صار
إليك، فاتق الله سبحانه و تعالى فيما خولك من هذه الأمة، فان الله

(١ – ١) فى بر: طولكم ذيركم. و صححتها فى بن كما أوردنا بالنص.

(٢) فى بن: فيكم.

(٣ – ٣) فى بن: رحمة الله عليه.

(٤) فى بن: عليكم.

(٥) فى بن: بأن.

(٦) قرآن كريم ٣٤: ١٣.

(٧) فى بن: من.

يسألك[1] عن [2]الفتيل و النقير[2] و القطمير . قال الله تعالى: " فوربك لنسئلنهم أجمعين ۝ عما كانوا يعلمون[3]۝". و قال: "و ان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حسبين ۝" . و اعلم أيها الملك أن الله سبحانه و تعالى قد آتى الدنيا بحذافيرها سليمان[5] بن داود ، وسخر له الإنس و الجن و السياطين و الطير و الوحش و البهائم ، و سخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع . فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب ، فو الله ما عددها[6] نعمة كما عددتموها ، و لا حسبها كرامة كما حسبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجا من الله تعالى و مكرا ، فقال هذا من فضل[7] ربى ليبلونى [8]أأشكر أم أكفر ، فمن شكر البارى وجب عليه شكر ثان ذ وفقه لشكره وهذا شكر الشكر[8] فافتح الباب، و سهل الحجاب ، و انصر المظلوم ، أعانك الله على نصر المظلوم ، وجعلك لهفا[9]

(١) فى بر : يسئلك .

(٢ – ٢) فى بن : النقير و الفتيل .

(٣) قرآن كريم ١٥ : ٩٢ – ٩٣ .

(٤) قرآن كريم ٢١ : ٤٧ .

(٥) فى بن : سليمن .

(٦) فى بن : عدها .

(٧) مطموسة فى بن مع بعض ما سبقها و تبعها من الكلمات .

(٨ – ٨) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٩) فى بن [١٩١ : ب] : كهفا .

للهوف ، و أمانا للخائف - انتهى .

نعود إلى ما قيل فى الموت [1] إن شاء الله تعالى [1] . اعلم أن الموت معلوم فينا بالضرورة ، فان قيل لم [2] صار الإنسان يموت ، قيل لأن الموت عند بعضهم إنما هو الحكم الطبيعى ، ، هو فساد الحار الغريزى ، أو تبديل الروح و استيلاء حكم البرودة و اليبوسة على طبيعة الروح ، و هى الحرارة ٥ و الرطوبة و سوء مزاج يلحق القلب [٢٤٩ : الف] أو هيئة مخرجة المزاج عن حده الطبيعى ، [3] أو فساد [3] المركب بالجملة ، أو تحليل الرطوبة الماسكة و نمو ضدها ، ، انحلال الأعضاء الرئيسيه [4] ، مثل ما [5] يقطع حجاب القلب ، أو يضر بجوهر الدماغ ، أو قطع النخاع . و جملة الأمر عند طائفة من الحكماء أن الموت طبيعة خامسه مضادة للحياة ، من شأنها أن تخرج ١٠ المزاج الذى به كانت الحياة إلى حد لا يمكن به التحرك و لا التنفس و لا الغذاء ، و يحمل معه الأرواح الثلاثة ، و يفسد بجواهرها ، و ذلك الفساد القوى حتى لا يشبه الحال الأول و لا يناسبه لوجه [6] .

[الجسم والنفس والروح والعقل]

و اعلم أنه لا موت للنفس ، و إنما الموت للجسم ، فمتى رأينا الميت ١٥

(١ ــ ١) العبارة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : كيف .

(٣ ــ ٣) فى بن : و فساد .

(٤) فى الأصل : الرئيسة .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : بوجه .

قلنا فيه : هذا تركته النفس و لم تستعمل شخصه ، و ذلك لأجل فساد الهيكل لا لفساد النفس ، فان النفس تكون تتخلص و تصعد إذا علمت ، و تنحط[1] و تنتكس إذا جهلت . و أيضا أن الإنسان مركب من نوعين فاسد و غير فاسد ، فبعض الإنسان يفسد ، و بعضه لا يفسد ، و بعضه ٥ القاسد هو جسمه ، و بعضه الذى لا يفسد هو روحه ، [2]فجسم الإنسان يفسد و روحه لا تفسد[2] . قال ابن سينا فى النفس :

هبطت إليك من المحل الأرفع و رقاء ذات تحجب[3] و تمنع

محجوبة عن كل مقلة ناظر و هى التى سفرت[4] ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك و ربما كرهت فراقك وهى ذات تفجع

١٠ أنفت و ما وصلت فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب[5] البلقع

[6]وهى طويلة[6] . و النفس تطلق[7] على الذكر و الأنثى . قال أبو عمرو بن الحاجب المالكى [8]فى مختصره فى الفروع[8] : شرط المرضعة أن تكون

---

(١) مطموسة فى بن .

(٢ - ٢) العبارة ساقطة من بن .

(٣) فى بن : تعزر .

(٤) مطموسة جزئيا فى بن .

(٥) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : الغراب .

(٦ - ٦) فى بن : تنطلق .

(٧) مطموسة فى بن .

(٨ - ٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

آدمية أنثى . قال ابن عبد السلام فى شرحه [1]للمختصر المذكور[1] : فان قيل هلّا استغنى ابن الحاجب عن قوله أنثى بقوله آدمية فان من المعلوم قطعا أن الآدمية أنثى ؟ قلت : لا نسلم أنه معلوم لاحتمال أن يريد نفسا آدمية ، و النفس تطلق[2] على الذكر و الأنثى[3] ـ انتهى .

نعود[4] ـ و لا خلاف بين العلماء أجمع على بقاء النفس الناطقة بعد الموت ، ٥ و الأنبياء و الفلاسفة يقولون بذلك ، و هو مشهور فى الكتب المنزلة و الدواوين الفلسفية ، و القرآن نطق بذلك و التوارة[5] و الإنجيل و الزبور و الصحف . قال الله تعالى : "لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد[6]" . و قال النبي عليه السلام : الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا . [7]و قال بعض الصالحين : ١٠

/ ما ذا يشاهد ذو العينين من عجب عند الخروج من الدنيا إلى الله[7] [٢٤٩: ب]

[8]و قال بعضهم .

و ما الموت الا رحلة غير أنه من المنزل الفانى إلى المنزل الباقى

(١ ـ ١) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٢) فى بن : تنطلق .
(٣) بهامش بر : « هذا الجواب فيه شيء ، لأن الرضاع لا يكون إلا من الإناث فلا يتوهم دخول الذكور ، ولو قيل ذكر ذلك لزيادة إيضاح لكان أحسن » .
(٤) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٥ ـ ٥) فى بن : التورية .
(٦) قرآن كريم ٥٠ : ٢٢ .
(٧ ـ ٧) ورد البيت فى بن قبل الحديث الذى سبقه .
(٨) العبارة من هنا إلى قوله « و يموت ليحيي » سقطت من بر و وردت فى بن .

فينبغى للحكيم أن يغتم بالحياة و يفرح بالموت لأنه يحي ليموت و يموت ليحي[1] . و فى الإنجيل : النفس الصالحة تعرفنى و أنا الحق ، و غير الصالحة لا تعرفنى و هى من الشيطان ، و الشيطان فى غضبى . و فى التوراة[2]: يا موسى تقرب إلىّ بالذى لا يفنى فانى خلقته للخلود ، فان آمن و عمل صالحا ٥ رضيت عنه ، و إن كفر و عصانى سخطت عليه . و فى الزبور : يا داود أصلح نفسك تصعد للسعد الخالد ، و لا تحمل أمرها تنزل للذل الأكبر .

قال ابن الفارض :

هى النفس إن تاقت هواها تضاعفت قواها و أعطت فعلها كل درة

قال أبو الحسن الشاذلى[3] : مراكز النفس أربعة : مركز فى الشهوة للطاعات[4] ١٠ و مركز فى الميل إلى الراحات ، و مركز العجز[5] عن أداء المفروضات[6] و مركز الميل للمعاصى و الخطيئات . فاقتلوا المشركين كافة ، و خذوهم و احصروهم و اقعدوا لهم كل مرصد ، و إن من أعظم القربات عند الله[7] مفارقة النفس بقطع إرادتها ، و طلب الخلاص منها بكل ما تهوى لما يرجى من حياتها ، و إن من أشق[8] الناس من[9] يحب أن يعامله الناس بكل

(١) انتهى ما سقط من بر .
(٢) فى بن : التورية .
(٣ - ٣) بهامش بر : مراكز النفس أربعة .
(٤) فى بن : فى الطاعات .
(٥) ساقطة من بن .
(٦) مطموسة فى بن .
(٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن [١٩٢ : الف] .
(٨) فى بن : أشقا .
(٩) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : ان .

ما يريد

ما يريد . فطالب نفسك باكرامك لهم و لا تطالبهم باكرامهم لك ، لا تكلف إلا نفسك . و إن أردت جهاد النفس فاحكم عليها بالعلم فى كل حركة ، و اضربها بالخوف عند كل خطرة[1] ، و اسجنها فى قبضة الله أين ما كنت ، و اشكُ عجزك إلى الله كلما غفلت، فهى التى لم تقدروا عليها ، قد أحاط الله بها فان سخرت لك فى قضية ما فجدير بأن تذكروا نعمة ربكم، "و تقولوا ٥ سبحٰن الذى سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين[2]" - انتهى[3] .

نعود[4] - و فى الصحف : نفس المؤمن فى رحمتى ، و رحمتى دائمة ، و نفس الكافر فى عذابى ، و عذابى لا انقطاع له . و قال ابن الفارض :

و لو كان لا يجزى مسيء بفعله و لا محسن ضاقت أمور البرية
و ما كان فى الأحياء والموت حكمه و كان محالا حكم كل شريعة ١٠
و مستبعد إحياؤنا و مماتنا سُدىً لا لمعنى فيه سر مشيئتى
أيحسن أن تبنى قصور مشيدة بأحسن أوضاع و أجمل زينة
و تهدم عمدا لا لمعنى و إنه ليقبح هذا فى العقول السليمة
و ذلك شيء فعله عبث و ما يدبر هـذا الكون بالعبثية

---

(١) فى بن : خطوة .

(٢) قرآن كريم ٤٣ : ١٣ .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) هذا القسم بما فيه من تائية ابن الفارض ساقط من بن . و يبدأ السقط من هنا ثم يستأنف الكلام فى كل من بن و بر على السواء بعبارة : « و قالت الحكماء الجسد كثيف و لطيفه - الخ » .

فلم يبق إلا أن يــدبر حكمه حكيم محيط العلم عدل الحكومة

[٢٥٠ : الف] و قال أيضا يلوم النفس على قبيح فعلها :

أيا نفس ما هذا التغافل و الجفا إلى ما التمادى فى غرور و غفلة

ألم يأن أن تستقبحى ما عملته قبيحا و أن تستقرعى باب منّة

٥ أغرك قوم جاهلون تلبسوا بدار غرور و هى منهم تعرّت

و إن أعلقوا فيها كؤف مؤمل تناءت كفعل الباخل المتعنت

تراءت لهم خضراء حلوا مذاقها مبهرجة تبدو بحسن و بهجة

تبلـغ آمالا و تعطى مآربـا و تجمـع إخوانا و تدنو بمنية

و تعقب ذى الأوصاف كلا بضده و تأتى ببعد بعد قرب و وصلة

١٠ متى وهبت برت و إن أقبلت نأت وإن أفرحت جاءت بحزن وترحة

فليت كفافا حزنها و سرورها و يا ليت ما منّت به عنك منت

لقد نصحت ذا العقل لما تكدرت وبالرونق المسلوب ذا الجهل غرت

و قد فضحت لولا الغباوة و العمى و لاحت مساو بالغرور تغطت

فكم أبعدت إلفا و كم كدرت صفا و كم جددت من ترحة بعد فرحة

١٥ كذا وضعت كيما تفر إلى العلا فتكديرها من سر لطف و حكمة

فلو جُعلت صفوا شَغلت بحبها و لم يك فرقا بين دنيا و جنة

فما هى لا تصفو و أنت معانق لهـا بودادٍ فعلِ جهلٍ و شقوة

كذا فعلت بالأولين فأصبحوا رهان حدوث وهى عنهم تخلّت

إلى كم (٦٠)

إلى كم خداع أيها النفس قد كفى ضياعك فى لهو زمان الشبيبة
أزحزحها نحو العلا فتردنى بأفعالها السوء إلى أرض قطعة
و أطلب منها جاهدا ضد طبعها و ذوتعب من رام ضد الجبلّة
تقضى زمانى و الأمانى بعيدة وقدضاع عمرى فى الحظوظ الدنية
و قد ذهبت باكورة العلم فى الهوى و ضيعتها ما بين حظ و شهوة ٥

و سئل الشيخ أبو العباس المرسى عن الروح و النفس ، فأنشد يقول :

إن كنت سائلنا عن خالص المنن و عن تآلف ذات النفس بالبدن
و عن تشبثها بالحظ قد ألفت أدرانها فغدت تشكو من العطن
و عن بواعثها بالطبع مائلة تهوى بشهوتها فى ظلمة الدجن ١٠
و عن تنزّلها فى حكمها و لها علم يفرقها فى القبح و الحسن
/و عن حقيقتها فى أصل معدنها لا ينثنى وصفها منها إلى وثنى [٢٥٠:ب]
فاسمع هديت علوما عز سالكها عن العيان و لايغررك ذو لَكن
قصدا إلى الحق لا تخفى شواهدها قامت حقائقها بالأصل و الفنن
يا سائلى عن علوم ليس يدركها ذو فكرة بفهوم لا و لا فطن ١٥
لكن بنور على جامع خمدت له العقول وكل الخلق فى وسن
خذها إليك بحق لست أجهله و الأمر مطلع و الحد قيدنى
عن الحقيقة خذ علم الأمور و لا يحجبك صورتها فى عالم الوطن
تطور النفس سر لا يحيط به عقل تقيد بالأوهام و الدرن
لكنها برزت بالحكم قائمة حتى تألفّها السكان بالسكن ٢٠
وكى يقال عبيد قائمون بما ألقى من الأمر قبل الخلق و المحن

و النفس بين نزول فى عوالمها كآدم و له حواء فى قرن
و الروح بين ترقّ فى معارجها و هى المواقف للتعريف و المنن
مثالها فى العلا مرآة معدنها ألطافها خفيت كالسر فى العلن
زيتونة زيتها نور لشاربها مدت هدايتها فى الكون و الكنن
٥ و الكل أنت بمعنى لا خفاء به و النور يحجبه كالماء فى اللبن
و العبد محتجب فى عز مالكه دقت معارفه فى الدهر و الزمن

و قال أيضا: الروح متوسط بين السر و القلب، و النفس متوسطة بين العقل و الجسد، فالسر غيب الروح و القلب شهادته، و العقل غيب النفس و الجسد شهادتها، فاذا مال الروح إلى السر خفى و إلى القلب
١٠ ظهر، و إذا مالت النفس إلى العقل خفيت و إلى الجسد ظهرت - انتهى.

و اعلم أن الله تعالى خلق العالم من نوعين، شخص و روح. و جعل الجسد منزلا للروح لتأخذ زادا لآخرتها من هذا العالم. و جعل لكل روح مدة مقدرة تكون فى الجسد، و آخر تلك المدة هى أجل
١٥ تلك الروح من غير زيادة و لا نقصان. فاذا جاء الأجل فرق بين الروح و الجسد. و قالت[1] الحكماء الجسد كثيف و لطيفة روحه

(١) من هنا يستأنف الحديث فى بن أيضا و كلمة «قالت» وردت هنا لك بسقوط الواو - و قبل ذلك أورد ناسخ بن ما يلى و هو غير وارد فى بر: قال الأصمعى حدثنا أبو رجاء عن التيمى قال: النفس معلقة بالروح مثل صنارة المغزل، فترسل الروح فتذهب هاهنا وهاهنا، ثم تطوى فتجىء فتدخل فيها. =

و بالروح

و بالروح يخف ، و الجسد يتكون من امتزاج الروح و النفس ، و هما يتكونان من العناصر العلوية ، [١] و تتكون العناصر العلوية من [١] الطبائع الأربعة و هى النار و الهواء [٢] و الماء و التراب . فللنار الحرارة ، و للهواء [٣] [٢٥١ : الف] الرطوبة ، [٤] و للماء البرودة [٤] ، و للتراب اليبس ، و الطبائع من كلمة الخالق تعالى التى هى علة العلل و هى الأصل . ٥ و ذلك قوله [٥] عز و جل : " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون [٥] " . فالعلة هو الذى كان السبب [٦] لشىء آخر [٦] ، و المعلول هو الذى لوجوده سبب [٧] من الأسباب ، و العلم صورة المعلوم فى نفس

=قال ابن الجوزى : يا بلابل الى متى فى قفص . . . (هنا كلمة مطموسة) . . . . الحسن ، اكسروا قفص الطبع ، و اسرحوا فى مسارح القدمين ، فالركون الى وكر النفس يمنع طيب العيش (الكلمة مطموسة جزئيا) لما قطع القوم ظلمات الهوى وقفوا على عين حياة القلوب ، فشربوا ماء المعانى فكل منهم حضر . (الكلمة مطموسة جزئيا ـ و بالعبارة غموض على كل حال) .

(١-١) ساقطة من بن و آخرها مطموس .

(٢) فى بر : الهوى . و الكلمة فى بن : الهواء .

(٣) فى بر : للهوى . و فى بن : الهوا .

(٤-٤) فى بن : و الماء للبرودة .

(٥) قرآن كريم ٣٦ : ٨٢ .

(٦-٦) فى بن : للشىء الآخر .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : سببا .

العالم، و بارى البرايا هو علة كل شيء و سبب كل موجود فى العوالم بأسرها. و العوالم[١] جمع عالم[٢]، و العالم فى اللغة كناية عن كل موجود فيه علامة يمتاز بها عن غيره من أنواع المخلوقات حتى يقال: عالم السماء و عالم الأرض و عالم البحر و عالم الحيوان. فجمع الله المفترق[٣] فى ٥ استعمال العرب بقوله تعالى: "الحمد لله رب العالمين.[٤]" أى خالق كل من تسمونه عالما. و الحمد من الألفاظ المشتركة لأنه يطلق[٥] و يراد به الثناء على المحمود على ما أولاك من نعمه، يقال له[٦] حمدت الرجل على دينه، و حمدته على ما أعطانى. و الشكر الثناء على النعمة فقط، و الحمد الثناء على الكمال و النعمة، فتقول على هـــذا كل شكر حمد، ١٠ و لا تقول كل حمد شكر، لأن الحمد أعم، و الشكر أخص، و الأعم يحمل على الأخص إذ يكون صادقا، و لا يحمل الأخص على الأعم إذ [٧]يكون كاذبا[٧]، فمقايسة[٨] الحمد إلى الشكر كمقايسة[٩] الحيوان إلى

(١) فى الأصلين: و العالم.
(٢) فى بن: عوالم.
(٣) فى بن: المتفرق.
(٤) قرآن كريم ١: ١.
(٥) فى بن: يذكر.
(٦) الكلمة ساقطة من بن.
(٧–٧) مطموسة فى بن.
(٨) فى بن: فمناسبة.
(٩) فى بن: كمناسبة.

الإنسان فكما تقول كل إنسان حيوان ، و لا تقول[1] كل حيوان إنسان ، فكذلك تقول[2] كل شكر حمد ، و لا تقول كل حمد شكر [3] و كما [لا [4]] تقول كل حيوان إنسان ، فلا تقول كل حمد شكر[3] لكذبه فالشكر يراد به الحمد فى أحد نوعيه و لا يراد به عموما - انتهى[5] .

---

(١) فى بن : تقل .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و لزومها واضح من السياق .

(٥) زيد هنا فى بن [١٩٢ : الف - ب] : نعود ، و اعلم أن النفس لها حالتان لا ثالث لهما - حالة عافية و حالة بلاء . فاذا كانت فى بلاء الجزع و الشكوى و السخط و الأعراض و التهمة للحق عز و جل ، لا صبر و لا رضى و لا موافقة ، بل سوء الأدب و الشرك بالخلق و الأسباب و الكفر ، و إذا كانت النفس فى عافية فالشر و البطر و اتباع الشهوات و اللذات ، كل ما نالت شهوة طلبت أخرى ، و اشتزرت بما عندها من النعم من مأكول [١٩٢ : ب] و مشروب و منكوح و مسكون و مركوب ، فيخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوبا (كذا) و نقصا ، و تطلب أعلا منها و أشنى مما لم يقسم لها ، و تعرض عما قسم لها فتوقع الإنسان فى تعب طويل لا غاية له و لا منتهى فى الدنيا ثم العقبى ، و لهذا قليل لمن أشد العقوبات طلب ما لم يقسم ، و إذا كانت فى بلاء لا يتمنى سوى انكشافه و تنسى كل نعيم و شهوة و لذة لا تطلب شيئا منها ، فاذا عوفيت منه رجعت إلى رعونتها و شرها (فى الأصل : و اشرها) و بطرها و إعراضها عن طاعة ربها عز و جل و إنهماكها فى معاصيه و تنسى ما كانت فيه من البلاء و ما حل بها من الويل . فترد إلى شر ما كانت فيه من البلاء و الضر عقوبة لها لما قد اجترمت=

[1] نعود – تقول العرب إذا كرهت الشيء تشبهه بالموت ، و إذا وصفوا الشيء فكرهوه إلى الموصوف ما هو إلا الموت . قال الشاعر :

فانى أنا الموت الذى هو واقع   بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله

قال ثعلب : سألت ابن الأعرابى عن قوله « الحو الموت » . قال : هذه
٥ كلمة تقولها العرب مثلا كما تقول « الأسد الموت » أى لقاؤه الموت .
و كما تقول « العدو الأزرق » أى هو مثل الزرقة التى هى كالحداد على مصيبة الميت ، أى و كما تقول « السلطان نارا » أى مثل النار ، و المعنى احذروه كما تحذروا الموت . قوله تعالى : "و ياتيه الموت من كل مكان و ما هو بميت[2]" أى مثل الموت فى الشدة و الكراهة ،
١٠ و لو أراد نفس الموت لكان قد مات . قال عمير بن فهير : [٢٥١ : ب]

و لقد وجدت الموت قبل ذوقه   إن الجبان حتفه من فوقه

= و ركبت من العظائم .... نها (الكلمة مطموسة) و كفا عن المعاصى فى المستقبل إذ لا يصلح لها العافية و النعمة بل حفظها فى البلاء و البؤس ، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف البلاء و لازمت الطاعة و الشكر و الرضا بالمقسوم لكان خيرا لها دنيا و أخرى و كانت تجد زيادة فى النعيم و العافية . – و اعلم أن النفس جوهر بسيط – الخ .

(١) من هنا إلى قوله « و العقل و الأعضاء » بأكمله ساقط من بن ، و حل محله ما أوردناه فى الحاشية السابقة من الزيادة بها ، و بعض عبارات المؤلف فيها تكاد تكون غير واضحة و لكننا أوردناها على ما هى عليه فى الأصل ، و منطوقها العام مفهوم .

(٢) قرآن كريم ١٤ : ١٧ .

و فى

و فى حديث ابن عامر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إياكم و الدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أرأيت الحمو. قال: الحمو الموت، معناه النهى أن يدخل على المغيبة صهر و لا غيره خوفا من الظنون و نزغات الشيطان، لأن الحمو قد يكون من غير ذى المحارم. قال الطبرى: الحمو عند العرب من كان من قبل ٥ الزوج عمّاً كان أو خالا أو أبا، فهم الأحماء، فأما أم الزوجة فكان الأصمعى يقول هى حماة الرجل - انتهى.

فلنرجع إلى ذكر ما قيل فى النفس و العقل و الأعضاء[1]. اعلم[2] أن النفس جوهر بسيط روحانية بالذات علامة بالقول[3]، و هى أضعف من العقل، و العقل الفعال هو أول ما ابتدعه البارى عز وجل، و هو جوهر بسيط نورانى ١٠ غير ذى نهاية. و العقل الإنسانى هو[4] الذى حصل به التميز لهذه الصورة. قال أبو الحسن الشاذلى: إن الله تعالى كما خلق الأرض[5] فأرساها[6] بالجبال، [7]فقال عز و جل «و الجبال ارسٰها[8]»، كذلك لما خلق النفس فأرساها[7] بجبال العقل. و قال أيضا: العاقل من عقل عن الله

(١) انتهى هنا ما سقط من بن.
(٢) ف بن: و اعلم.
(٣) ف بن: بالقوة. - و جائز أن تكون أصح من بر.
(٤) «هو» مكررة فى بر.
(٥) ف بن: النفس (مطموسة جزئيا).
(٦) ف بن: فأرسلها.
(٧-٧) ساقطة من بن.
(٨) قرآن كريم ٧٩: ٣٢.

ما أمر به و منه شرعا[1] ، و الذي [2] يريد الله [2] بالعبد أربعة أشياء ، إما نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية ؛ فاذا كنت بالنعمة فالله تعالى يقتضي منك الشكر شرعا ، و إذا أراد بك بلية فالله تعالى يقتضي منك الصبر شرعا[3] ، و إذا أراد بك الطاعة [4] فالله تعالى [4] يقتضي منك شهود المنة

٥ و رؤية التوفيق منه شرعا ، و إذا أراد بك معصية فالله تعالى يقتضي منك التوبة و الإنابة شرعا ، فمن عقل هذه الأربعة عن الله و كان فيها بما أحبه[5] الله منه شرعا [2] فهو عبد على [2] الحقيقة بدليل قوله صلى الله عليه و سلم : من أعطى فشكر ، و ابتلى فصبر ، و ظُلم فغفر ، و ظَلم فاستغفر . . . ثم سكت . قالوا : ما ذا له يا رسول[6] الله . قال : أولئك لهم

١٠ الأمن و هم مهتدون . و قال أيضا : يقول الله عز و جل : ابن آدم ، خلقتُ الأشياء كلها من أجلك ، و خلقتك من أجلي ، فلا تشتغل بما هو [1] لك عن من[7] أنت له . و قال أيضا : الأكوان كلها عبيد مسخرة ،

---

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢-٢) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بن .

(٥) في بن : أحب .

(٦) في بن : يرسول .

(٧) في بن : ما .

و أنت في الحضرة . [١] قال بعض الصالحين :

و لما أتيت الربع و القلب ذاهل بسلمى و نار الحب في القلب تشتعل
و قد لاح من بين الخيام جمالها تناهت به العشاق و الستر مسبل
وقفت فناديت الطلول مسائلا و قلبي على نار الأسى يتململ
أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له عليها . . . .[٢] و ينزل ٥
فنادتني الأكوان و الله ما لنا بهاتيك علم إننا منك أجهل
فو الله ما في الكون من مخبر و لا من لذياك الحمى يتوصل - انتهى[١] .

[ما قيل في القلب]

نعود إلى ذكر ما قيل في القلب : ذكروا أن القلب هو جسم محيط بالعالم ، و العالم[٢] ما [٣] حواه الفلك . قال النبي صلى الله عليه و سلم : ١٠ لَقَلْبُ ابن آدم أشد انقلابا من القَدْر إذا غلت . و قال عليه السلام : [٢٥٢ : الف] مثل هذا القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض تقلبها الريح ظهرا لبطن . و قال الشيخ أبو العباس المرسي : قلب ابن آدم بالنسبة إلى جسده كليلة القدر بالنسبة إلى سنتها ، و قلب كل مؤمن ليلة قدر جسده ، و ليلة قدر كل سنة قلب عامها . قال في[٤] ذلك القائل : ١٥

ما ليلة القدر المعظم قدرها إلا إذا عمرت به أوقاتي

(١-١) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن .
(٢) مطموسة بالأصل .
(٣) في بن : و ما .
(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

[في أعضاء الجسم البشرى]

و سأذكر[١] ما قيل فى [٢] الأعضاء إن شاء الله تعالى[٢] . اعلم أن الحدقتين مرايا الجسد ، و هما نقطتان من الماء صافيتان محبوستان بين[٣] غشاوين[٤] شفافتان ، و ماؤهما[٥] صالح[٦] لحفظ شحمهما[٧] من التغير . و الأنف ٥ ماؤه كره لاستنشاق[٨] الروائح . و الفم ماؤه حلو لاستطعام الطعام[٩] [١٠] و الماء جسم لطيف سيال شفاف لونه لون إنائـه[١٠] . و قد يحصل لبعضهم نتن الفم ، و ذلك إما لعفونة فى اللثة و أصول الأسنان ، [١١] أو لمزاج[١١] ردىء فى وسط الفم و مجارى الحنك من[١٢] رطوبات عفنة ، أو لخلط [١٣] عفن فى فم المعدة[١٣] . و قد ينتن الفم من قرحة الرئة و الصدر .

(١) فى بن : قال المصنف رحمه الله تعالى فلنذكر الآن .
(٢-٢) فى بن : أعضاء أعضاء (مكررة) الإنسان .
(٣) مطموسة فى بن .
(٤) كذا فى الأصلين ، و لعل الكلمة « غشاوتين » .
(٥) فى بر : و ماوه . و صححتها فى بن كما أوردنا بالنص [١٩٣ : الف] .
(٦) فى بن : مالح .
(٧) فى بن : شحمتهما .
(٨) فى بن : الاستنشاق .
(٩) فى بن : الطعوم .
(١٠-١٠) الجملة ساقطة من بر و واردة فى بن .
(١١-١١) فى بن : و لمزاج .
(١٢) فى بن : مع .
(١٣-١٣) ساقطة من بن .

و الكرفس

و الكرفس يطيب النكهة و يذهب البخر ، و الأذنين ماؤهما [١] مر يحفظهما [١] من هوام تدخلهما [٢] ، و أيضا لاعوجاج مسالكهما ، [٣] و إذا قطر الخـــل فى الأذن بزيت يسخن نفع من ثقل السمع و الدوى فيها [٣] . و أعضاء الإنسان [٤] ثلاثة عشر و هى [٤] الرأس و الرقبة و الصدر و البطن و الحقوان و اليدان و القدمان و الفخذان و المرارة و المعدة ٥
و المعا [٥] و الكليتان و الأنثيان .

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : فى الإنسان ثلاثمائة و ستون مفصلا ، عـــلى كل مفصل صدقة ، و إماطة الأذى عن الطريق صدقة . قالوا : يا رسول [٦] الله من يطيق ذلك ؟ قال : النخاعة [٧] تدفها [٨] صدقة ، و إماطة الأذى عن الطريق ١٠
صدقة ، و ركعتا لضحى تكفر ذلك - خرجه البزار . و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : مر رجل بغصن شوك على ظهر طريق فقال : و الله لأنحين ذلك عن المسلمين لا يؤذيهم ، فأدخل الجنة - خرجه مسلم .

(١-١) كذا فى بن ، و فى بر : لحفظهما .
(٢) فى الأصلين : يدحلها .
(٣-٣) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٤-٤) كذا فى بن ، و فى بر : هى (فقط) .
(٥) كذا ، و لعل المقصود « الأمعاء » .
(٦) فى بن : يرسول .
(٧) كذا فى الأصلين .
(٨) فى بن : تدفنها .

و قال[1] صلى الله عليه و سلم: لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة[2] فى شجرة نحاها من الطريق كانت تؤذى الناس - خرجه مسلم. و قال[2] أبو برزة[3]: قلت يا رسول[4] الله علمنى شيئا أنتفع بـه. قال: اعزل[2] الأذى عن الطريق. خرجه البخارى - انتهى.

٥ نعود[5] - و الأبواب[6] التى فى الجسد اثنا[7] عشر بابا و هى العينان و الأذنان و المنخران و السبيلان و الفم و السرة و الثديان. و من لطف الله تعالى بعباده جعل الليل و النهار لأن الإنسان مضطر إلى الحركات فى أعماله لمعاشه. [٢٥٢ : ب] و لا ينفك[8] عن كلال، فعند ذلك يغلب عليه النوم، و لا بد له من ذلك لزوال الكلال. و كما[9]
١٠ قال تعالى[10]: " و من رحمته جعل لكم[11] الليل و النهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا

(١) زيد فى بن: رسول الله.
(٢) مطموسة فى بن.
(٣) كذا فى بن، و هى فى بر: برزة.
(٤) فى بن: يا نبى، و فى بر: يرسول.
(٥) فى بن: فلنذكر الآن أبواب الجسد و لطف الله تعالى بعباده.
(٦) فى بن: الأبواب.
(٧) فى بر: اثنى. و صححتها فى بن كما أوردنا بالنص.
(٨) فى بن: يد لقواه.
(٩) فى بن: كما.
(١٠) قرآن كريم ٢٨ : ٧٣.
(١١) ساقطة من بن.

من فضله". فعين[1] وقتا للنوم ينام فيه كلهم، و وقتا للعاش يعمل فيه كلهم، و لو لا ذلك[2] لأفضى إلى عسر قضاء حوائج[3] الناس، لأن أحدهم إذا طلب غيره وجده نائما - انتهى.

[في وظائف الأعضاء]

نعود[4] - و القوى[5] سبعة و هي الجاذبة و الماسكة و الهاضمة و الدافعة و الغاذية[6] و المنمية و المرئية[7]. و ترجمان النظام خمسة: العين و الأذن و اللسان و الأنف و اليد. و[8] إن صورة الإنسان[8] تنقسم على أربعة أرباع: الرأس و اليدان[9] و البدن و الرجلان. ثم عظامه[2] منقسمة إلى مائتي عظم و ثمانية و أربعين عظما، ففي الرأس اثنان و أربعون عظما، و في

(١) في بن: فتعين.

(٢) مطموسة في بن.

(٣) في بن: الحوائج.

(٤) زيد في بن: إلى ذكر القوى. و بهامش بر: القوى سبعة.

(٥) في بن: القوى (بدون واو العطف).

(٦) كذا في بن، و هي بر: و العادية.

(٧) بدون نقط في بر، و ياؤها الثانية منقوطة في بن فأضفنا الهمزة على الأولى وهي تحذف عادة في الأصل.

(٨-٨) في بن: و الصورة الإنسانية.

(٩) في الأصلين: اليدين.

الربع الثانى و هو [١]اليدان اثنان و ثمانون[١] عظما ، و فى الربع[٢] الثالث و هو البدن أربعون عظما ، و فى الرابع و هو الرجلان أربعة و ثمانون[٣] عظما . ثم خلق الله سبحانه لهذه العظام رباطات تمسكها بعدة[٤] عروق [٥]للشكل الإنسانى[٥] ثلاثمائة[٢] و ستون عرقا ، و بهذه العروق تكون الحركة و القبض و البسط ، فرأس هذه العروق فى الفؤاد ، و هو[٦] العرق المسمى بالنياط و الأبهر[٧] ، و منزلته مع القلب بمنزلة الحاجب للملك[٨] ، يلتقف[٩] أمره ، ثم يخرجه إلى الخدمة ، ثم هذا العرق متصل بالمعدة يمتص منها قوة الطعام و الشراب اللذين[١٠] يدخلها ثم يقسمها بين الكبد و المرارة[١١] والطحال . و خلق العرق الأبهر مستبطن الصلب ، و هو آخذ من مجمع

(١-١) مطموسة فى بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن : و ثمان .

(٤) فى بن : بعد .

(٥-٥) فى بن : الشكل للانسان .

(٦) فى بن : و هى .

(٧) بهامش بر : العروق .

(٨) كذا فى بن . و الكلمة فى بر : للمال .

(٩) فى بن : يتلقف .

(١٠) فى بن : الذان .

(١١) فى بن : و المراه .

الكاهل[1] إلى مجمع الوركين إلى[2] مجمع الحالبين إلى مجمع الصدر[3] بين الترقوتين ، و هو نهر الجسد الأعظم[4] ، و هو مقسوم لأربعة عروق لأجزاء الجسد الأربعة ، لكل جزء منها عرق ، [5]فللرأس منها[5] عرق يتفرق إلى مائة عرق ، و اليدين كذلك ، و للبطن عرق (يتفرق[6]) إلى ستين عرقا ، و للظهر كذلك ، و للرجلين عرق يتفرق إلى مائة عرق ، ٥
و الجزء الأول من النهر الأول و هي أربعة أنهار يتفرق[7] منها عرقان من مجمع الكاهل يسقيان العنق ، و يتفرق من مجمع الصدر بين الترقوتين عرقان يصعدان إلى العنق و هما الودجان ، ثم يتفرع من كل واحد منهما عرقان ، ثم جميع[4] هذه العروق ينبعث منها[8] الغذاء إلى كل عضو في الرأس من الشفتين و غيرها ، و أما عروق اليدين من الربع الثاني و هو أحد ١٠ الأنهار الأربعة [٢٥٣ : الف] من النهر الأعظم يتفرق منه عرقان[9] ، فان لكل يد عرقا[10] من مجمع[4] الصدر بين الترقوتين إلى بين المنكبين

(١) في بن : الكامل .
(٢) في بن : و إلى .
(٣) في بر : الصدرين . و صحته في بن كما أوردنا بالنص .
(٤) ساقطة من بن .
(٥-٥) في بن : فالرأس لها .
(٦) ساقطة من الأصلين و ذكرها لازم لاستقامة المعنى .
(٧) في الأصلين : تتفرق .
(٨) في بن : فيها . (٩) في بر : عرقا .
(١٠) في الأصلين : عرق .

و هما الأكحال[1] ، ثم يتشعب من كل واحد منهما أربعة[2] عروق سواهما ، فتسق العضدين و أجزاءهما ، و ذلك عشرة عروق ، لكل يد خمسة عروق ، ثم يفترق[3] من كل واحد من العشرة أربعة تسق الساعدين ، فذلك خمسون عرقا ، [4]لكل ساعد خمسة و عشرون عرقا[4] ، و عرق آخر يسق الكفين ٥ و الأصابع . و أما الجزء الثالث فالبطن يفترق منها عرقان من مجمع الحالبين إلى اليد[5] ، يفترق من كل واحد منهما تسعة ، عشرون[6] عرقا سواهما يدفعان[7] إلى كل جزء حصته ، فلليدين أربعة و ثلاثون ، و لسائر البطن[3] ستة و عشرون ، للمصمص عرقان ، و أربع عروق للمذاكير ، و اثنان للكليتين ، و اثنان للمثانة ، و اثنان للأمعاء ، و اثنان للكبد ، ١٠ و اثنان للطحال ، و اثنان للفؤاد ، و اثنان للمرارة ، و اثنان للرئة ، وثلاثون للأضلاع[8] ، لكل ضلع عرقان ، و اثنان للثديين[9] .

(١) في بن : الاكل .
(٢) ساقطة من بن .
(٣) مطموسة في بن .
(٤-٤) الجملة ساقطة من بن .
(٥) كذا في بر ، و هي في بن : البدن . ـ و جائز أن يكون ذلك الصواب .
(٦) في بن : و عشرين .
(٧) في الأصلين : يدفعون .
(٨) في بن : للامتناع .
(٩) في الأصلين : للثديان . ـ و قد زيد هنا في بن ما يلي : قال ابن الجوزي: يا هذا تدبر و تيقن أنك سكبت من صلب صلب على رياض أرض الشهوة ... =

١فلنذكر الآن ما قيل فى الرضاعة ١ .جاءت لليث٢ بن سعد امرأة فقالت له : أريد الحج و ليس لى محرم . فقال : اذهبي إلى امرأة رجل ترضعك من ثديها ، فيكون زوجها أباك من الرضاعة ، فتحجين معه٣ . و احتج بما فى الصحيح من حديث عائشة٤ قالت : دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه و سلم و عندى رجل قاعد فاشتد ذلك عليه ، ٥

= (مطموس) . . . حلبتها يد القدرة ، شق سمعها و بصرها و هى دم مغموس فى دم الحيض من غير ملامسة . . . (مطموس) . . . النطفة . . . (مطموس) . . . كن الصلب حركتها أنامل الشهوة بإيقاع لذة الوقاع فوقعت فى طابق المطابقة فى مجلس الرحم خلعت عليها . . . التقدير خلعة علقة ثم ردتها برداء مضغة ثم نسجتها يد القدرة على منوال التطريز ثم خرجت من حمل . . . لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم فبينما هو فى لطف طفل درج به مدرج انسان فاذا هو خصيم مبين كم دار فى تدوير أدواره من فلك وكم سبح فى تطوير أطواره من ملك وكم نطقت فى معناه فى المعانى وكم ذهلت فى افنان معناه من ألسنة المعانى لكى اطروس الغفلة ما يسمع هذه لحظه . . . و صف الظاهر فكيف له . . . معنى الباطن . انتهى (و قد اكتفينا بنسخها حرفيا على قدر المستطيع بما فيها من غموض لفظى) .

(١-١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢) فى بن : الليث .

(٣) بهامش بر : قف على هد الحكم العجيب و النقل الغريب .

(٤) ساقطة من بن .

فرأيت الغضب فى وجهه . قالت : [1] فقلت يا رسول [1] الله إنه أخى من الرضاعة . قالت فقال : انظرن أخواتكن من الرضاعة فان الرضاعة من المجاعة . و قالت عائشة[2] : جاءت سهلة[3] بنت سهيل إلى النبى صلى الله عليه و سلم و قالت يا رسول الله إنى أرى الغضب فى وجه ٥ أبى حذيفة تعنى زوجها من دخول سالم و هو حليفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ارضعيه . قالت : وكيف أرضعه و هو رجل كبير . [4]فتبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال : قد علمت أنه رجل كبير[4] . و فى رواية : ارضعيه تحرمى عليه و يذهب الذى فى نفس أبى حذيفة . و احتج من قال إن الكبير ليس بمحتاج للرضاعة ، فانه[5] ليس لها فى ١٠ ذلك تأثير[6] كما أنه أبى سائر[6] أزواج النبى صلى الله عليه و سلم أن يدخلن عليهن أحدا بتلك الرضاعة ، و قلنا لعائشة : و الله ما نرى هذه إلا رخصة أرخصها لسالم خاصة ، فما هو [7]داخل علينا[7] أحد بهذه الرضاعة و لا رأينا - انتهى .

(١-١) فى بن : قلت يرسول .
(٢) زيد فى بن : رضى الله عنها .
(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٤-٤) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٩٤ : الف] .
(٥) فى بن : بأنه .
(٦-٦) فى بن [١٩٤ : الف] : كما روى أن أبا سالم .... (بياض) ..... أزواج النبى الخ . ـ ولفظة « كما » فى بر « لما » .
(٧-٧) فى بن : بداخل عليها .

نعود[1] - و أما الجزء الرابع و هما[2] الرجلان ففيهما الوتين عرق يفترق منه عرقان و هما عرقا الفخذين، لكل فخذ عرق من[3] بجمع الوركين يسقيان الفخذين و أجزاءهما. [٢٥٣ : ب] و يفترق[4] كل واحد[5] منهما أربعة عروق، ثم يفترق من الأربعة خمسون[6] عرقا، يفترق من الساقين كل ساق خمسة و عشرون عرقا . و اعلم أن الغذاء إذا استقر فى المعدة طبخته الكبد ٥ و هى حارة رطبة لاصقة للعدة[7] من الجانب الأيمن، تمتص منها من صفو الغذاء كل حار رطب لمشاكلتها[8]، فتصفيه بجوهرها و فيها أنابيب كالمصفى[9] فتجذبه العروق فتنقله و تسرى فيها إلى حيث ما تقدم. و أما المرارة[10] فهى معدن يخلط (كذا) يقال له المرة الصفراء . و هى حارة يابسة لاصقة بالمعدة من الجانب الأيمن مما يلى الكبد تمتص منه من صفو الغذاء كل حار يابس[5] ١٠ للشاكلة ، فتصفيه بجوهرها، ثم تجتذبه[11] العروق[5] كما ذكرناه . و الخلط

---

(١) زيد فى بن : إلى ذكر بقية أجزاء ابن آدم .

(٢) فى بن : و هو .

(٣) فى بن : ممتد إلى .

(٤) زيد فى بن : من .

(٥) مطموسة فى بن .

(٦) كذا فى بن ، و هى فى بر : خمسين . و بهامش بر : الغذاء إذا استقر فى المعدة.

(٧) فى بن : بالمعدة .

(٨) فى بر : لمشاركتها . و أغلب الظن أن الصواب ما أوردنا فى النص عن بن.

(٩) ساقطة من بر، وهى فى بن : كالمصفا .

(١٠) بهامش بر : المرارة . (١١) فى بن : تجذبه .

و هى باردة معادلة لريح الصبا . و إذا كان فى الفؤاد رياح و دود و تخمة يؤخذ[1] من السنا المكى أوقية و من الشهار أوقية [2]أنسون أوقية[2] [3]و من الشيح نصف أوقية و عرق سوس نصف أوقية[3] ، زر ورد درهم ، [3]مصطكى نصف درهم[3] ، عود ريح درهم ، كمون أبيض نصف أوقية ،
٥ يدق الجميع و يخلط بمثل نصفه سكر[4] ، و يستعمل بعد ذلك سفوفا ، يؤخذ منه عند النوم قليلا ، و على الريق قليلا ، نافعا مجربا .

و اعلم أن الغذاء لا يصير جزءا من المغتذى حتى يعمل فيه عدة من الملائكة ، و معنى التغذى أن يصير جزء[5] من الغذاء جزءا من المتغذى ، فان الغذاء لا يصير دما و لحما و عظما بنفسه[6] ، كما ان القمح بنفسه لا يصير
١٠ طحينا و عجينا و خبزا حتى تعمل فيه الصناع ، [7]فصناع الظاهر أناس[7] ، و صناع الباطن ملائكة ، فقد[8] أسبغ الله[9] عليك يا ابن آدم نعمة ظاهرة

(١) فى بن : فيؤخذ .
(٢-٢) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٩٤ : ب] .
(٣-٣) العبارة ساقطة من بن .
(٤) فى بن : سكرا .
(٥) فى الأصلين : جزءا .
(٦) فى الأصلين : بنفسها .
(٧-٧) فى بن : فظاهر الصناع الناس .
(٨) فى بن : فكيف .
(٩) زيد فى بن : تعالى .

و باطنة

و باطنة ، فانه لابد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم و العظم ، فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ، و لابد من ثان يمسكه حتى تعمل فيه الحرارة بغيرها ، ثم لابد من ثالثة[1] تكسبها صورة الدم[2] ، ثم لابد من رابع[3] يدفع القدر الفاضل عن الغذاء ، ثم لابد من خامس يميز العظم واللحم و العروق و ما[2] يليق بها ، ثم لابد من سادس للصق[4] ما اكتسب [5]صورة ٥
العظم بالعظم و ما اكتسب[5] صورة اللحم باللحم ، ثم لابد من سابع يراعى المقادير فى الالصاق ، فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته ، و بالعريض ما لا يبطل[2] عرضه ، و بالمجوف ما لا يبطل[2] تجوفه ، و يحفظ على كل واحد مقدار حاجته ، يدفع الزائد ، فانه لو جمع على الأنف [6]من الغذاء مقدار[6] اللحمة للفخذ تشوهت الصورة ، بل ينبغى أن ١٠
يسوق[2] إلى الأجفان رقيقها ، و إلى الحدقة صافيها ، و إلى الأفخاذ[2] غليظها ، و إلى العظم صلبها ، مع مراعاة القدر و الشكل و إلا بطلت

---

(١) فى بن : ثالث .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : دافع . — و هى جائزة أيضا .

(٤) فى الأصلين : لمضيق ، و هو خطأ فاحش لا ينسجم مع سياق الحديث يتضح من عبارات قادمة فى النص .

(٥-٥) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٦-٦) فى بن : مقدار . و هى مطموسة جزئيا .

الصورة ، فلو لم يراع[1] هذا الملك[2] الموكل به هذا القسط فساق الغذاء إلى جميع البدن و لم يسق إلى رجل واحدة مثلا فتبقى تلك الرجل كما كانت فى أيام الصغر وكبر جميع البدن ، فترى[3] شخصا فى ضخامة رجُل و له رجْل كأنها رجل صبى صغير ، فلا ينتفع بنفسه ألبتة فمراعاة هذه الهندسة [4]مفوضة إلى هذا الملك ، فهذا[4] حال بعض الملائكة الموكلين ببدن ٥ بنى آدم مشتغلين بك و أنت فى النوم [٢٥٤ : ب] أو تتردد فى الغفلة ، و هم يصلحون بذلك .

روى أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : وكل بابن آدم مائة و ستون ملكا يذبّون عنه كما تذبون[3] الذباب عن قصعة ١٠ العسل فى اليوم العاصف - انتهى .

نعود - و صلاح الأمزجة و فسادها[5] تابع [6]لما تقدم[6] بين[7] الجاذبة و الماسكة و الهاضمة و الدافعة . و العلم الطبيعى لإصلاحها هو فائدته و غرضه . و اعلم أن الغضب جمرة فى القلب ، أما رأيتم حمرة فى عينيه و انتفاخ أوداجه ، فمن أحسّ بشىء من ذلك فليلصق بالأرض و النفس

(١) فى الأصلين : يراعى .
(٢) الكلمة ساقطة من بن .
(٣) مطموسة فى بن
(٤-٤) العبارة مطموسة فى بن .
(٥) فى بر : و فساد . وصحتها فى بن كما أوردنا بالنص .
(٦-٦) فى بن : لما تعد .
(٧) فى بر : من . و الأصح فى بن ما أوردناه بالنص .

يكسب [١] بمجاورته من الطبائع[١] ملكة أى قوة عند غلبة السوداء إلى غير ذلك كما يتشبه [١] الرفيق من رفيقه[٢]، و متى [١] كانت هذه الطبائع جارية على اعتدال كانت النفس أحرى إلى السلامة، و جميع هذا كله بتقدير الله سبحانه و تدبيره، فمتى تأمل[٣] هــذا القصد المحكم، و الترتيب المنظم، و معادلة بعض القوى لبعض، و كيف خلقت اليد للبطش، و اللسان ٥ للكلام، و الحدقة للرؤية، و كيف خلقت على شكل ملائم. و خلقت[٤] ماء جامدا فى أغشية لطيفة مكنفة[٥] بالأجفان. و جعل للأجفان أهداب تقيها المغيرات و النور الكثيف أن يغشاها، و كل ذلك دال على أن هذا[٦] الصنع العجيب، و الأمر الغريب، مدبر[٧] دبره[٨] و عالم[٩] أتقنه، و أن الصانع هو المخترع لتلك الصورة، فتبارك الله [١٠] تعالى لا إله إلا هو ١٠ سبحانه لا إله غيره[١٠].

(١-١) مطموسة فى بن.

(٢) فى بر: رقيقه.

(٣) فى بن: تؤمل.

(٤) فى بن: نخلقت. - و بهامش بر: العينين.

(٥) فى بن: مكتنفة.

(٦) فى بن: لهذا.

(٧) فى الأصلين: مدبرا.

(٨) فى بن: يدبره.

(٩) فى بر: و علما. و فى بن: و عالما.

(١٠-١٠) فى بن: سبحانه لا إله إلا هو.

[حمد الله على ثمانية]

فيجب على الإنسان أن يحمد الله تعالى من ثمانية[1] أوجه: الأول ان [2]أوجده من[2] العدم، الثانى أن خلقه حيوانا و لم يخلقه جمادا، الثالث أن خلقه ناطقا و لم يخلقه غير ناطق، الرابع [2]أن خلقه[2] ذكرا ٥ و لم يخلقه أنثى، الخامس أن [3]خلقه مسلما و لم يخلقه كافرا[3]، [4]السادس أن جعله سنيا ولم يجعله بدعيا[4]، السابع أن جعله من أهل العلم و لم يجعله من أهل الجهل، الثامن أن جعله لمعرفة هذه الرتب أو [5]كلاما ذا معنى[5].

[وظيفة العين و الأذن و اللسان]

و اعلم أن العين[6] خلقت لتهتدى بها فى الظلمات، و تستعين بها فى ١٠ الحاجات و تنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض و السموات، و تعتبر بما فيها من الآيات و الأذن خلقت لتسمع بها كلام الله[7] و سنة نبيه و حكمة أوليائه و يتوصل باستفادة العلم إلى الملك المقيم و النعيم الدائم. قال الشيخ

(١) بهامش بر: يجب على العبد أن يحمد الله تعالى من ثمانية أوجه.

(٢ - ٢) مطموسة فى بن.

(٣ - ٣) فى بن [١٩٥: الف]: جعله مسلما ولم يجعله بدعيا.

(٤ - ٤) العدد السادس ساقط من بن.

(٥ - ٥) مطموسة فى بن، و فى بر الكلمة الأخيرة: معناه.

(٦) من بن، و فى بر: العينين.

(٧) زيد فى بن: تعالى.

أبو العباس المرسى [١]رحمه الله[١]: إذا تكلم العارف بكلمة غاب[٢] فيها [٢٥٥: الف] وجود المستمع لأن الكلام ذكر و السمع أنثى، و الرجال قوامون على[٣] النساء، لو تنفس العارف[٤] فى بلدة ثبت أيمان[٣] كل عبد فيها[٣].
و أما اللسان فانه خلق لتكثر به ذكر الله تعالى و تلاوة كتابه، و ترشد[٥] به خلق[٣] الله تعالى إلى طريقه، و تظهر به ما فى ضميرك من حاجات دينك ٥
و دنياك و اعلم أن الألسنة ثلاثة: لسان نقل عن لسان، و لسان نقل عن قلب، و لسان نقل عن غيب. فالناقل عن لسان حال، و الناقل عن قلب عالم، و الناقل عن غيب عارف. فلسان اللسان هواء [١]عن هواء[١]، و لسان القلب داع إلى هدى[٦]، و لسان الغيب يشير إلى عالم المحو و الفناء[٧]. انتهى[٤].

[ما قيل فى الأزمنة و الطبائع] ١٠

[٨]فلنذكر الآن ما قيل فى الأزمنة و الطبائع إن شاء الله تعالى اعلم أن الأزمنة أربعة: الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء. فالزمان الأول

(١ – ١) ساقطة من بن. (٢) مطموسة فى بن.
(٣) ساقطة من ر و واردة فى بن. (٤) الكلمة ساقطة من بن.
(٥) فى الأصل: يرشد. (٦) فى بن: الهدى.
(٧) فى بن: الثناء.

(٨) هذا القسم ابتداء من « فلنذكر الآن » [بن ١٩٥ : الف] لغاية « و قد يستفرغ البلغم بالقيء » فيما بعد ساقط بأكمله من بن و يستأنف الكلام فى كلا الأصلين عند « اعلم أن أفعال القوى » [ر ٢٠٦ : الف] و قد حاولنا نسخ هذا الجزء حرفيا كما هو فى المخطوط وهو مملوء بمشكلات مواصفات الطب القديم التى لا علم للناشر بها.

الربيع ، و هو طبيعة الدم حار رطب . و الزمان الثانى الصيف و هو
حار يابس سلطانه المرة الصفراء . و الزمان الثالث الخريف و هو بارد
يابس سلطانه المرة السوداء . و الزمان الرابع الشتاء و هو بارد رطب
سلطانه البلغم . فشبه فصل الربيع بفصل الطفولية حار رطب ، و فصل
٥ الصيف بالشباب حار يابس . و الخريف بالكهول بارد يابس ، و الشتاء
بالشيخوخة بارد رطب . و للدم و الصفراء و السوداء و البلغم علامات ،
فان غلب الدم فنعاس و تثاوب و تمطط و حك مواضع الفصد و ظهور
بثور دموية و حلاوة الريق و الرؤيا فى المنام و اللهو[1] و الطرب و الألوان
الحمر ، و الرعاف الكافور المذاب فى ماء الورد و ماء الخيار و يسعط به
١٠ فانه يقطع الرعاف . و إن غلبت الصفراء فمرارة الفم و العطش و خشونة
اللسان و جفاف الأنف ، استلذاذ النسيم البارد و ضعف شهوة الغذاء
و نارية البول و ظهور آثار الصفراء فى القيء و البراز و رؤيا الطيران
و النيران فى المنام . و إن غلبت السوداء فقحل البدن و كمودته و احتراق
المعدة و قوة شهوة الغذاء و سهر و وسواس و رؤيا الآيات و المخاوف .
١٥ و إن غلب البلغم فبياض البول و كثرة الريق و ضعف الهضم و الجشأ
الحامض و الترهل و كثرة النوم و رؤيا المياه و الثلج . يؤكد هذه
العلامات الفصل و البلد و السن ، فمتى غلب الدم وحده أو مع غيره
فاستفراغه بالفصد أو الحجامة ، فان تخلف بعده سوء المزاج حار رطب

(١) فى الأصل : اللهو .

فيعدل [٢٥٥ : ب] باستعمال المبردات القامعة مثل شراب الورد الطرى و القراصيا و الحماض و الليمون أو التمرهندى أو الحصرم أو الرمان أو الهندبا أو العناب أو السكنجبين أو التفاح. و إن كانت الطبيعة لينة جدا فشراب الآس أو السفرجل أو الورد الأزرار ، و إن كانت مصقلة فشراب الورد المكرر بمائه و بماء النوفر ، و يحذر من الشديد الحموضة حيث يكون ٥ الصدر أو العصب أو الأمعاء ضعيفة ، و عند السعال بالخس و الهندبا بالخل و السكر أو الرجلة و هى البقلة الحمقاء و سويق الشعير بالسكر أو فروج بماء الحصرم أو بحب الرمان[1] ، و إنما تستعمل الفراريج عند ضعف القوة ، و متى غلبت الصفراء فيستفرغ بمطبوخ الفاكهة و صفته : إجاص أوقيتان ، قراصيا و عناب و تمرهندى من كل واحد أوقية ، زهر بنفسج و سنامكى ١٠ من كل واحد خمسة دراهم ، خطمية مقشورة أربعة دراهم ، ينقع ليلة و يغلى و يلقى عليه سبع زهرات نيلوفر و سبع زهرات ورد نصيبينى إن وجد ، و يصفى على عشرين درهما شيرخشك و عشرة دراهم ترنجبين أو ثلاثين درهما ورد نصيبينى مكررا و ثلاثين درهما سقر بنفسج ، و ان احتمل الحال أكثر من ذلك ، فيصفى عليه خمسة عشر درهما لب ١٥ خيار شنبر ممروش بدرهم دهن لوز حلو ، و يصفى على أوقيتين سكر ، و يشرب سحرا و يفرك عليه خروبتين محمودة لتقوية فعله و إسراعه ، و إن تأخر عمله يحرك بماء أغلى فيه ثمار أخضر و خطمية مقشورة وحده أو مع سكر و يتقيأ عند منتهى فعله ، و يغسل الوجه و الأطراف بماء بارد

(١) فى بر : بالحب رمان .

مع نصف درهم بزرقطونا صحيح ، و يغتذى بعد ساعتين بمزوورة رشتا
دقيقه خميرا و بسويق شعير مغسول محلى بشراب ورد طرى. و متى غلبت
السوداء استفرغ بمطبوخ الأفتيمون و هو مطبوخ الفاكهة يزاد عليه
بسفانيج مجرود مرضوض ستة دراهم ، إهليلج كابلى مرضوض أربعة دراهم
٥ غاريقون مقطع مثقال ، و يلقى عليه فى آخر الطبخ ستة دراهم أفتيمون
اقريطشى مبسوس بدهن لوز حلو فى صرّة كتان رخوة ، و يدر على وجه
القدح نصف مثقال راوند و نصف درهم حجر أرمنى مصول ، و يفرك
عليه المحمودة أو يستفرغ بسفوف السوداء ، يؤخذ منه سبعة دراهم مقواة
بخروبتين محمودة ، و يحرك و يقطع كما تقدم ، و يغتذى [٢٥٦ : الف]
١٠ بدجاجة سمينة مصلوقة . و متى غلب البلغم فيستفرغ بمثقال غاريقون
أو درهمين وحده ، اما أن يلعق بشراب الليمون ، أو يحمل حبا يبلع بجلاب
و يحرك بعد بلعه بمغلى من عرق سوس مجرد مرضوض و ثمار أخضر
و خطمية مقشورة ، و يصفى على سكر ، و يستفرغ بمثقالين أيارج لوغاذيا
مقواة بمثقال غاريقون و خروبتين محمودة و يحبب بدهن لوز ، و يبلع
١٥ بجلاب سحرا ، و يحرك بالمغلى المذكور ، و يتقيأ عند منتهى فعله ، و يقطع
بأوقيتين شراب تفاح بماء لسان ثور مع نصف درهم بزر ريحان صحيح ،
و يغتذى بدجاجة مصلوقة ، و قد يستفرغ البلغم بالقىء .

و اعلم [١] أن أفعال القوى الطبيعية هضم الغذاء و استمرائه[٢] و دفع

(١) هنا يستأنف الكلام فى كل من بر و بن معا .
(٢) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر: و استمراره.

فضلاته. [١]و البول يدل على[١] هضم الكبد و العروق، [١]و أجود البول ما كانت[١] أجزاؤه كلها متشابهة فى اللون و القوام، و أجود أبوال المرضى ما أشبه بول[٢] الأصحاء، و البول الصحى[٣] هو الأصفر اللون المعتدل[٣] القيام[٤] الذى يظهر فيه رسوب محمود و هو الأبيض الأملس المستوى غير كريه الرائحة[٥] الذى يبال كدرا و يبقى على حاله، ثم الذى ٥ يبال صافيا و يتكدر، و أزكاها الرقيق[١] الشبيه بالماء الذى يبقى[١] على حاله. و كل بول غير الأبيض و الأصفر و الأحمر دال على الهلاك.

[١]و أعلم أن الإنسان دائما فى الدنيا سائر[٦] إلى[١] الموت. قال الشاعر:

و من عجب الأيام أنك قاعد على الأرض فى الدنيا و أنت تسير
تسير الليالى بالفتى لا يحسها من الناس إلا عاقل و بصير ١٠

فابن آدم فى الدنيا مثله كمثل فرخ فى عشه[٧]، فاذا استوى ريشه طار

(١ - ١) مطموسة فى بن.

(٢) فى بن ابوال.

(٣) الكلمة مطموسة فى بن.

(٤) فى بن القوام - و ربما كانت الأصح.

(٥) زيد فى بن: ثم.

(٦) فى بر: سائرا.

(٧) فى بن: عش.

و تركه بطيرانه إما لصلاحه أو لفساده ، و ما يعلم ما يراد به ، ١ بل دخل الدنيا ١ مضطرا ، و عاشَ فيها حائرا ، و خرج منها كارها مع ما يقاسي في دنياه من الهموم و الأنكاد ، و ما يبلغه من القول في فتنة الموت و فتنة ٢ القبر و الحساب و المعاد٣. قال أبو العلاء٢ المعري[4] :

٥ نعذب في البطون و ما جنينا ٢ و يذبح[5] في حشا الأم[6] الحوار

و ننتظر الرزايا و البلايا و أما بالوعيد لنا انتظار

فكانت نعمة لو أن كنا نخير[7] بعد ذا أو نستشار[8]

(١ - ١) العبارة مطموسة في بن .

(٢) الكلمة مطموسة في بن.

(٣) في بن : في المعاد.

(٤) في بر : المعزى .

(٥) مطموسة في بن ، و في بر : يرنح .

(٦) في بن : الأيام .

(٧) في بن : نخيرو .

(٨) زيدت هنا في بن [٩٥ : الف - ب] العبارة الآتية آثرنا إدراجها بالهامش نظرا لما فيها من خبل و لأنها على هامش موضوع الكتاب : و اعلم أن أزواج المؤمنين يتعاهد (كذا) بعد الموت بحفرة صاحبها عند كل مساء فيما فيه من لطيف القدرة، يعلم الميت بزائره ، و يجد التنعم في قبره ، و أرواح المؤمنين في قناديل تحت العرش يرون أهلها على قدر منزلته من الله في صورة طائرة ، و منهم من يزور في كل جمعة ، فيستر عنه القبيح، و يبرز له الحسن ، فيسره . و قيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود حببني إلى عبادي . فقال الهي =

[حكاية تشتمل على فرج بعد حرج]

حكاية تشتمل على فرج بعد حرج ، و حدوث حزن بعد سرور[١] .

حكى [٢٥٦ : ب] أن الإفرنج[٢] حين ظفرهم بالإسكندرية قبض بعضهم على جماعة نسوة ، حمّلوا كل امرأة منهن كارة مما نهبوه ، و صاروا يسوقونهن بين أيديهم ، و على رأس إفرنجي منهم كارة كبيرة أثقلته ، فصادفوا مسلما ٥ قبضوه وحملوه ما على رأس الإفرنجي ، و صاروا طالبين باب البحر ، فارتخت الكارة التي على رأس المسلم من ثقلها في بعض الشوارع منعته نظر الطريق[٣] ، فقال للافرنج : قد انحلت هذه الكارة و ارتخت فاربطوها حتى أسير بها ، [٤] فأنزلها عنه الإفرنج[٤] و اشتغلوا بعقدها [٥] و ربطها ، فقر المسلم هاربا[٥] ، و رمت امرأة من النسوة ما على رأسها و تبعته ، فتركهما[٦] الإفرنج[٧] لما هم أهم ١٠

= و سيدي و كيف أحببك إلى عبادك ؟ فقال : ذكرهم نعمتي عليهم ، و إحساني إليهم . قلت : يا رب هذه رحمتك للأحياء فما الذي أعددت للموتى ؟ فأوحى الله إليه : يا داود لم اكن . . . . (مطموسة) . . . عنهم وهم أحياء يرزقون ، وكيف أنساهم وهم تحت أطباق الثرى و مغيبون ؟ يا داود لوأجاب لأهل القبور في جوابك لأخبروك أن لطفي بهم بعد مماتهم أعظم من لطفي بهم في حياتهم - انتهى .

(١) زيد في بن : و ظفر .

(٢) في بن : الفرنج .

(٣ - ٣) الكلمة مطموسة في بن .

(٤ - ٤) في بن : فأنزلوها. و في بر : « فأنزلتها » موضع « فأنزلها » .

(٥ - ٥) مطموسة في بن .

(٦) في الأصل : فتركتهما .

به منهما[١]، فصادفا[١] مدرسة مفتوحة الباب، دخلاها[٢] وتوصلا إلى ميضتها[٣]، و اختفيا ببيت ماء غلس بها، و كانت المرأة[٤] عليها ملاءة[٤] ملتحفة، فنظر الرجل و إذا عليها ثياب حرير و قلائد ذهب و عنبر و فى يديها أساور الذهب[١]، فراودها عن نفسها فامتنعت بالعفاف[٥] و الصون[٦] و قالت: أنا بنت ٥ بكر لا أعرف الرجال أبدا. [٧]فسألها عن أمرها[٧] فقالت: لبست ما تراه علىّ، و قصدت الهروب به مع النسوة[١] التى رأيتهن قاصدات باب البحر لننجوا من الأسر، فوقعنا فيه بمصادفة الإفرنج[٨] لنا، فلما استأسرونا حملونا ما كنا حاملينه[٩]، و هذا الذى تراه علىّ شوّرنى به أبى، و ليس لأبى غيرى[١٠] و لا لى غيره و لا أدرى أ حى هو أو قتيل أو أسير. قال الرجل: فتعجبت ١٠ من أمرى و أمرها فى الخلاص من الأسر، و أقمنا خائفين بقية يومنا

---

(١) الكلمة مطموسة فى بن.

(٢) فى بن: دحلاها.

(٣) فى بن: ميضاتها.

(٤ - ٤) ساقطة من بر: و واردة فى بن.

(٥) فى بن: بالورع و العفة.

(٦) ساقطة من بن.

(٧ - ٧) فى بن مطموسة.

(٨) فى بن: الفرنج.

(٩) فى بن: حاملينوه.

(١٠) فى بن: عير.

ممن يدخل علينا من الإفرنج ليستأسرونا[١] أيضا . فلما [٢]دخل الليل خرجنا من المدرسة ، و مضينا فى[٢] الظلمة نعثر فى القتلى الى أن خرجنا من باب رشيد ، اذ هو كان مفتوحا قد خرج[٣] المسلمون منه ، و [٢]لم تفهمه[٢] الإفرنج[٤] لبعده عنهم فى الجهة الشرقية من الإسكندرية ، و اشتغالهم بنهب الجهة الغربية[٥] . قال فسرنا حتى أتينا خليجها الذى بظاهرها ، فجلسنا مستأنسين ٥ بمن وجدناه هناك من المسلمين الشاردين ، فقلت[٦] لها : ما [٧]جمع الله بينى و بينك إلا[٧] لأكون زوجك[٨] . فقالت : ان قدر الله ذلك سيكون . فلما أصبح الصباح أبصرت البنت شيخا فنادته[٩] فأتى إليها ورمى[١٠] بنفسه عليها [٢]باكيا فبكت هى[٢] أيضا و قالت : يا أبت الحمد لله الذى جمعك علىّ فلقد احترق قلبى [٢] لفقدك . فسألها [٢] عن أمرها ، فحدثته[١١] خبرها و خبرى ١٠ و أثنت [٢٥٧ : الف] علىّ خيرا ، و قالت : لم يمسسنى سوء ، بل أنا من فضل الله [٢] تعالى كما تحب [٢] و نرضى فى نفسى [١٢]نفسى و مالى[١٢] . فحمد الله

---

(١) فى بن : يستأسرنا . (٢ - ٢) مطموسة فى بن .
(٣) فى الأصلين : خرجت . (٤) فى بن : الفرنج .
(٥) ساقطة من بن . (٦) فى بن : قال فقلت .
(٧ - ٧) فى بن : جمعنى الله عليك .
(٨) زيد فى بن : ان شاء الله تعالى .
(٩) الكلمة مطموسة فى بن .
(١٠) كذا فى بن ، و هى فى بر : رمى - بسقوط واو العطف .
(١١) فى بن : فأخبرته .
(١٢ - ١٢) فى بن : النفس و المال .

تعالى و شكره[1] على جمع شمله بابنته[2] وصيانتها و حفظ ما هو عليها[2] . فنظر عند ذلك أبوها إلىّ[3] و قال: سأزوجك بها إن شاء الله تعالى . قال فأقمنا نهارنا و أنا مسرور بقول أبيها ذلك ، و الناس يموجون من كثرتهم ، فاختلطا بهم فلم أعرف أين أخذا ، فلا أدرى هل اختفيا منى أو لم يعرفا
٥ مكانى ، فتألمت لفراق تلك البنت الجميلة التى طمعت أن تكون [4]لى زوجة حليلة[4] ، فخاب أملى ، و ضاقت[5] حيلتى ، و عيل صبرى ، و تحيرت فى أمرى و [6]قال بلسان حاله[6] ، لعدم[7] احتياله :

شكر الله لأيام[7] الوصال[7] [8]فلقد كان[8] به العيش صفا لى
و رعى الله لياليه التى كن فى جيد الليالى كاللآلى
١٠ إن أوقاتا بوصل قصرت بعد أيام من الهجر طوال
[9]فزوت عنى الغوانى وجهها[9] عن قلًى لا عن[؟] تجن و ملال

---

(١) الكلمة ساقطة من بن .
(٢-٢) فى بن : و الصيانة .
(٣) ساقطة من بر : و واردة فى بن .
(٤ - ٤) فى بن : زوجتى .
(٥) فى بن : و ضاعت .
(٦ - ٦) فى بن : و قلت بلسان حالى .
(٧) مطموسة فى بن [١٩٦ : الف] .
(٨-٨) فى بن : لقد كنت .
(٩-٩) فى بن : فوزت عين الغوانى .

ثم [1]بكى و اشتكى[1] و تقرحت أجفانه بالبكاء، و لسان حاله يقول:

كل من أهوى يفارقني ذاك من شؤمي و من نكد
لو هويت الشمس في بلد حجبت عن ذلك البلد

ثم إنه [2] داوم النواح، . [3]و زال عنه الإنشراح[3]، . من هيامه بها، فصار[2]
مختبل العقل بسببها، فصار[4] يتكلم بالفضول، و لسان حاله يقول: ٥

من المعين على خود بليت بها فبالمعونة تستكفى البليات
حوت فؤادي فلا يفديه من أحد لواحظ وعيون بابليات
إذا الظباء رعت أحوى[5] الحشيش في غزالة قد رعت [6]مني الحشاشات[6]

[7]ثم إنه صار لفقدها ولهان، كثير البكاء و الأحزان. قوله من المعين
على خود[7]، الخود المرأة الحسنة[8] الخلق و الغادة الناعمة و الصيدا[9] المنثنية ١٠
من اللين[9] و الخفرة الحيية، وكذلك الخريدة و العروب المتحببة إلى

(١-١) في بن: بكا و اشتكا.
(٢) الكلمة ساقطة من بن.
(٣-٣) الجملة ساقطة من بن.
(٤) ساقطة من بر و واردة في بن.
(٥) في بن: أحرى.
(٦-٦) مطموسة في بن.
(٧-٧) في بن: و إذ قد ذكرنا الخود فلنذكر ما قيل فيها و في غيرها.
(٨) في بر: الحسن، و صححتها في بن كما أوردنا بالنص.
(٩) مطموسة في بن.

زوجها ، و الغانية صفة تمدح بها المرأة ، و الأصل فى الغانية أنها ذات الزوج ، و حنة الرجل زوجته ، و هى أيضا حليلته[1] و عرسه و ظعينته و بيته[2] و قعيدته و زوجته[3] ، [4]و قد يحمل على المرأة العفيفة و ترمى بقول الزور و ينجيها الله تعالى بكرمه من ألم الشرور .

٥ [حكاية قاض من بنى إسرائيل]

حكى أنه كان فى بنى إسرائيل قاضيا من قضاتهم ، وكانت له زوجة بديعة الجمال ، كثيرة الصون و العفة و الجمال . فأراد القاضى [٢٥٧ : ب] النهوض إلى بيت الله الحرام بسبب الحج . فاستخلف أخاه على القضاء و أوصاه بزوجته . وكان أخوه سمع عنها جمالا فائقا و حسنا بديعا ، ١٠ فكلف بها كلفا عظيما ، فلما سافر أخوه ، وجّه إليها ، و راردها عن

(١) ساقطة من بن .
(٢) مطموسة فى بن .
(٣) زيد فى بن : « قال بعضهم فى التشبيهات :
خلوت بها و الروح ثالثة لنا و جنح ظلام الليل قد مد وانفلج
فتاة عـــد .... الا يقربها فهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج (سرج)
كأنى وهى والكأس والخمر والدجا حياة و تر . . . البر و الشبيج »
و الأبيات أغلبها مطموس و غير واضح فآثرنا تركها بالهامش بعد قراءة ما استطعنا قراءته منها .
(٤) هذا القسم من بر بما فيه حكاية قاضى بنى إسرائيل برمتها ساقط من بن . ويستأنف الكلام فى كليهما ابتداء من «حكاية تشتمل على فراق الأحبة بالأسر و الغربة » .

نفسها

نفسها ، فاستعصمت بالورع ؛ فلما يئس منها ، خاف أن تخبر أخاه بصنيعه
إذا قدم ، فاستدعى شهود زور ، و رفع أمرها إلى ملك ذلك الزمان
بأنها زنت و قد حكمتُ برجمها ، فقال الملك : إن كنت حكمت برجمها
فارجمها ، فحفر لها حفيرة ، و أقعدت فرجمت حتى غطتها الحجارة ، و قال :
تكون الحفيرة قبرها . فلما جُن الليل صارت تئن لشدة ما نالها ، فمر ٥
رجل يريد قرية ، فسمع أنينها ، فقصدها و أخرجها و حملها إلى زوجته
و أمرها بمعاناتها حتى استقلت ، و كان لامرأته ولد فدفعته إليها ، فصارت
تكفله و تبيت بـه في بيت ثان[1]. فرآها أحد اللصوص فطمع فيها .
و راودها عن نفسها ، فامتنعت فعزم على قتلها ، و أهوى بالسكين إليها ،
فوافق الصبي فذبحه ، فلما علم أنه ذبح الصبي أدركه الخوف و خرج من ١٠
البيت ، فأصبحت المرأة و الصبي مذبوح بين يديها ، و جاءت أمه فقالت
لها : أنت ذبحت ولدي ، و ضربتها ضربا وجيعا ، و جاء الرجل فقال
لزوجته : و الله إنها لا تفعل ، و هذا شيء جرى من غيرها . فأذفقذها
منها فخرجت المرأة فارّة بنفسها ، لا تدري أين تذهب ، و لا أين
تتوجه ، و عندها بعض دريهمات مربوطة على وسطها من حين رجمها ، ١٥
فمرت بقرية من القرى ، و الناس يجتمعون ، و رجل مصلوب على جذع
نخلة . فقالت : يا قوم ما خبر هذا المصلوب ؟ فقالوا لها : إنه أصاب
ذنبا لا يكفره إلا قتله أو صدقة كذا و كذا دراهم ، و لم يوجـد له

(١) في الأصل : ثاني .

دراهم . فقالت : يا قوم خذوا منى هذه الدراهم و خلصوه . فأخذوها منها و أطلقوا سبيله ، فتاب على يديها ، فآلى على نفسه أن يخدمها حتى يموت . فابتنى(١) لها صومعة ، و صار يحطب الحطب يبيعه و يأتيها بقوتها ، و ينام تحت صومعتها ، و اجتهدت فى العبادة حتى كانت لا يأتيها
٥ مريض أو مصاب أو ذو عاهة و تدعو له إلا شفاه الله . و كان قد أنزل الله بأخى زوجها القاضى عاهة بوجهه ، و أنزل بالمرأة التى ضربتها برصا ، و امتحن السارق بأن أقعد و صار مُكَسَّحا . و جاء القاضى زوجها من حجه ، فسأل أخاه عن زوجته ، فقال : إنها زنت و رجمت إلى أن ماتت فأسف عليها [٢٥٨ : الف] زوجها ، و احتسبها عند الله تعالى ، و قال :
١٠ عجبت من تلك المرأة العفيفة كيف زنت حتى رجمت ، لا قوة إلا بالله . ثم أنه وجد أخاه كسيحا مقعدا فتألم له . قال و تسامع الناس بخبر تلك المرأة حتى كانوا يأتونها من أطراف البلاد تدعو لهم فيحصل لهم الشفاء . فقال القاضى لأخيه : لو قصدت هذه المرأة الصالحة ، لعل الله أن يجعل لك على يدها فرجا و شفاء . وقال : يا أخى احملنى إليها .
١٥ قال و سمع بها زوج المرأة البرصاء الذى ذبح ولدها ، فحملها زوجها إليها ، و سمع بها السارق الذى ذبح الصغير فصار إليها ، و اجتمع الجميع عند باب صومعتها ، و لا يراها أحد ، و انتظروا خديمها حتى وصل ، فرغبوا إليه بأن يستأذن عليها ففعل ، فتنقّبت و وقفت على باب الصومعة لزوجها و أخيه و اللص و المرأة ، فعرفتهم و هم لا يعرفونها ، فقالت لهم : يا هؤلاء !

(١) فى الأصل : فابتنا .

إنكم لا تستريحون حتى تعترفوا بذنوبكم السالفة ، فان العبد إذا اعترف بذنبه تاب الله عليه ، و أعطاه منه ما قصد فيه . فقال القاضى لأخيه : تب إلى الله و لا تصر على عصيانك . قال : يا أخى الآن أقول الحق فعلت بزوجتك و صنعت . و قالت المرأة : كانت عندى امرأة نسبت إليها ما لا أعلمه فضربتها عمدا و نفيتها تعديا . و قال اللص : دخلت على امرأة ٥ راودتها عن نفسها فامتنعت ، فذبحت صبيا كان بين يديها . ففتحت المرأة عند ذلك صومعتها ، و أبدت إليهم وجهها ، فعرفوها و خضعوا بين يديها ، فقالت : اللهم كما أريتهم ذل المعصية فأرهم عز الطاعة . فشفاهم الله تعالى من مرضهم . فرجع إليها زوجها ، و لزم الجميع خدمتها حتى أتاهم الموت . قال بعضهم : ١٠

أيا نفس للعن الأجل تطلّى ... و كفى عن الدار التى قد تقضّت

لعمرك ما الدنيا بدار أخى حجا ... فتلهو بها عن دار فوز و عزّت

عن الموطن الأسنى عن القرب و اللقا ... عن العيش كل العيش عند الأحبة

فو الله لولا ظلمة الذنب لم يطب ... لك العيش إلا دون مىّ و عزّة

و لم ترتضى إلا الأجيرع مربعا ... و ما دمت معنى دون سلع و رامة ١٥

مواطنك الأولى مرابعك الألى ... تشاغلت عنها بالأمور الخسيسة

مواطن أنس كلما دار ذكرها ... تسامى إلى لقيائها كل همتى

أيا رب هذا منهج الحق قد بدا ... و قد وضحت للنفس سبل الهداية

/ فيا رب بالهادى البشير محمد ... صفيك فى الدارين خير الخليقة [٢٥٨:ب]

أعنّى على نفسى و حبب لقاك لى ... و بغض لى الدنيا و عجل بتوبتى ٢٠

وكن مؤنسى فى وحدتى وملقتى — إذا سأل السؤال يا رب حجتى
وخذ بيدى وارحم من العجز وصفه — ولا تخزنى يا رب يوم الفضيحة
وهبْ لى علما نافعا أهتدى به — إليك واسلك بى سواء الطريقة
وسدد مقالى والفعال وعامى — إلهى فى الدارين من كل محنه
٥ صل وبارك ما تغرد طائر — على خير مبعوث إلى خير أمه

[حكايه تشتمل على فراق الأحبة]

[1]حكاية تشتمل على[1] فراق الأحبة بالأسر والغربة . حكى أن [2]الإفرنج دخلوا[2] دارا بالإسكندريه حين ظفرهم بها ، فوجدوا امرأة بارعة الجمال ، فاختارها كبيرهم لنفسه . وكانت أمها ساكنة بدار تقابل ١٠ دارها ، فلما رأت الإفرنج هجموا دار ابنتها ، [3]خرجت من دارها ودخلت دار ابنتها[3] من[4] حرقتها عليها ، وتوهمت[5] أنهم يقتلونها[6] ولا يحيوها[7] ، فجعلت تقول : اقتلونى ولا تقتلوها . فقال كبيرهم : لسنا نقتلك ولا نقتلها ، بل نحسن لك ولها ، [8]وأنا أنا فقد[8] أحببتها وأريد (ان[9])

(١-١) مطموسة فى بن ، وبهامش بر : حكاية وهنا يستأنف الكلام فى كل من بر و بن .
(٢-٢) العبارة مطموسة فى بن .
(٣-٣) ساقطة من بن .
(٤) فى بن : من .
(٥) فى بن : توهمت .
(٦) فى بر : يقتلوها . والصواب فى بن كما أوردنا بالنص .
(٧) فى بن : يبقوها .
(٨-٨) فى بن : وأتى قد .
(٩) لا وجود لها بالأصلين . وأضفناها لاستقامة الجملة والسياق .

أحملها

أحملها معى تقيم ١ عندى سنة و أردها ١ إليك، و لا أمكن أحدا من نهب دارك و لا دارها إكراما لها. قال لها ذلك، و ابنتها ١ترعد من خوفها منهم و تبتعد عنهم، فتقدم١ الإفرنجى إليها سكن روعتها، و مسح بأنامله٢ عبرتها٣ و قال لها: لا تخافى ١، لا تخزنى١، سوف أردك بالهدايا إلى أمك. ثم قال لأمها: افتحى كفك٤. فعد لها فيه خمسة و عشرين ٥ دينارا استجلابا لقلبها، ٥ لسان الحال يقول:

إن ٥ الهدايا حلوة٥ كالسحر تجتذب القلوبا

تدنى البعيد من الهوى حتى تصيره قريبـــا

و لسان الحال أيضا يقول:

١هدايا الناس١ بعضهم لبعض يولد فى صدورهم الوصالا ١٠

و يزرع فى القلوب هوى و ودا و يكسوهم إذا حضروا جمالا

ثم قال٦: ١ لا تخشى عليها. و حلف بدينه١ أنه يرسلها إليها. قالت٧:

(١-١) مطموسة فى بن.

(٢) فى بن: بيده.

(٣) فى بن: دمعتها.

(٤) فى بن: يدك.

(٥-٥) فى بن: الهدية حلوة.

(٦) زيد فى بن: الفرنجى لأمها.

(٧) فى بن: فقالت له إذا.

فاذا أخذت مى[١] ابنتى ، ما [٢]تكون حيلتى إذا نهبونى أصحابكم ، و قتلونى بعد رواحكم[٢] ، فدفع[٣] لها شنيارا يعرف به و قال : اجعليه[٤] فى رأس قنطارية[٥] . [٢٥٩ : الف] [٦]و أظهرى الشنيار[٦] من طاق دارك ، تأمنى به ممن يقصد شارعك جميعه . فأخذت منه ذلك الشنيار ، و فى قلبها[٣]
٥ من فراق ابنتها لهب النار . ثم إنها ودعت ابنتها و تباكيا ، و لسان الحال[٧] يقول :

النوى قد أضرمت　　جمرة فى أضلعى
فترانى بعدهم　　مستهاما لا أعى
مقلتى سحى دما　　بعد فيض الأدمعى
١٠ كيف آوى بعدهم　　فى ديار بلقعى
ياليالينا ارجعى　　ثم عودى و ارجعى

---

(١) ساقطة من بن .
(٢—٢) فى بن : و ذهبت حاه غيرك من الفرنج بعدك نهبنى و قتلو(ونى) .
(٣) الكلمة مطموسة فى بن .
(٤) فى بن : ضعيه .
(٥) فى بن : رمح .
(٦—٦) فى بن : و أظهريه .
(٧) فى بن : حالها .

و اجمعي[1] شملي على شمل أحبابي معي

[2] ثم أن البنت صارت حين مضيها معهم[2] تلتفت إلى أمها ، و تتأوه من همها و غمها ، و لسان حالها يقول :

و [3] سائلي بمزعجي عن[3] وطني ما ضاق بي جانبه و لا نبا

قلت القضا ما لك أمر الفتى من حيث لا يدري و من حيث درى ٥

لا بد ما يلقى امرء ما خطّه ذو العرش مما هو لاق و وحا

ثم أن أمها[4] لزمت [3] الدار ، و أظهرت[3] من الطاق[5] الشنيار ، فأمنت هي و جيرانها[6] من معرة الكفار . فلما أمن[7] المسلمون بوصول[8] النجدة من مصر ، و تحصنت الإفرنج[9] بمراكبها في البحر ، أتى زوج ابنتها فلم يجدها بداره ، [10] و التهب بلهيب ناره[10] ، فسأل أمها عنها ، فأخبرته بما ١٠ جرى ، فانطرد عن جفنه الكرى ، و صار يضرب على صدره[11] بيديه ،

(١) في بن : فاجمعي .
(٢ - ٢) في بن : سارت معهم و هي .
(٣-٣) مطموسة في بن .
(٤) في بن [١٩٦ : ب] أم الصبية .
(٥) في بن : كوة دارها .
(٦) في بن : و أهل شارعها .
(٧) في الأصلين : أمنت .
(٨) الكلمة مطموسة في بن .
(٩) في بن : الفرنج .
(١٠ - ١٠) ساقطة من بر و واردة في بن .
(١١) في بن : وجهه و صدره .

و دمعه [1]سائل على خديه[1] ، و لسان حاله يقول :

تقطعت الأوصال بالهجر و البين و سحت سحاب الدمع من أبحر العين
و ذاب الحشى من لوعة البعد والنوى و صاح غراب البين بالهجر و البين
ألا يا عـــذولى[2] كم تلوم متيما رماه الجفا و الوجد حقا بسهمين
٥ أيسلوهم من أنحل الحب جسمه يود بأن يسعى إليهم على العين
و يبذل ثم الروح فى حضرة اللقا يوفى نذورا ، النذور[3] من الدين

ثم إنه[4] هام بوحده ، و غاب[4] عن رشده . و لسان حاله يقول :

زاد الغرام[4] و هاج الشوق من[4] حرق فالقلب فى لهف[4] و الجفن فى أرق
و لؤلؤ الدمع فوق الخد منتثر شبه العقيق بدا من أبحر الحدق
١٠ و صارم الهجر فى الأكباد قطعها و البين يرمى[4] بسهم منه مرتشق
ركبت بحر الهوى غرا فصادفنى عواصف الريح[4] أشرفنا على الغرق

[حكاية العجوز النصرانية]

حكاية تشتمل[4] على نهب مال و عدم أسر و قتل[4] . حكى[5] أن[4] عجوزة نصرانية [٢٥٩:ب] كسيحة غنية تعرف[6] ببنت القسيس[6] جرجس بن فضايل تسكن
١٥ دارا حسنة[4] البنيان، عالية الأركان، مجاورة لكنيسة موضع يعرف بالإسكندرية

(١-١) فى بن : جار من مقلتيه على خديه .
(٢) فى بن : يا عاذولى .
(٣) فى بن : و النذر .
(٤) الكلمة مطموسة فى بن .
(٥) بهامش بر : حكاية .
(٦-٦) مطموسة فى بن .

بقلزى[١] . فكسرت الإفرنج[٢] حين ظفرهم بها بابها[٣] ، و دخل لها عشرون[٤]
علجا على كواهلهم القسى الموتورة[٥] ، و بأيديهم السيوف المشهورة ، فلما
رأتهم جوار النصرانية و وصفانها فروا [٦]هربا منهم[٦] إلى سطوح الدار ،
و لتلك[٧] الدار أبواب [٨]مجالسها منقوشة ، و أصحنها بأنواع الرخام مفروشة[٨] .
فرأوا العجوز جالسة مستقبلة الشرق . فقالوا لها : من تكونى ؟ قالت : ٥
عجوز [٨]نصرانية ذمية مقعدة[٨] . [٩]ثم أنها صلبت[٩] على وجهها باصبعها .
فعلموا أنها صادقة [١٠]فيما قالت[١٠] ، ثم قالوا لها : أين الذهب و الفضة ؟

(١) انظر مجلة آثار الإسكندرية عدد ٣٤ ص ٧٣ فى تعريب الكلمة اليونانية Ekkiysia = εkkλyσia بمعنى كنيسة و قد ورد فى « نهاية الأرب » للنويرى (ج ١ ص ٣٨٢) : و من المبانى القديمة القليس و هى كنيسة كانت باليمن ، بناها أبرهة بن الصباح ملك اليمن بصنعاء .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) فى بن : باب دارها .

(٤) فى بر : عشرين و فى بن : العشر .

(٥) فى بن : الموترة .

(٦ – ٦) فى بن : هاربين .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : تلك .

(٨ – ٨) مطموسة فى بن .

(٩ – ٩) فى بن : و صلبت .

(١٠ – ١٠) فى بن : فى قولها .

فقالت : ١في هذا١ الصندوق الذى ترونه . و رمت لهم مفتاحه٢ ، قالت٣
فوضعوا قسيهم إلى جانب حائط المجلس و فتحوا الصندوق أخذوا ما فيه
من ذهب و فضة و قماش ، ثم قالوا : و أين٤ بقية٥ المال أيضا؟ فقالت :
ليس عندى سوى٦ ما أخذتموه ، و صرت لأخذكم ٧له فقيرة٧ من فقراء
٥ النصارى . قالوا٨ : و مثل هذه الدار لك و تكونى فقيرة؟ قالت٩ : هى
حبس على هذه الكنيسة المجاورة لها ، و لا يحل لى أن أرجع ١٠فيما حبسته١
و لا أبيعها بسبب فقرى خوفا من غضب المسيح على . فحينئذ ١نظر بعضهم
إلى بعض و تركوها وخرجوا١ من الدار بما أخذوه و لم١٠ يأسروا أحدا ممن١١
عاينوه من جواريها و وصفانها ١٢الذين صعدوا هربا منهم١٢ .

(١ - ١) مطموسة فى بن .
(٢) فى بن : مفاتحه .
(٣) ساقطة من بن .
(٤) فى بن : اين .
(٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٦) فى بن : غير .
(٧ - ٧) فى بن : فقير .
(٨) فى بن : فقالوا .
(٩) فى بن : فقالت .
(١٠) فى بن : و لا .
(١١) فى الأصلين : مما .
(١٢ - ١٢) فى بن : الذين هربوا إلى السطح .

[حكاية تشتمل على غنى بعد فقر]

حكاية[1] تشتمل على غنى بعد فقر ، و خلاص بعد أسر . حكى أن الإفرنج لما ظفروا بالإسكندرية ، دخلوا إلى دار وجدوا بها امرأة لم يكن عندها شيء يرضيهم أخذه ، وكان معهم شيء من النهب فوضعوه فى دارها ، و خرجوا ينهبون[2] دور جيرانها ، وكل ما تحصل[3] لهم شيء[4] ٥ أتوا به إليها[4] ، فجعلوها كالحارسة لهم ، و قد انطبعت معهم بالكلام و المساعدة فى تناولها منهم ، و فى شيل هذا و حط هذا ، كأنها تنصحهم ، فركنوا إليها لبشاشتها لهم[5] ، و قولها لهم : إنى [6]محبة لكم و خذونى[6] معكم انشرح فى بلادكم ، وإن فى ديار الإسكندرية المال الكثير[7] ، و الخير الغزير[8] ، فاجمعوا [9]و أتوا به و احملونى[9] معكم ، [10]أصير جارية لكم[10] ، ١٠ و حارسة لأمتعتكم . فخرجوا من عندها طامعين فى مقالتها . ففتشت المرأة

(١) بهامش بر : حكاية .
(٢) فى الأصلين : ينهبوا .
(٣) فى بن : حصل .
(٤) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .
(٥) ساقطة من بن .
(٦ – ٦) فى بن : محبتكم لخذونى .
(٧) فى بن : الكبير .
(٨) فى بن : الكثير .
(٩ – ٩) مطموسة فى بن .
(١٠ – ١٠) فى بن [١٩٧ : الف] : وأصير لكم جارية .

النهب بعد خروجهم ، فوجدت خريطتين مملوءتين مالا ، فحملتها و نزلت بها من مكان بأعلا دارها إلى خربة بجوارها اختفت بها فلم[1] [٢٦٠: الف] تزل [2]مقيمة بتلك الخربة[2] إلى أن أمنت [3]على نفسها بدخول المسلمين[3] البلد ، فزال عنها بعد ذلك النكد ، و رجعت بما معها إلى دارها ، فصار لها[4] بذلك المال[5] أحسن حال ، و أنعم بال ، فكانت مكيدتها[6] ، [7]بسبب حسن مخاطبتها ، وكانت حراستها سبب سعادتها ، وكانت حيلتها بمكرها و هربها سببا لعدم أسرها[7] .

[حكاية حرجة مؤلمة مزعجة]

حكاية[8] حرجة[4] مؤلمة مزعجة . حكى أن نسوة اجتمعن بدار و معهن رجلان[9] حين ظفر الإفرنج[10] بالإسكندرية . وكان رجل له زوجة بتلك الدار[11] . فأتى إليها يخرجها معه من باب البر ، فرأى الإفرنج[10] حالوا

(١) فى بن : و لم .
(٢ – ٢) فى بن : مختفية بها .
(٣ – ٣) فى بن : الناس بدخولهم .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) زيد فى بن : فى .
(٦) عن بن ، و الكلمة فى بر : ملأتها .
(٧ – ٧) فى بن : و حراستها سبب سعادتها .
(٨) بهامش بر : حكاية .
(٩) فى الأصلين : رجلين .
(١٠) فى بن : الفرنج .
(١١) فى بن : النسوة

بينه و بين الدار، فنجا بنفسه هربا[١] منهم. فلما اطمأنت الناس، عاد إلى الدار [٢]فلم يجد فيها غير[٢] زوجته مطروحة[٣] وهي[٣] عريانة مجروحة وشمّ بالدار رائحة كرهة، فستر زوجته ببعض ثيابه وسألها عن حالها و حال [٢]الرجلين و النسوة فأشارت إلى جهة بالدار، فمشى و نظر فاذا [٤]الرجلان قتيلان[٤] و رأس امرأة مطروحة و جثتها كذلك، و قد علت[٢] رائحة تلك الجيف و انتفخت ٥ و أزرقت، فعاد إليها و قال: اخبريني ما اتفق لكم. فقالت: دخلت لنا[٥] الإفرنج[٦] بأيديهم السيوف المسلولة، فأتى أحدهم إلى[٣] فلانة مسك يدها، فنثرت[٧] يدها منه و قالت: ما أوحش وجهك، فرمى رأسها سريعا بسيفه لغيظه من كلامها له [٨]و احتقارها إياه[٨]، فوقع رأسها بحجر فلانة، و رمت بقية الإفرنج رأس الرجلين[٦]، فارتعبن[٩] النسوة مما شاهدن و رأين، ١٠ و أخذونا[٦] سبايا بعد أن ربطوا كم الواحدة بكم الأخرى، و استاقونا [٢] بين أيديهم. فدخلوا بنا[٢] دار الصناعة، فقتلوا رأس بقر هناك، [٢]و بضعوا لحمها[٢]،

---

(١) في بن: هاربا.
(٢ – ٢) مطموسة في بن.
(٣) ساقطة من بن.
(٤ – ٤) في الأصلين: الرجلين قتيلين.
(٥) في بن: علينا.
(٦) مطموسة في بن.
(٧) في بن: فنتشت.
(٨ – ٨) ساقطة من بن.
(٩) في بن: فارتعب.

و أتونا بقدر ، فسلقنا لهم من لحمها . فأكلوا و رجعوا إلى البلد ينهبون[1] ، فبينما نحن جلوس و إذا بطائفة أخرى أتوا إلينا ، فأخذ كل واحد امرأة منا ، و أخذني[2] منهم آخر[2] . و صاروا يستحثونا في المشى يريدون[3] المراكب ، فتضجرت من عنفه لى بسرعة المشى ، وكان قد شق بى ٥ بين قتلى المسلمين ، فلما رآنى ولولت و تسخطت حنق[4] على و ضربنى بسيفه جرحنى ، فوقعت [5]على وجهى[5] بين القتلى ، فعرانى مما[6] كان على و تركنى و مضى ، [7]و صرت أنظر إلى الإفرنج[7] يمرون على[8] و يرجعون[9] ، [5]فلم أزل على تلك الحالة إلى أن رأيت طائفة من[5] المسلمين يمرون متعجبين من قتلى المسلمين ، و إذا بدوى على فرس ، فصحت[10] [٢٦٠ : ب] به ١٠ صياحا خفيا ، فشعر بى ، فتقدم إلى وكلمنى فكلمته ، فنزل عن فرسه و لفنى بكساه ، و استوصف [5]منى دارى[5] فوصفتها له ، فأردفنى خلفه و سار بى إلى هنا ، فأنزلنى و أخذ منى الكساء و مضى إلى حال سبيله، و ها أنا

(١) فى الأصلين : ينهبوا .
(٢ – ٢) فى بن : واحد منهم .
(٣) فى الأصلين : يريدوا . و زيد فى بن : بنا .
(٤) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : حنف .
(٥ – ٥) مطموسة فى بن .
(٦) فى بن : ما .
(٧ – ٧) فى بن : فصارت الفرنج .
(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٩) ساقطة من بن .
(١٠) مطموسة فى بن .

كما ترانى . فتعجب زوجها مما اتفق لها و لاطفها ، فأقامت أياما يسيرة ، و انتقلت بالوفاة إلى رحمة الله تعالى .

[حكاية تشتمل على فرج بعد أسر]

حكاية[1] تشتمل على فرج بعد أسر ، و فقر بعد غنى ، و ضلالة بعد هدى . [2]قال الشيخ[2] أبو الحسن الشاذلى : المؤمن فى الدنيا[3] أسير ٥ و لا فكاك للأسير إلا باحدى ثلاث . إما بالحيلة ، وإما بالعناية . و إما [2]بالفدية مأخوذ من[2] قول رسول الله صلى الله عليه و سلم : الدنيا سجن المؤمن و شأن المسجون التحديق بعينيه ، و الأصغا بأذنيه ، ليعمل الحيلة فى فكاك نفسه منها .

حكى أن امرأة من أسارى الإسكندرية أخبرت عن نفسها أن ١٠ الإفرنج[4] استأسرتها حين ظفرهم بالإسكندرية ، فلما كانت ليلة الأحد ثانى ليلة الوقعة ، اجتمعت جماعة من الإفرنج[4] فى مغارة بالجزيرة ظاهر باب البحر معهم النسوة الأسارى ، قالت فكنت من جملة تلك النسوة ، فأتوا بدجاج وأمروا النسوة [5]بطبخها فطبختها[5] و أكلوا هم و هن[6] منها ، و أحضروا

---

(١) بهامش بر : حكاية .
(٢ – ٢) مطموسة فى بن .
(٣) مطموسة فى بن .
(٤) فى بن : الفرنج .
(٥ – ٥) فى بن : بسلقها فسلقتها .
(٦) فى بن : و نحن .

الخمر فشربوا ، و عبثوا بالنسوة ، و رقدوا سكارى[1] تعابا ، قالت المرأة : وكنت أتذكر[2] حيلة أعملها لأتخلص من الأسر ، فعاينت هناك قفة[3] فرزتها فوجدتها ثقيلة ، فحملتها ثم تخطيتهم و خرجت من المغارة ، وكانت الشموع بها مركوزة تقد . قالت : فلما صرت خارجها رأيتها ليلة مظلمة

٥ مدلهمة ، فاخترقت الجزيرة فى تلك الليلة المطيرة و أنا خائفة [4]من أن يدركنى[4] منهم أحد ، فطلبت باب البحر ، فصرت اعثر فى جثث القتلى إلى أن صرت داخل الإسكندرية ، [4]فلم أزل[4] ماشية بشوارعها إلى أن أتيت دارى ، فلم أجد فيها شيئا مما كان بها ، فجلست فى أحد أركانها إلى قريب الفجر ، فخفت أن يأتى أحد من الإفرنج[5] يستأسرنى ثانيا ،

١٠ ففتحت القفة و جسيت ما فيها ، و إذا[6] هى دراهم فى خريطة كبيرة ، فحفرت و دفنتها ، و خرجت أنظر مكانا خربا أختفى به ، فوجدت فرنا قد كسر بابه ، فدخلته و قصدت بيت النار ، فوجدته باردا وغطاؤه عليه ، فزحزحت[7] الغطاء و دخلته و سددته بغطائه كما كان ، فلم أزل مقيمة به إلى أن سمعت صوت[8] المؤذنين يؤذنون ، فعلمت أن أهل الإسكندرية رجعوا[9] إليها ،

---

(١) فى بن : سكارا .

(٢) فى بن : مفكرة فى .

(٣) مطموسة فى بن .

(٤ - ٤) مطموسة فى بن .

(٥) فى بن : الفرنج .

(٦) فى بن [١٩٧ : ب] : فاذا .

(٧) فى بن : فزحفت .

(٨) فى بن : أصوات .

(٩) فى بن : عادوا .

فخرجت

فخرجت مسودة الثياب [٢٦١ : الف] جائعة الكبد ، فتمشيت إلى أن أتيت داري لآخذ من تلك الدراهم المدفونة شيئا[1] أشتري به ما اتبلغ به [2] فوجدتها محفرة[2] الأرض ، و لم أجد الخريطة ، فحمدت الله تعالى وشكرته على السلامة من الأسر و الاسترقاق و البعد عن [3] ديار الكفر[3] و الإقامة بدار الإسلام ، و قلت الذي خلصني[4] من الأسر لم يضيعني ، فوقع في ٥
أهل البلد الوباء من رائحة[5] تغير الهواء[6] و رائحة[7] جيف القتلى و فراغ [8] الآجال ، فصار[8] يموت في كل يوم[5] ما يزيد على المائة نفر[9] ، فصرت غاسلة أغسل النسوان ، فحصل لي بذلك من المال ما [8] استغنيت به[8] عن ذل السؤال .

[حكاية المرأة المرتدة] ١٠

قال المؤلف [10] عفى الله عنه و غفرله[10] : أخبرني الشيخ أبو عبدالله[4]

---

(١) في بر : شيء . و هي مطموسة في بن .
(٢ - ٢) في بن : فوجدت الأرض قد حفرت .
(٣ - ٣) في بن : ارض الكفرة .
(٤) مطموسة في بن .
(٥) ساقطة من بر .
(٦) في بر : الهوى . و في بن : الهوا .
(٧) في بن : برائحة .
(٨-٨) مطموسة في بن .
(٩) في بن : نفس .
(١٠ - ١٠) في بن : رحمه الله تعالى .

ابن يوسف البغدادى معلم دار الطراز بالإسكندرية قال : قدم[1] كتاب من قبرس عند قدوم رسل القبرسى إلى الإسكندرية مع بعض الأسارى اللذين[2] أرسلهم صاحب قبرس [3]بسبب الصلح[3] أرسلته امرأة من أسارى الإسكندرية [4]وهى تقول لأمها فيه[4] «إنى مقيمة بقبرس و أن المصاغ الفلانى دفنته
٥ فى المكان الفلانى من الدار ، فاحفرى عليه و انتفعى به ، و لا تطمعى برجوعى [5]إلى الإسكندرية أبدا[5] ، فانى وجدت راحتى بهـا » . ففرحت أمها بوجود المصاغ الذى كانت تيقنت أنه أخذ [6] كما أخذت[6] ابنتهـا [7]لتسد به[7] فقرها و جوعتها ، و حزنت[8] على ترك ابنتها لدين[9] الإسلام و دخولها فى دين الكفرة اللئام[10] . و عدم رجوعها إلى الإسكندرية مع
١٠ الأسارى ، و رضيت لنفسها الإقامة[11] بين النصارى ، فصارت[12] باكية

(١) فى بن : ورد
(٢) فى الأصلين : الذى .
(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٤-٤) فى بن : لأمها و هى تقول .
(٥-٥) مطموسة فى بن .
(٦-٦) فى بن : مع .
(٧-٧) فى بن : سدت بثمنه .
(٨) فى بن : و جزعت .
(٩) فى بن : دين .
(١٠) فى بن : الطغام .
(١١) فى بن : بالإقامة .
(١٢) فى بن : فسارت .

العين ، حزينة القلب على فراق ابنتها وكفرها بغربتها[١] .

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب ارسال القبرسى تلك الأسارى إلى الإسكندرية إن شاء الله تعالى . فانظر رحمك الله إلى المرأة الأولى كيف سعت فى خلاص نفسها من النصارى الذين كانوا بالمغارة [٢] و خروجها منها هربا منهم بسعيها فى ظلام[٢] الليل الممطر ، و تغريرها ٥ بنفسها ممن يلحقها منهم يقتلها ، و دوسها فى القتلى ، [٢] و إخفائها نفسها[٢] فى فرن قد[٣] تضمخت بسواده[٤] حتى نجت من الكفرة الطغاة[٥] لتصير باقية على دين الإسلام . و انظر إلى المرأة الثانية كيف رغبت فى دين الكفرة[٦] و معاشرة الفجرة[٧] ، و اختارتهم على دينها و أمها و وطنها لغرضها الفاسد ، و لعبها الزائد ، و إرادتها الفجور ، و شرب[٨] الخمور ، و سماع حس[٩] ١٠ الناى و الطنبور ، و ركونها إلى النصارى ، و عدم رجوعها [٢٦١ : ب]

---

(١) فى بن : فى غربتها .

(٢ - ٢) مطموسة فى بن .

(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) كذا فى بن ، و هى فى بر : بسوادها .

(٥) فى بن : اللئام .

(٦) فى بن : الكفار .

(٧) فى بن : أشرار الفجار .

(٨) فى بن : مع شرب .

(٩) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : حسن .

مع الأسارى ، فصارت مرتدة ضالة بين الأنام . نعوذ بالله من الضلال و الآثام ، [١]و نسأله الوفاة على الإسلام[١] ، و ما جاء به نبينا محمد عليه أفضل الصلاة و السلام .

[حكاية المرأة المهتدية]

و سأذكر هنا [٢]ضد حكاية هذه المرأة المرتدة إن[٣] شاء الله تعالى[٣] . قال سيدى[٤] إبراهيم الخواص : طالبتى نفسى فى وقت من الأوقات بالخروج إلى بلاد الإفرنج[٥] فخوفت نفسى فلم تكف ، وعملت على [٦] القاء الخاطر[٦] فلم تنتف[٧] ، فخرجت اخترق[٨] ديارها ، وأجول أقطارها ، و العناية تكنفنى ، و الرعاية ١٠ تلحفنى ، لا ألقى نصرانيا إلا أغض ناظره عنى ، وتباعد منى إلى أن أتيت مدينة من مدنهم . فاذا عند باب المدينة رجال معهم الأسلحة و المقامع ، فلما رأونى قاموا إلى و قالوا : أطبيب أنت ؟ قلت ما تريدون ؟ قالوا[٩] . ابنة الملك ضعيفة تداويها . فقالوا[١٠] عرفوه الشرط قبل أن تحملوه إليها . فقلت : و ما

(١ – ١) واردة فى بن و ساقطة من بر .
(٢) ساقطة من بن .
(٣ – ٣) الجملة ساقطة من بن .
(٤) كذا فى بن ، و هى فى بر : سيد الخواص .
(٥) فى بن : العلوج .
(٦ – ٦) مطموسة فى بن .
(٧) فى بن : تنته .
(٨) مطموسة فى بن .
(٩) كذا فى بن [١٨٩ : الف] ، و فى بر : قال .
(١٠) فى بن : فقال بعضهم .

هو الشرط ؟ فقالوا : قد أصابها اعتلال شديد ، و قد أعيى[1] الأطباء علاجها ، و ما من طبيب دخل عليها و عالجها فلم يفد علاجه إلا قتله الملك ، فانظر لنفسك . ثم إنهم حملونى إليها و قرعوا الباب التى هى داخله ، فاذا هى تنادى : ادخلوا بالطبيب . ففتح الباب ، فاذا بيت مبسوط بالرياحين ، و إذا ستر مضروب فى زاوية البيت ، و من خلفه أنين[2] ضعيف ، يخرج ٥ من هيكل نحيف . قال : فقعدت بازاء الستر ، و أردت أن أسلم فذكرت قول النبى صلى الله عليه و سلم « لا تبدءوا[2] اليهود و النصارى بالسلام ، و إذا لقيتموهم فى طريق[3] فاضطروهم إلى ضيق » فأمسكت عن السلام ، فنادت من داخل الستر : أين سلام التودد و الإخلاص ، يا إبراهيم الخواص . فعجبت من ذلك و قلت : من[2] أين عرفتنى ؟ فقالت : إذا ١٠ صفت القلوب و الخواطر ، أعربت الألسن عن مخبيات الضمائر . سألت[2] البارحة رب العزة أن يقيض [4]لى وليا من أوليائه[4]، يكون لى على يديه الخلاص ، فنوديت إنا[2] سنرسل إليك إبراهيم الخواص . فقلت : ما خبرك[2]؟ فقالت : إن لى أربع سنين قد لاح لى الحق المبين ، فهو المحدث و الأنيس و المقرب و الجليس ، فظن بى أهلى الظنون ، و نسبونى إلى الجنون ، فما ١٥ دخل على منهم طبيب إلا أوحشنى ، و لا زائر[5] إلا أدهشنى . قال : فبينما

(١) فى الأصلين : أعيا .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) فى بن : الطريق .

(٤-٤) الجملة مطموسة فى بن .

(٥) فى الأصلين : زائرا .

أنا[1] أكلها، إذا دخل شيخ قسيس موكل بها قد دخـــل عليها . فقال : ما فعل طبيبك ؟ فقالت[2] : عرف [3]العلة و أصاب الدواء[3]. فظهر عليه[4] السرور، و قابله [5] بالخطاب المبرور[5]، و مشى[6] إلى الملك و أخبره[7] فأمره باكرامى، [3] فبقيت أختلف إليها [٢٦٢ : الف] سبعة أيام . فقالت[3]:

٥ يا أبا إسحاق[8] الهجرة إلى دار السلام، لأستريح من رؤية الكفار الطغام[9]، فقلت : و كيف يكون خروجك[10]، و من يتجاسر عليه ؟ فقالت : الذى أدخلك عليّ، و ساقك إليّ. فقلت: نعم. فلما كان من الغد، خرجت أنا و إياها على باب المدينة، فحجب عنا محجب العيون، من إذ أراد أن يقول للشيء كن فيكون . فما رأيت أصبر منها على الصيام، ولا أدوم على القيام،

١٠ و جاورت بيت[10] الله الحرام، سبعة أعوام، ثم قضت نحبها، وكان بمكة قبرها. فانظر إلى هذه المرأة من تلك المرأة الأسيرة [11]المسلمة التى أقامت بقبرس[11]

---

(١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بن : قالت .

(٣-٣) الجملة مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : على القسيس .

(٥-٥) كذا فى بن، و فى بر : بالبرور .

(٦) فى بن : و مضى .

(٧) فى بن : فأخبره .

(٨) فى بن : يا ابراهيم .

(٩) كذا فى بن، و فى بر : الطغاة .

(١٠) ساقطة من بن .

(١١-١١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

كيف تخلت عن دين الإسلام، و اختارت دين الكفار الطغاة١،
و إلى هذه المرأة كيف٢ رغبت فى الدين القويم، و اهتدت إلى الصراط
المستقيم٣: "من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا٤".

(١) فى بن: اللام (اللئام!).
(٢) فى بن: التى.
(٣) مطموسة فى بن.
(٤) قرآن كريم ١٨: ١٦ ـ كذا فى بر، و الآية فى بن: «انك لا تهدى من احببت و لكن الله يهدى من يشاء» و هى من سورة القصص ٢٨: ٥٦. و ريد هنا على بن ما يلى [١٩٨: الف ـ ب]:

روى أن عيسى عليه السلام مرّ برجل عند قبر و كان يراه كلما مر به جالسا فقال: يا عبد الله أراك تكثر الجلوس بهذا القبر. قال: يا روح الله هو قبر امرأتى كان من جمالها و موافقتها لى كيت و كيت و لى عندها وديعة. قال: أتحب أن يحييها الله تعالى؟ قال: نعم، فصلى ركعتين و دعا الله تعالى، فاذا رجل أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق، فقال له: من أنت؟ قال: يرسول الله أنا فى عذاب مقدار أربعمائة سنة، فلما كان فى هذه الساعة قيل لى: أجب فأجبت ثم قال قد مر على من أليم العذاب ما .... (مطموس) .. الله تعالى أعطيه عهدا أن لا أعصيه فادع الله تعالى لى. فرق له عيسى و دعا له، ثم قال له: امضى. فمضى. قال صاحب قبر المرأة: يرسول الله قد غلطت بالقبر، و أنما قبرها هذا. فدعا عيسى ربه فخرجت .... (مطموس) .... جميلة، فقال: هذه امرأتى، فأخذ بيدها حتى انتهى إلى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه فى حجرها، فمر بها ابن الملك فنظر إليها و نظرت إليه فأعجبها وأعجبته، فوضعت رأس زوجها =

[حكاية مروءة مع تغرير بالنفس]

حكاية تشتمل على مروءة مع تغرير بالنفس. أخبرني بعض المشايخ قال[1]: لما دخلت الإفرنج الإسكندرية حين ظفرهم بها، قفلت[2] داري، و خرجت من باب السدرة بعيالي، و ذلك قبل تمكنهم من البلد، ففكرت في نفسي، و قلت[3] من المصلحة رجوعي إلى الدار أحرسها[4]، فإن كان [5]بقي في أجلي[5] فسحة[1] سلمت و سلمت الدار من النهب، و إن فرغ أجلي مت شهيدا[1] سعيدا، قال فرجعت أنا و صهري أوثقنا الباب من داخله بالأقفال، و أركزنا خشبة خلفه، و نقلنا حجارة ضخمة[1] ركزناها وراءه، و صعدنا[1] إلى سطح الدار، نقضنا[6] من ستائره[1] حجارة صارت[1]

—— على حجر و تبعته، فأستيقظ زوجها، فقدم و طلبها فرآها فتنازع هو وابن الملك فيها، فبينما هو كذلك طلع عيسى فقص عليه القصة، فقالت: أنا جارية هذا الفتى، تعني ابن الملك، و لا أعرف هذا، تعني زوجها. فقال عيسى لزوجها: رد علينا ما أعطيناك. قال: قد فعلت. فسقطت المرأة ميتة. فقال عيسى: هل رأيتم رجلا أماته الله تعالى كافرا ثم بعثه فآمن و امرأة أماتها الله تعالى مؤمنة ثم أحياها فكفرت.

(١) مطموسة في بن.

(٢) في بن: فغلقت.

(٣) في بن: فقلت.

(٤) في بن: لأحرسها.

(٥ - ٥) في بن: في الأجل.

(٦) في بن: و اتخذنا.

عدة نرمى بها من يأتينا منهم[١] ، فبينما نحن كذلك ، و [٢]إذا بالإفرنج[٢]
قصدوا باب الدار و هو[٣] فى زقاق [١]غـــير نافذ[١] ، فرميناهم من طاقتين
[٤]بالحجاره على أعلى[٥] بابها[٤] ، فتركونا و مضوا من تتابع الحجارة عليهم.
ثم عاودونا فعاودنا الرمى عليهم فمضوا آيسين منا بعد أن صاروا ينظرون[٦]
هل يجدون[٧] [٨] مسلقا يتسلقون[٨] منه إلينا ، فلم يجدوا مكانا لعلو الدار . ٥
قال[٩] : فـكان رجوعنا إلى الدار سببا لسلامتها من الإفرنج[١٠] و العرب
النهّابة التى تنهب[١١] من الديار ، ما فضل عن الـكفار ، و سلم[١] بسببنا من[١]
كان حولنا من[١] الحار[١٢] ، و رجعت العيال إلينا سالمين ، فصرنا لربنا

---

(١) الكلمة مطموسة فى بن .

(٢ - ٢) العبارة مطوسة فى بن .

(٣) فى بن : و هى .

(٤ - ٤) فى بن : على بابها بالحجارة .

(٥) فى الأصل : أعلا .

(٦) فى بر : ينظروا ، و فى بن : يتأملوا .

(٧) فى الأصلين : يجدوا .

(٨ - ٨) فى بن : مسلكا يتوصلون .

(٩) ساقطة من بن .

(١٠) فى بن : الفرنج .

(١١) فى بن : نهبت .

(١٢) فى بن الجيران .

حامدين وشاكرين[١]، فلو أن أهل الإسكندرية أقاموا بديارهم، و رموا

على[٢] الإفرنج بحجارهم، كما فعل الشيخ و صهره، وكما فعل ابن نخالة المتقدم

ذكره بشارع المحجة، ما كانت الإفرنج[٣] تصل منها إلى [٤]بيضة عجة[٤]،

و كان قـد[٥] سلم من الأسر النساء و الرجال، و الاماء[٢] و الأطفال،

٥ إذ كانت عدة[٦] [٢٦٢: ب] الإفرنج[٣] على ما قيل ستة عشر ألفا[٧]، و أهل

الإسكندرية نحو مائة ألف، و الكثرة بعون الله تعالى تغلب القلة[٨]. وكما[٢]

قال الشاعر:

لا تقابل بواحد أهل بيت فضعيفان [٩]يغلبـان قويا[٩]

لكن أهل الإسكندرية لم يتقدم لهم قبل ذلك الوقت مع الإفرنج قضية،

١٠ بل كانوا مدة [١٠]طويلة هم و آباؤهم[١٠] فى عافية، فلما رأوا ما حل بهـم

---

(١) فى بن: شاكرين.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) فى بن الفرنج.

(٤ - ٤) فى بن: شىء.

(٥) ساقطة من بر، و واردة فى بن.

(٦) فى ب: هذه.

(٧) فى الأصل: ألف. و فى بن: ألف نفس.

(٨) فى بن: القوة.

(٩-٩) مطموسة فى بن.

(١٠ - ١٠) فى بن: سنين كثيرة.

من الداهية [1] ، [2] فزعوا فتركوا [2] ديارهم مقفولة ، حين [3] رأوا سيوفهم [4] مسلولة ، و شرد كل أحد من البلد فازع ، و عقله من الخوف جازع ، فخرجوا من الابواب شاردين ، و إلى البر طالبين ، فتمكنت من نهب دورهم الإفرنج [5] الكافرون [6] ، [7] و قتلوا من وجدوه بها مقيم [7] ، من الرجال و الحريم ، و كان ذلك بتقدير العزيز العليم . و لله در القائل ٥ [8] حيث يقول :

قالت [8] أبحت سرّ كنت تكتمه و صار سرك بين الناس مبذولا

فقلت يا هذه دمعى أباح به ليقضى الله أمرا كان مفعولا

فانظر إلى أرباب المروءات ، كيف يلقون أنفسهم للهلكات ، كفعل الشيخ و صهره ، إذ حمى كل [8] واحد منهما ظهر الآخر بظهره ، فالشجاع يحمى [8] ١٠ نفسه و جاره ، و الجبان تقتله الأعداء و تنهب داره .

---

(١) زيد فى بن : الدماء .

(٢ – ٢) فى بن : تركوا .

(٣) فى بن : لما .

(٤) فى بن : سيوف الفرنج خلفهم .

(٥) فى بن: الفرنج .

(٦) فى الأصلين : الكافرين .

(٧ – ٧) فى بن : و اسروا من وجدوا منهم . و صحة بر « مقيما » تركناها للسجع .

(٨ – ٨) ساقطة من بن .

[حكاية تشتمل على قوة قلب و تعزير بالنفس]

حكاية تشتمل على ١قوة قلب و تعزير١ بالنفس . حكى أن بعض المغاربة أقام هو و عياله بداره حين ظفر الإفرنج بالإسكندرية ، فبينما هم كذلك و إذا[٢] بالإفرنج[٣] ٤أتوا بشارعهم٤ ، فصادفوا فيه رجالا من المسلمين قتلوهم ، و كسروا أبواب ٥دور به٥ نهبوها غير دار المغربي لاستغنائهم بما أخذوه من تلك الدار[٦] ، فحمل كل واحد منهم[٧] ما أثقله حمله و مضوا[٨] . فقال المغربي : [١] إن كنا[١] سلمنا من هؤلاء لم[٩] نسلم من غيرهم ، و كان ينظر إلى فعلهم من تابوت [١٠]خشب بطاقة بداره[١٠] ، فنزل عند مضيهم فتح باب داره ، و جر قتيلا ١١مسلما ألقاه١١ بدهليز داره ، و جر قتيلا آخر ألقاه على عتبة[٢] بابها ، و ترك باب الدار مفتوحا ، و دخل و غلق باب قاعة الدار عليه و على عياله ، و صعد ينظر[٣] إلى

(١ - ١) العبارة ساقطة من بن .

(٢) مطموسة فى بن [١٩٩ : الف] .

(٣) فى بن : بالفرنج .

(٤ - ٤) فى بن : قد أتوا إلى شارعهم .

(٥ - ٥) فى بن : دويرة .

(٦) فى بن : الدور .

(٧) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) فى بن : فلا .

(١٠ - ١٠) فى بن : بالدار .

(١١ - ١١) فى بن من تلك القتلا فألقاه .

الشارع من[1] التابوت الخشب المخرم، فصارت الإفرنج[2] تمر عليه[3] بالشارع، فيجدون باب تلك الدار مفتوحا و القتلى به، و فى الشارع أيضا قتلى مطروحة، و الأبواب مفتوحة[4]، فيتوهموا أنه لم يبق بذلك الشارع دار[5] إلا [6]و قد نهبت[6]، و لا رجال إلا [7]و قد قتلت[7]، فيتركونه و يمضون إلى شارع[8] غيره. فلما اطمأن المغربى [٢٦٣ : الف] بدخول المسلمين ٥ البلد، ألقى تلك القتلى التى بدهليز داره و على بابها[1] فى الشارع، و سلم هو و عياله من القتل و الأسر و النهب والفرار مع من[9] فر من أبواب البر.

[حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة]

حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة و هلع و غير ذلك من [10]الواردات المستطردات[10]. حكى أن الإفرنج [11]لما ظفروا ١٠ بالإسكندرية، و خرجوا[11] منها بعد أن أوقروا مراكبهم بأموالها و أثاثها[8]

---

(١) مطموسة فى بن.
(٢) فى بن: الفرنج.
(٣) ساقطة من بر، و واردة فى بن.
(٤) فى بن: مفتحة.
(٥) فى الأصلين: دارا.
(٦-٦) فى بن: ونهبت.
(٧-٧) فى بن: و قتلت.
(٨) ساقطة من بن.
(٩) زيد فى بن: قد.
(١٠-١٠) فى بن: الاستطرادات.
(١١-١١) مطموسة فى بن.

و أسراها، و رجعت أهلها الفارون[1] منها حين الوقعة إليها، أتى رجل منهم إلى باب[2] داره، فوجد والدته بها[2] صحيحة الجسم، [3]سليمة من الجراح[3]، و مقنعتها و ثيابها مضمخة بالدماء، فتعجب من ذلك و قال: ما هذه الدماء التى أراها بثيابك و مقنعتك التى[4] على رأسك[4]، و ليس

٥ بك جرح و لا ألم؟ فقالت: خبرى عجيب، و أمرى غريب. فقال لها: [5]أخبرينى وبحالك[5] حدثينى. فقالت: اسمع حديثا ما طرق أذنك أبدا، و لا سمعه منى إلى الآن أحد[6]. فقال: [5]بثيه و اذكريه، و علىّ يا أماه قصيه. قالت: نعم[5]، و ذلك أن الإفرنج[7] لما أتوا إلى[8] شارعنا، و أنا أنظر إليهم من كوة[9] دارنا، أيقنت[10] أنهم لم يتركونى، إما أن يقتلونى

١٠ أو يأسرونى، فكسروا باب دار فلان و دخلوها، فبادرت و خرجت من باب[2] دارى، و مضيت أطلب مكانا أختفى فيه[11]. فدفعت باب دار فانفتح فدخلتها، و صعدت من سلمها، فتوصلت منه إلى غرفة ليس بها سوى عجوزة كبيرة السن[8] جالسة على سرير، فلما رأتنى قالت: اصعدى

(١) ف بن: الفارين. (٢) ساقطة من بن.
(٣ – ٣) ساقطة من بن.
(٤ – ٤) ف بن: برأسك.
(٥ – ٥) مطموسة ف بن.
(٦) ف الأصلين أحدا.
(٧) ف بن: الفرنج.
(٨) ساقطة من بر و واردة ف بن.
(٩) ف بن: طاق.
(١٠) مطموسة ف بن. (١١) ف بن: به.

عندى لأنى هاهنا وحدى ، و قد حصل لى و لها الرعب من جهة[1] الإفرنج[2]
فى الشوارع . قالت فلم يعجبنى [3]جلوسى معها على السرير، بل[3] انحنيت
و دخلت تحته ، فبينما نحن كذلك و إذا بالإفرنج[2] صعدوا إلى الغرفة ،
فحين رأوا العجوز [3]جالسة على السرير[3]، و لم يجدوا[4] بالغرفة ما يأخذونه،
اختطفتها سيوفهم ، فصار دمها يسيل على رأسى و وجهى و ثيابى ؛ و أنا ٥
خائفة مرتعبة[5] ، فلو رأونى ، كانوا بها ألحقونى ، و بسيوفهم هبرونى .
ثم أنهم ولوا راجعين ، فبقيت بمكانى جالسة مرعوبة خائفة ، لا أقدر
على حركة ، بل صار قلبى يضطرب كاضطراب السمكة ، فلم[6] أزل مقيمة
بذلك المكان ، حتى سمعت الأذان ، فعلمت أن الناس رجعوا من
فرارهم إلى ديارهم ، فأتيت إلى دارى ، فلم أجد بها قليلا و لا كثيرا ، ١٠
[7]و لا جليلا و لا حقيرا[7]، فحصل لى الخوف الشديد من معاينة الإفرنج[2]
و قتلهم للمرأة و سيلان دمها على و استنشاق[8] لرائحة جيفتها حين جافت ،

(١) فى بن : هجمة .
(٢) فى بن : الفرنج .
(٣ – ٣) مطموسة فى بن .
(٤) فى بن : يروا .
(٥) فى بن : مرعوبة .
(٦) فى بن : و لم .
(٧ – ٧) ساقطة من بن .
(٨) فى بن : و انتشاق .

و رؤيتى [٢٦٣ : ب]حين خرجت من تحت السرير [1]إلى صفة ما فعل بها [1]، و تفكرى فى أمرك [2] هل أنت [3] [4]قتيل أو أسير [4]؟ مع حزنى على ضياع سترتنا [5] المنهوبة من دارنا . فأى عجب أعجب مما رأيت ، و أى خبر أغرب مما وصفت ؟ فقال لها : صدقت . ثم أنه الآخر حدثها

٥ بما جرى [6]عليه من فراره [6] من الإفرنج مع من فر ، و هم تابعونهم [7] بسيوفهم المجردة عند خروجهم من الباب ، و كيف كان [8] المسلمون [9]يدوسون بعضهم [9] بعضا من شدة الزحام إلى أن صار بعضهم موتى [10] من ذلك ، مع ما أخبرها بجوعه و إفلاسه ، و حفائه لضياع مداسه ، و خطف العرب لعمامته التى على رأسه . فقالت : يا بنى ما أظن أحدا فى هذه الدنيا [11]مستريحا

١٠ و لا مريحا [11]. فقال لها : و لا الرجل الذى حسد الكلب على النبيح .

(١ - ١) ساقطة من بن .
(٢) عن بن ، و الكلمة فى بر : أمرى .
(٣) ساقطة من بن .
(٤ - ٤) فى بن كذلك ، و فى بر : قتيلا أو أسيرا .
(٥) عن بن ، و فى بر : سترتها .
(٦ - ٦) فى بن [١٩٩ : ب] : له فى فراره .
(٧) فى الأصلين : تابعينهم .
(٨) فى الأصلين : كانت .
(٩ - ٩) عن بن ، و فى بر : تدوس بعضها .
(١٠) فى بن : ميتا .
(١١ - ١١) فى الأصلين : مستريح ولا مريح .

فقالت

فقالت : العجب العجاب و من يحسد يا ولدى[١] السكلاب . قال[٢] : أما سمعت خبر الرجل الذى طلبه الحجاج ليقتله فهرب منه فى كل الفجاج؟ قالت : و ما ذاك حدثنى بحديثه .

[حكاية عن الحجاج بن يوسف الثقفى]

قال[٣] كان الحجاج بن يوسف الثقفى أميرا على العراق ، و كان[٤] سفاكا للدماء ، °و يقول أكبر لذاتى سفك الدماء° ، و جريها[٦] على الأرض كالماء[٧] . فقتل[٤] من الناس[٨] كثيرا ، حتى من الصالحين[٩] والعلماء ، فخاف الرجل منه حين طلبه ليقتله، فصار هاربا منه [١٠]يمينا و شمالا[١٠] لا يستقر بقرار ، و لا يقيم ببيت[١١] و لا دار[١٢] ، و لا يأوى بمكان ٥

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٢) فى بن : فقال.
(٣) زيد فى بن : نعم .
(٤) ساقطة من بن .
(٥ – ٥) الجملة ساقطة من بن .
(٦) فى بن : و جريانها.
(٧) فى بن : بجرى الماء .
(٨) عن بن ، و فى بر : الصالحين .
(٩) فى بن : انه قتل الصلحا.
(١٠ – ١٠) العبارة ساقطة من بن .
(١١) فى بن : ببلد .
(١٢) فى بن : ديار .

و لا [1]يطمئن إلى إنسان[1] ، بل صار[2] بعيدا عن سكنه ، بعيدا عن وطنه .
فمر بكلب بين جنبين[3] يقطر عليه ماؤهما . فقال: ليتني كنت[4] مثل هذا
الكلب في الراحة و الأمن . فما لبث[5] أن مر به ذلك الكلب ، و في
عنقه[5] حبل و هو يجر ، و عليه آثار الشر[5] . فسأل عنه فقال: جاء
٥ كتاب الحجاج إلى[5] الولاة و الكتاب[4] بقتل الكلاب ، في كل الفجاج
فقال[5] الرجل[5] : إذا ليس في الدنيا مستريح ، وهج على وجهه في الفلا[6]
خوفا[7] أن يضرب[8] بسيف الحجاج مندرجا[4] في جملة القتلى . [9]و أنشد
يقول[9] في المعنى:

كل من أشكو لـه قصتي لم ألاق غير ذي قلب جريح
١٠ يتشكى مثل شكوايا[10] لـه يا لقومي ما عليها مستريح

(١ - ١) في بن : يطمان لانسان .
(٢) في بن : سار .
(٣) كذا في بر ، و في بن : حسى ، و نقطها ناقص و المعنى غير واضح .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) مطموسة في بن .
(٦) في بن : الفجاج .
(٧) زيد في بن : من .
(٨) كذا في بن ، و الكلمة في بر : يسير .
(٩ - ٩) في بن : فانشد لسان حاله .
(١٠) في بن : شكواى .

فقالت المرأة لولدها[1] : يا بنى [2]وكيف أن الحجاج يقتل العلماء و الصالحين ، أما يخشى عقاب رب العالمين ؟ قال : لو كان فيه بعض الخير[2] ما قتل سعيد[3] ابن جبير سيد العلماء و قدوة الصالحين[4] و الأتقياء . فقالت[5] بالله حدثنى ، و بخبره[6] معه[6] عرفنى .

قال[7] بلغنى أن سعيد بن جبير كان عبدا لرجل من بنى أسد ٥ [٢٦٤ : الف] فاشتراه سعيد بن العاص فى مائة عبد فأعتقهم أجمعين . فكان سعيد بن جبير أفضل أهل المدينة[8] فقها و زهدا ، نخرج مع عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج ، فلما انهزم ابن الأشعث إلى أصبهان هرب سعيد بن جبير إلى مكة . فقيل لسعيد : ما أوجب خروجك على الحجاج ؟ قال : سمعته يقول - أليس خليفة أحدكم[6] فى أهله خير من ١٠ رسوله إليهم ؟ يعنى به أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . فقلت :

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) فى بن : أما كان .... رجل مسلم ، قال نعم هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عامر بن غروة بن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه و سلم .... كان فى الحجاج خير ما قتل - الخ .

(٣) فى بر : لسعيد . وهى كذا فى بن .

(٤) فى بن : الصلحاء .

(٥) زيد فى بن : يابنى .

(٦) مطموسة فى بن .

(٧) زيد فى بن : نعم .

(٨) فى بن : الدنيا .

[1] لله عليّ لا أصلي خلفه[1] صلاة أبدا ، و لئن وجدت قوما يقاتلونه لأقاتلنه معهم . قال أبو حصين فبلغنا أن خالد[2] القسرى قد أمّر على مكة . فقلت يا سعيد إن هذا الرجل لا يؤمن ، و هو رجل سوء ، و أنا أخاف عليك منه. قال سعيد : يا أبا حصين قد و الله[3] فررت حتى استحييت من الله تعالى ، مرحبا بما كتب الله لى . قلت[4] : أظنك و الله سعيدا كاسمك . فكتب الحجاج إلى خالد القسرى بطلبه ، و ذكر عن عون بن أبي شداد قال ذكر سعيد بن جبير عند الحجاج ، فدعا[5] قائدا من أهل الشام- يقال له المتلمس بن الأخوص[6] الثقفى و عشرين رجلا من ثقاة[7] أصحابه ، و أمرهم بطلب سعيد بن جبير ، وكتب معه كتابا إلى خالد القسرى و هو إذ ذاك أمير على[3] مكة يأمره بالقبض عليه و تسليمه إلى رسله مستوثقا به ، فطلب سعيدا فوجده قائما يصلى فى الحجر ، قال المتلمس[8] : فرأيته أحسن الناس وجها[9] و أفصحهم لسانا ، له[3] وفرة إلى شحمة[3] أذنيه .

(١-١) الجملة ساقطة من بن .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : قال .

(٥) عن بن ، وهى فى بر : فدعى .

(٦) فى بن [٢٠٠ : الف] : الأحوص (بدون نقط) .

(٧) فى بن : ثقات .

(٨) زيد فى بن : ابن الأحوص .

(٩) ساقطة من بر و واردة فى بن .

لم أر مثل هيبته و لا مثله لرجل من أهل زماننا . قال : فأخذته فانطلقت[١] به حتى نزلنا[٢] ماء لبني أسد . فقال : بهذا الماء جماعة من أهلي ، فان رأيت أن تطلق عني هذا الحديد . قال[٣] فأطلقت عنه حديدة ، فقال لك الله تعالى[٣] عليّ أن أرجع إليك . فلما كان في آخر النهار[٤] أتاني فأوثقته بحديده ثم مضينا . قال فأدركنا المساء ، عند صومعة راهب ، ٥ فأشرف علينا الراهب و قال : اصعدوا الدير فان حوله أسودا أخشاها عليكم . فصعدنا و أبيّ سعيد أن يدخل الدير ، و قال : و الله لا أدخل بيت مشرك أبدا . قال : فانا لا ندعك [٥]فان السباع تفتلك[٥] . [٦]قال : فان معي ربي[٦] سبحانه و تعالى سيصرفها عني ، و يجعلها حرسا حولي ، فصعدنا و تركناه ، فاذا بلبوة قد أقبلت حتى دنت منه ، فمسحت به ، ١٠ و ربضت[٧] قريبا منه ، و أقبل [٨] الأسد فصنعوا به مثل ذلك[٨] . فلما رأى الراهب ما رأى من طاق صومعته نزل إليه و قال له : أنبي أنت ؟ قال : لا و لكني عبد من عبيد الله خاطئ مذنب . قال : فسأله عن شرائع

(١) في بن : و انطلقت .

(٢) زيد في بن : على .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : الليل .

(٥-٥) في بن : تأكلك السباع .

(٦-٦) في بن : فقال إن معي الله .

(٧) كذا في بن ، و الكلمة في بر : و ربطت .

(٨-٨) في بن : الأسد فصنع مثله ذلك .

١ دينه . [٢٦٤ : ب] فقسر[١] ذلك كله ، وأسلم الراهب على يديه .
ثم أن الرسل ساروا بسعيد حتى أتوا إلى مدينة واسط[٢] ٣بعد أن
عرفوا بركته وحراسة السباع له ، فلما أشرفوا به على واسط٣ قالوا :
ليتنا[٤] لم نرسل إليك ولم نرك ، فاعذرنا ٢ عند ربك . قال سعيد :
٥ ما أعذرني لكم وأرضاني بما سبق من علم الله فى ، فهل لكم أن ٥تتركوا
سبيلي٥ حتى أتزود ١بقية ليلتي من الدنيا ، فخلوا سبيله١ ، فغسل رأسه
وبدنه ومدرعته وكساه . فلما انشق عمود الصبح ، دخلوا به على الحجاج
١فقال : ما ١ اسمك أيها الرجل ؟ قال : سعيد بن جبير . قال : بل أنت
شقي بن كسير . قال : أمي كانت أعلم باسمي منك . قال : شقيت وشقيت
١٠ أمك . ثم قال له[٢] : لأبدلنك بدنياك[٦] نارا تلظى . قال : لو علمت أن
ذلك بيدك ١لاتخذتك إلها١ . قال : ما قولك فى محمد ؟ قال : نبي الرحمة
ورسول[٦] صلى الله عليه وسلم ، ختمت به الرسل . [١] قال : فما تقول فى
علي بن أبي طالب ؟ أفى الجنة ١ هو أم فى النار ؟ قال : لو دخلت الجنة
عرفت من فيها . قال : فما تقول فى الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل .
قال : فأيهم أعجب إليك ؟ قال : أرضاهم للخالق بعلمه الذى يعلم سرهم

(١-١) مطموسة فى بن . (٢) مطموسة فى بن .
(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .
(٤) فى بن : ليت أنا .
(٥-٥) فى بن : تتركوني .
(٦) ساقطة من بر وواردة فى بن .

و بجوامع . قال : فأى الرجل أنا ؟ قال : أنا أهون[1] على الله من أن يطلعني
على غيبه . قال : أبيت أن تصدقني . قال : بل لم أرد[2] أن أكذبك .
قال : الويل لك يا سعيد . قال[3] : الويل لمن زحزح عن الجنة و أدخل
النار . فقال له الحجاج : ألم أقدم الكوفة و لم[4] يؤم بها الأعربي فجعلتك
إماما ؟ قال[3] : بلى ! قال : ألم أوليك القضاء[3] فضج أهل الكوفة ٥
و قالوا لا يصلح للقضاء إلا العربي فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى
الأشعري[3] و أمرته أن لا يقتفي أمرا دونك ؟ قال : بلى ! قال : أو ما
أعطيتك خمسمائة[5] درهم ففرقتها في أهل الحاجة [6] في أول ما رأيتك ثم
لم أسألك[6] عن شيء منها ؟ قال : بلى ! قال : فما بالك لم تضحك قط ؟
قال : وكيف يضحك مخلوق من طين، و الطين تأكله النار[7] ، و لا يدرى ١٠
بعد ذلك أيصبحه الموت أم يمسيه ؟ و كان الحجاج رقّ عليه ، و رجا له
كل من حضر الخلاص من بين يديه . ثم قال له الحجاج[8] : فما أخرجك
علىّ ؟ قال : بيعة كانت لعبد الرحمن بن الأشعث فى عنقى . قال فغضب

---

(١) فى بن : اهو .
(٢) فى الأصلين : اريد .
(٣) مطموسة فى بن .
(٤) فى بن : و ليس .
(٥) فى بن : مائة الف .
(٦-٦) كذا فى بن ، و الجملة فى بر : لم أسئلك .
(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : الناس .
(٨) ساقطة من بن .

الحجاج حتى زال رداؤه عن منكبيه و قال[1] : أو لم تتقدم فى عنقك
بيعة[2] [3]أمير المؤمنين[3] عبد الملك [4]بن مروان[4] من قبل؟ ثم قال :
يا شقى اختر لنفسك قتلة أقتلك . قال [4]له : بل[4] اختر لنفسك فان القصاص
أمامك . قال : و الله لأعجلنك إلى النار . قال : لو علمت أن ذلك
٥ [٢٦٥: الف] بيدك لاتخذتك إلـها . قال فاغتاظ عليه الحجاج[5] و قال :
اقتلوه[6] ! قال : أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله . ثم
ضحك ، فقال : ما أضحكك ؟ قال : عجبت من جرأتك[6] على الله و من
حلم الله تعالى عنك[7] ، و أنا أسأل الله تعالى بعزته و سلطانه أن لا يسلطك
على قتل[2] أحد من المسلمين بعدى[8] ، و أكون فداء المسلمين أجمعين ، فهذه
١٠ دعوتى عند قتلى[9] . قال فلما أراد قتله ، استقبل القبلة و قال : "وجهت
وجهى للذى فطر السموٰت و الارض حنيفا و ما انا من المشركين[10]" .
قال الحجاج : حولوا وجهه عن القبلة ، قال: "فاينما تولوا فثم وجه الله[11]".
قال فأمر به فأضجع ، قال : كُبّوه على وجهه . فقال : "منها خلقنٰكم ،
و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اخرى[12]" . قال : اذبحوه من قفاه !

(١) فى بن : قال . (٢) ساقطة من بن .
(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن : أمير المعين .
(٤-٤) ساقطة من بن .
(٥) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن [٢٠٠ : ب] .
(٦) مطموسة فى بر . (٧) فى بن : منك . (٨) فى بن : بعد .
(٩) فى بن : قتلى . (١٠) قرآن كريم ٦ : ٧٩ .
(١١) قرآن كريم ٢ : ١١٥ . (١٢) قرآن كريم ٢٠ : ٥٥ .

قال

قال فذبح فجرى منه دم عظيم استكثره كل من حضر و هالهم ذلك.
فقال الحجاج: هذا لاجتماع نفسه و أنه لم يجزع من الموت و لا هابه
ما فعلت به، و غيره نقتله و هو مفتوق النفس، فيقلّ[1] دمه لذلك. ثم
أنهم[2] فتشوه فوجدوا فى ثوبه ثلاثة عشر درهما، فاختصم فيها الذى قتله
[3]و الذين جا(ءوا) [3] به، فقضى بينهما[4] الحجاج للذى قتله. و اختلط ٥
عقل الحجاج فى الوقت، فجعل يقول: [5]قيدونا ثم قيدونا[5]. فلم يعلموا
ما الذى أراد، فقطعوا ساقى سعيد من أنصافها بالقيود التى كانت عليه،
و حزّوا عنقه[6] إلى أن بان رأسه عن جسده، و كان قتل سعيد بن
جبير و هو ابن سبع و أربعين سنة.

و قيل لما بلغ الحسن البصرى قتله قال: اللهم يا قاصم الجبابرة ١٠
اقصم الحجاج. [7]فلم يعش الحجاج[7] بعد قتل سعيد بن جبير إلا [7]ستة
عشر يوما[7]. و وقعت أكلة فى بطنه، و دعى[1] بالطبيب لينظر إليه،
فأخذ لحما و علقه فى خيط إريسم و شرّحه فى حلقه و تركه ساعة ثم
استخرجه[1] و قد لصق به دود كثير، و سلط الله[8] عليه الزمهرير،

---

(١) مطموسة فى بن.
(٢) ساقطة من بن.
(٣-٣) كذا فى بن و بعضها مطموس، و هى فى بر: و الذى جاء.
(٤) فى بن: فيها.
(٥-٥) فى بن: قيودنا قيودنا.
(٦) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: برأسه.
(٧-٧) مطموسة فى بن.
(٨) زيد فى بن: تعالى.

فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة نارا، و تدنى منه[1] حتى يحترق جلده[1]، و مُنع من النوم، فاذا همّ أن يغفى[2] وثب مذعورا و قال: ما لى و لسعيد[1] بن جبير. و أرسل فى طلب الحسن[1] البصرى، فأتاه فشكى[3] إليه ما نزل به. فقال الحسن: قد نهيتك أن لا تتعرض للصالحين

٥ فلجَجْت ليقضى الله أمرا كان مفعولا. و خرج الحسن من عنده فسئل عنه فقال: دخلت عليه و قد تغير لونه، و غارت عيناه من[1] السهر، و احترقت ثيابه، و تسلق جلده من حر النار فى تسعة كوانين حوله، فكلمنى و قد ضعف و بحّ صوته ثم قال: [٢٦٥ : ب] يا حسن ألا أسألك[4] أن لا[5] تسأل الله أن يفرج عنى، و لكن أسألك[4]

١٠ أن تسأله أن يقتص منى. و يقبض روحى و لا يطيل عذابى، و يفعل بى ما شاء. قال فبكى الحسن بكاء شديدا. و أقام الحجاج بهذا الحال خمسة عشر يوما و مات. [6]فقال الشاعر[6]:

و من عجب الأيام أنك قاعد　　على الأرض فى الدنيا و أنت تسير
تسير الليالى بالتى [6]لا يحسها[6]　　من الناس إلا عاقل و بصير

١٥ فسيرك يا هذا كسير سفينة　　بقوم جلوس و القلوع تطير

(١) مطموسة فى بن.
(٢) فى بن: يغفا.
(٣) فى بن: فشكا.
(٤) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: أسئلك.
(٥) ساقطة من بن. كذا من بر و بهامشها، و لعل الصواب «لا اسألك أن تسأل الله أن يفرج عنى و لكن الخ».
(٦-٦) مطموسة فى بن.

فلا تطلب الدنيا بطول غنائها فتأتى إلى الأخرى و أنت فقير
أما تنظر الحجاج من بعد ظلمه و كثرة أموال له و قصور
غدا للثرى بالذل من شؤم ظلمه و صار حديثا فى الأنام نكير

و نظرت هند بنت أسماء بن خارجة زوجة الحجاج إلى الحجاج مُسَجّا[1] و هو ميت فقالت : ٥

ألا يا أيها[2] الجسد المسجّا[1] لقد قرت بمصرعك العيون
و كنت قرين شيطان رجيم[3] فلما مت أسلمك القرين

و قيل إن هند هذه لها معه أخبار منها أنها ولدت منه ولدا ، فلما رآه ذمه بكل ذم قبيح ، فأنشدته تقول[4] :

و هل هند إلا مهرة[5] عربية سليلة أفراس تحللها بغل ١٠

فلما سمع ذلك منها طلقها لوقتها ، و دفع لها صداقها مائتى ألف درهم ، و لحقت بقومها[6] ، فأرسل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خطيبها

---

(١) يمكن قراءة الكلمة فى بر « مسبحا » و لكن بمقارنتها مع بن يظهر بوضوح أنها « مسجا » أو « مسجى » بمعنى « مغطى » .
(٢) فى بن : أيها .
(٣) فى بن : مريد .
(٤) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٥) كذا عن بن [٢٠١ : الف] ، و الكلمة فى بر : مرأة .
(٦) زيد فى بن : بعد أن هجته بأبيات منها :
و إن جياد الخيل و هى صواهل مطايا لأبناء الحمير النوا(هق)
و فى الأصل « الحمر » و كلمة « النواهق » آخرها ضائع فى الترميم ، انظر النص فيما بعد .

بعد وفاء[1] عدتها ، فأرسلت تقول له: شرطى يا أمير المؤمنين بعد صداق أن تأمر عاملك الحجاج أن يأخذ بزمام ناقتى من الكوفة إلى دمشق. فأرسل عبد الملك يقول: إن هذه المرأة شريفة فى قومها ، كريمة[2] فى نسبها ، وما يضرك أن تأخذ بزمام ناقتها إلينا! فلم يجد له بدا ٥ من ذلك ، [3]لطاعة أمير المؤمنين ولعدم مخالفة مرسومه[3] ، ثم أنها تجهزت ، [3]وسارت فى محفل كبير[3] ، وسار[4] الحجاج قائدا [5]لزمام ناقتها[5] على غيظ وحنق منه نادما[6] على طلاقها ، فلما قالوا « هذه غوطة دمشق » رمت من هودجها دينارا إلى الأرض[7] وقالت: يا جمّال أعطنى الدرهم الذى وقع منى[8] . فأناخ الحجاج راحلته [3]التى هو راكب ١٠ عليها[3] ونظر[7] فى الأرض ، [3]فوجد دينارا[3] ، فقال: ليس هو بدرهم ، وإنما هو دينار . [3]وناوله لها[3] فقالت: الحمد لله يا حجاج[7] ، وقع منى درهم فوجدت[9] دينارا . فلما سمع كلامها[10] ازداد غيظا على غيظه . ثم

---

(١) فى بن : انقضاء .

(٢) فى بن : حسيبة .

(٣-٣) ساقطة من بر وواردة فى بن .

(٤) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : صار .

(٥-٥) مطموسة فى بن .

(٦) فى بر : نادم . وهى كذا فى بن .

(٧) مطموسة فى بن .

(٨) ساقطة من بر وواردة فى بن .

(٩) فى بن : فوجدناه .

(١٠) فى بن : مقالتها تلك .

قالت

قالت تهجوه[1] : [٢٦٦ : الف]

و ما كنت من أبناء جنسى فنلتقى   خلائقك القبحا و حسن خلائقى

[2]و لكن جياد الخيل[2] و هى صواهل   مطايا لأبناء [2] الحمير النواهق [2]

فازداد[1] [3]هما على همه[3] ، و غما [4]على غمه . [5]ثم لما[5] مات عبد الملك ردها

إلى عصمته ، فلما [6]انتهت مدته[6] أنشدت البيتين المتقدم ذكرهما [2]و هما   ٥

« ألا يا أيها الجسد المسجى » إلى آخرهما .

و لما مات[2] الحجاج رئى[7] فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟

قال : قتلنى بكل من قتلته قتلة ، و قتلنى بسعيد[1] بن جبير سبعين قتلة .

عن أبى موسى الأشعرى ، قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله

عز و جل يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ : "و كذلك اخذ   ١٠

ربك اذا اخذ القرى و هى ظالمة ان اخذه اليم شديد[8]" [9]اللهم إنا

---

(١) مطموسة فى بن .

(٢-٢) الجملة مطموسة فى بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) فى بن : عما .

(٥-٥) فى بن : فلما .

(٦-٦) فى بن : مات .

(٧) فى بر : رءى . و فى بن : روى .

(٨) قرآن كريم ١١ : ١٠٢ .

(٩) استبدلت العبارة الآتية فى بن [٢٠١ : الف - ب] من هنا إلى قوله «سبحان الله العظيم» بكلام طويل فيه طمس بالكتابة وخبل فى العبارة وتعقيد فى تسلسل السياق، =

=فآثرنا إدراجه بالهامش على ما هو عليه من غير تحريف ولا تبديل فيما به من الطلاسم، وهو كما يلى : . . . (مطموس) . . . بأمير بنى خفاجة أبو فليته و جماعة من رؤس قومه أسارى . . . (مطموس) . . . . الحجيج و هم راجعون من الحج ، و غوروا المناهل التى يردها الحجاج ، و وضعوا فيها بطيخ الحنظل ، قيل إنه مات من العطش نحو من خمسة عشر الف حاج ، و أخذوا بقية الحجاج . . . رعات (كذا) لمواشيهم فى أسوء حال ، و أخذوا جميع ما كان معهم من الأجمال و الأحمال ، فحين أحضر الوزير فخر الدولة (فى الأصل : الدوه) أبو فليته أمير (فى الأصل : أمر) خفاجة و أصحابه مأسورين سجنهم ، و منهم شرب الماء ما فعلوه مع الحجاج ثم صلبهم تلقاء نهر دجلة أحياء ينتظرون صفاء الماء و لا (يقوون على) شرب شىء منه حتى (ماتوا عطشا) فى هذا الصنع ، و اقتدى فى ذلك بحديث أنس فى الرعا(ة) الذين كانوا فى (زمان النبى صلى الله عليه و سلم) ، و الحديث مذكور فى الصحيحين ، ثم بعث الوزير فخر الدولة إلى واليك الحجاج الذى جعلتهم . . . (مطموس) . . . . لمواشيهم بجىء بهم و قد تزوجت نساؤهم ، و قسمت أموالهم ، فردوا إلى أهاليهم و أموالهم ، فينبغى لولاة الأمور ردع الظلمة عن المظلومين ، ففى ذلك رضى رب العالمين . كان أبو النجم الكردى الملقب ناصر الدولة من خيار الملوك بناحية الدينور و همدان له سياسة و صدقة كبيرة ، و كانت أعماله فى غاية الأمن بحيث إذا أعيا جمل أحد من المسافرين فتركه بما عليه فى البرية رد إليه و لو بعد حين بما كان عليه لا ينقص منه شىء . و لما عتت أمراؤه فى البلاد بالفساد ، عمل لهم ضيافة حسنة ، فقدمها إليهم ولم يأتهم بخبز ، فجلسوا ينتظرون الخبز يأكلوا به الطعام الذى مد لهم ، فلما استبطوه سألوا عن الخبز ، فقال لهم : إذ كنتم تهلكون الحرث و تجورون على الفلاحين فمن أين يأتون بالخبز . ثم قال لا أسمع بأحد أفسد فى الأرض إلا أرقت (دمه) . و اجتاز مرة فى بعض أسفاره برجل معه حزمة حطب و هو يبكى فقال له : ما أبكاك؟ فقال : انى كان (معى رغيفان) أريد أن أتقوت بهما فأخذهما منى بعض الجند . فقال :=

= أ تعرفه إذا رأيته ؟ قال : نعم . فوقف به فى (مضيق) حتى مر عليه الجند ، فلما اجتاز به ذلك الجندى الذى أخذ منه الرغيفين قال : هذا هو . فأمر به أن ينزل عن فرسه و أن يحمل هذه الحزمة الحطب من الحطاب حتى بلغ بها إلى المدينة فأراد أن يفتدى من ذلك بمال ، فلم يقبل منه حتى يا(دب) بـه الجيش كلهم . و كان له صدقات و معروف كثير على الفقراء و الأرامل و الأيتام و تكفين الموتى و المجاورين بالحرمين الشريفين و عمارة المصانع و إصلاح المياه و حفر الآبار بطريق الحجاز . و ما اجتاز بما فى طريقه إلا و عمر عند ..... و عمر فى أيامه الخانات والمساجد فى الطرقات ما ينيف على ألفى خان و مسجد . فـاذا أمسى الليل فى الطرقا(ت) ..... السفار نزلوا الخان و صلوا فى المسجد الذى به ، و اشتروا من دكان الخان ما يتعيشون به . و كان له من الخيـ(ل) المرتبطة فى سبيل الله برسـ(م الجهاد) ما ينيف عن عشرين ألف فرس . و كان كثير الصلاة و الذكر ، و كان مدة ملكه (اثنـان) و ثلثين سنة و دفن (بمسجد) على بن أبى طالب . فانظر إلى فعل الملك أبى النجم الكردى ، و من أذى الحاج و قصد . (مطموس) . . . ظلمهم ، و إذ قد . . . (مطموس) .... الرغيفين اللذين (أخذهما الجندى من) الحطاب ، فسأذكر ما قيـل فى الرغيف (قال بعض) الصالحين : تفكرت فى هذا الرغيف .... (مطموس) .. (و لم يروا) انا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فيخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم و أنفسـ(هم) ... .. صرون فالملائكة موكلون بالماء يسوقونه إلى الأرض كما قدر الله تعالى لقوله « و فجرنا الارض عيونا فالتقى المـاء على امر قد قدر » (قرآن كريم ٥٤ : ١٢) ..... . أهل الأرض موكلون بآلة الحرث فيحرثون الارض و يرمون فيها البزر ، و يوكل الله به (الملائكة يحفظونه من) ...... الأرض وهوامها حتى ينبت ، فـاذا نبت وكل الله به ملائكة يحرسونه من الطير حتى يظهر (سنبله بأمر الملك الوهاب) ...... =

براء من جور الظالمين و ظلم الظالمين ، و إنا محبون لعدلك فى الآخرة ، فلا تجن علينا بسخطك ، و اغفر ذنوبنا إنك على كل شيء قدير . قال أبو الحسن الشاذلى : إن أردت أن لا يصدى لك قلب ، و لا يلحقه هم و لا كرب ، و لا يبقى عليك ذنب ، فاكثر من قول سبحان الله ٥ و بحمده سبحان الله العظيم .

[حكاية مؤلمة لقلب امرأة مسلمة]

حكاية مؤلمة[1] لقلب امرأة مسلمة . حكى أن امرأة مغربية كبيرة السن توفى ولدها و ترك ولدا قطيما يتيما من أبيه و أمه . فوصى

= فيلحقه و لو زاد عليه شيء من الأرض لأتلفه . قال الله تعالى « و كل شيء عنده بمقدار » (قرآن كريم ١٣ : ٨) . و قال الله تعالى : « و أرسلنا (الرياح) لواقح » (قرآن كريم ١٥ : ٢٢) ثم يسخر الله تعالى البخار بالحديد حتى يعمل له آلة الحصد أوانه وقت انتفاعه كالمنجل و المقصل و أحصد . وكل الله به ملائكة تحرسه من الفار ثم يدرس ثم يحمل على ظهر الأنعام ثم يخلق الله تعالى من يقطع الحجارة و يبنى الطواحين فيطحن و يعجن ، ء من يبنى الأفران و يخبزه ، ثم يأتى به إليك ، فانظر ما تجد من الرغيف . و قال بعض الصالحين : دخلت طاحونا فى ...... (فرأيت) الجمل يدور و عيناه مغطيتان فقلت بلسان الحال : أراك مغطى (العينين) ... .. هذا الوقت أحب فيه فتح عينى كلما نظرت إلى نعمة خالقى يزداد فى قلبى محبته . قال النبى صلى الله عليه و سلم : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها و ليس العبد يحسن غير مولاه.

(١) فى بر : مؤمنة . و صححتها فى بن كما أوردنا بالمتن .

الرجل والدته عليه فى مرض موته ، و ترك له من الدراهم النقرة ألفين ،
فد فنتها[1] المرأة بالأرض حفظا لها. فلما ظفرت الإفرنج[2] بالإسكندرية
حملتها معها و حملت جاريتها الولد المذكور و مضوا هاربين مع جملة من هرب
من باب البر . فثقلت الدراهم على المرأة و عجزت عن حملها لكبر سنها ،
فصادفت رجلا كان صديقا لولدها [3] فى حياته[3] ، فركنت إليه و ذكرت ٥
له عجزها عن حمل مال اليتيم ، و لم تجد دابة تكتريها لتحملها[4] و سألته[5]
أن [6] يحمل ذلك[6] عنها ، و يحفظه لليتيم ، [3] و يكون عنده وديعة إلى أن تأمن
الناس [3] . فأخذ تلك الدراهم منها و مضى إلى حال سبيله . فلما أمنت الناس
سألته فى رد الوديعة فأنكرها ، و جحدها فعادت عليه السؤال و هو لا يزيدها
على الانكار ، الجحود شيئا . فقيل لها لما[7] شكت حالها لغيرها: ما منعك ١٠
من تركك[8] الدراهم مدفونة[9] ، أكانت الإفرنج[2] تعلم ما تحت الأرض ؟

(١) فى الاصلين : فد فنتها .
(٢) فى بن [٢٠١ : ب] : الفرنج .
(٣–٣) العبارة ساقطة من بن [٢٠٢ : الف] .
(٤) الكلمة ساقطة من بر وواردة فى .
(٥) فى بن : فسألته .
(٦–٦) عن بن ، وفى بر : يحملهم .
(٧) فى بن : حين .
(٨) فى بن : ان تكون .
(٩) ساقطة من بن .

قالت : نعم ، كانت الأرض أحفظ لها ، لكن[1] حملني على حملها معي وقعة طرابلس الغرب [2]وأخذ الإفرنج لها[2] و إقامتهم بها مدة أشهر ، و حفرهم لأراضي[3] بيوتها . [٢٦٦ : ب] لطول إقامتهم بها ، [4]حسبت أن الذي ظفرنا بالإسكندرية يقيم بها هو و جيشه[4] كما أقاموا بطرابلس ،
٥ ويحفروا[5] و يأخذوا الدراهم [2]المذكورة بحفرهم ديارها المعمورة[2] و لو علمت [6]أنهم أتوا لصوصا[6] خطافة نهابة[7] ، لا يلبثوا[1] بها كما لا يلبث اللص بمكان سرق منه ، كنت تركتها بمكانها[8] . قيل لها : فكنت تركت[9] الجارية تحملها[10] لقوتها[11] و شبابها[7] . قالت : [12]يكفي الجارية حملها للولد[12] .

(١) في بن : و لكن .
(٢-٢) ساقطة من بن .
(٣) في بن : اراضي .
(٤-٤) في بن : فظننت أنهم يقيموا بالإسكندرية .
(٥) ساقطة من بر وواردة في بن .
(٦-٦) الجملة مطموسة في بن .
(٧) ساقطة من بن
(٨) في بن : مكانه .
(٩) كذا في بن ، و الكلمة في ر : تركتي .
(١٠) الكلمة مطموسة في بن .
(١١) في بن : لقدرتها على ذلك
(١٢-١٢) في بن : اكتفيت للجارية بحمل لولد .

و خفت [١]أن العربان تخطف الجارية[١] [٢]بما معها[٢] كما خطفوا غيرها، لأن الإفرنج[٣] كانت تنهب في[٤] البلد، [٥]و العرب ينهبون من خرج منها بشيء له في البر[٥]، و ذلك لكثرة العرب [٦]و حرصهم على خطف من وجدوا معه شيئا، فانهم أتوا ينصرون أهل الإسكندرية، فصاروا عليهم نقمة و بلية[٦]. ثم أن المرأة حملت على قلبها من أمر الوديعة[٧] ٥ و المودع المذكور، فماتت بغمتها[٨] و قهره لها. فصار الصغير مع الجارية حائرة به، لم تجد ما يقوم بهما[٩]، [١٠]فرفعت أمرها[١٠] [٢]لنائب السلطان[٢]

(١-١) كذا في بن، و العبارة في بر: من العرب الجارية (كذا).

(٢-٢) الجملة مطموسة في بن.

(٣) في بن: الفرنج.

(٤) ساقطة من بن.

(٥-٥) في بن: والعربان تنهب من قد شرد.

(٦-٦) في بن: و العربان الذين جاءوا لقتال الفرنج (فلما لم يقدروا) على الفرنج صاروا ينهبوا المسلمين و يحرصوا على خطف ما وجدوه مع الناس الخارجين من باب البر. و في بر كلمة «ينصروا» صححناها.

(٧) ساقط من بر و واردة في بن.

(٨) في بن: قهرا. (و ما تلاها من الجملة مطموس).

(٩) في بن: بها و بالصغير.

(١٠-١٠) في بن: فرفع الأمر.

بذلك[1]، [2]فأدعى بالرجل و سايسه بالحد و اللين[2] حتى أخذ[3] لليتيم ماله بكماله[4] .

[حكايات فى الودائع]

و إذ قد ذكرت [5]الوديعة، فسأذكر ما قيل فى الودائع إن شاء الله تعالى[5] . قيل إن رجلا أودع عند رجل كيسا مختوما[6] فيه ألف دينار ، و سافر و رجع من سفره بعد ثمان سنين ، فطلب الكيس منه ، فأعطاه إياه بختمه كما دفعه له أولا ، فمضى الرجل به إلى داره فتحه و صبّه ، فاذا هو دراهم ، وكان المودع المذكور فتقه من أسفله ، و أخذ ما فيه من الذهب ، و جعل مكانه دراهم ، و خاطه فصار كما كان مختوما[6] . فرفع صاحب الكيس أمره إلى القاضى ، فأحضره و سأله عن ذلك ، فقال : إنه دفع لى كيسا مختوما لم أعلم ما فيه ، و أعدته له [5]بختمه، فقال صاحب[5] الكيس : نعم[6] ، وجدته مختوما بختمى ، لكن كان [7]دنانيرا فوجدته دراهما[7] ، [5]وكان المودع صاحبه[5] رجلا مشهورا بالأمانة ،

---

(١) ف بن : بالإسكندرية .

(٢-٢) ف بن : فأحضر الرجل و أخذ باللين و الحد .

(٣) ف بن : استخلص

(٤) ف بن : بتمامه و كماله .

(٥-٥) مطموسة ف بن .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧-٧) ف بن : دنانير ـ دراهم .

فتحير

فتحير الحاكم[1] و قال: احضروا لى مشايخ الفقهاء، فمثل هذا [2]لايهمل[2] بشهرته[3]، أى[4] صاحب الكيس يصدق[5] القول بين الناس. [6]فلما حضرت مشايخ الفقهاء فكلهم حملوا القول قول المستودع، لأن صاحب الكيس أقر أنه مختوم بختمه[6]، فقال أحد الفقهاء. و كان لا يؤبه له: متى أودعته إياه؟ قال: من مدة[7] ثمان سنين. قال[8] لغريمه: هكذا ٥ تقول؟ قال: نعم، فقصد [9]ذلك الفقيه إظهار[9] نفسه ليصير [9]فى درجة[9] تلك المشايخ الفقهاء، و قال: إن رأى مولانا القاضى أيده الله تعالى و وفقه للصواب[10] [٢٦٧: الف] أن يحكمنى بينهما [9]سيرى ما أحكم به[9]. قال: قد حكمتك و أمضيت ما تحكم به. قال: و أين الكيس؟ قال: ها هو. فقال للرجلين: أنظراه! فنظراه فاعترفا به. فقال: و انظرا[11] ١٠

(١) فى بن: القاضى.
(٢-٢) العبارة ساقطة من بن.
(٣) فى بن: لشهرة.
(٤) الكلمة ساقطة من بن.
(٥) فى بن: لصدق اللهجة و القول.
(٦-٦) فى بن: لإقراره انه وجده مختوما بختمه.
(٧) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٨) فى بن: فقال.
(٩-٩) مطموسة فى بن.
(١٠) فى بن: الصواب.
(١١) عن بن، و فى بر: و انظروا.

إلى[1] مكان الختم . فنظراه و اعترفا . فقال : و أنتما متفقان على المدة ؟
فقالا : نعم . ففتح الكيس و جعل يقلب الدراهم و ينظر إليها و يضعها
و ينظر إلى كل واحد منها[2] ، فقال للمستودع : اتق الله و اردد على الرجل
دنانيره قبل أن ينتهك سترك . قال : أ فبغير الحق تحكم ؟ قال : لا و الله
٥ إلا بالحق . و مال[3] الناس كلهم[1] مع المستودع و قالوا : لا تصبر على الهوى .
فقال : لا والله و لا[4] أحكم في دين الله بالهوى ، اشهدوا علي أني[5] قد حكمت
على هذا الخائن برد الدنانير و باسقاط[6] أمانته . قالوا : من أين حكمت ؟
قال : إني سألتهما بأن الوديعة لها ثمان[7] سنين ، فاعترفا بذلك [8]إلى آخره[8]
ثم قرأت سكك الدراهم فاذا فيها ما قد ضرب من[9] [10]سنة ، و منها
١٠ ما قد ضرب من[10] ثلاث سنين ، و منها أربع سنين ، فعرفت[11] كذبه ،

---

(١) الكلمة ساقطة من بن .
(٢) في بر : منهما . و الكلمة صححت بغير قلم الناسخ .
(٣) في بن : و تعصب .
(٤) في بن : لا .
(٥) في بن : أنني .
(٦) في بن : و إسقاط .
(٧) في بن : ثماني .
(٨-٨) ساقطة من بر و واردة في بن .
(٩) في بن : منذ .
(١٠-١٠) ساقطة من بن [٢٠٢ : ب] .
(١١) في بن : فعلمت .

فحكمت عليه بالرد و الخيانة[١]، فاستحسنوا منه ذلك، و لم يفهمها غيره، فكبر شأنه عند القاضي، و ألحقه بدرجة الفقهاء الكبار لفهمه و حذقه، [٢]وهمّ على الخائن حتى أعطى لصاحب الكيس الألف دينار[٢] - انتهى.

قال مالك رحمه الله فى امرأة بالإسكندرية، كتبت وصيتها إلى ورثتها و هم بمدينة[٣] يثرب، فلم يأت من ورثتها خبر، فخرج رجل ٥ بتركتها المودوعة عنده إليهم، فهلكت فى الطريق، فهو لها ضامن من حيث[٤] خرج بها من غير إذن أربابها، [٥]فلو استودع جرارا و شبهها فنقلها نقل مثلها فتكسرت، ضمن لأنها جناية خطأ. و قالوا فيمن وقف على فخار ليشترى منه، فأذن له فى تقليب الفخار، فأخذ آنية فسقطت من يده على آنية أخرى فانكسرت الآنيتان[٦] معا، لم يضمن التى سقطت ١٠ من يده و يضمن الأخرى لأنها جناية خطأ.

إذا أودع رجل رجلا وديعة[٧] و قال له لا تقفل عليها الصندوق، فقفله ضمنها. و احتج ابن عبد الحكم بأن الإقفال للصندوق إطماع للسارق فيما احتوى عليه الصندوق و حائل له على ما فى الصندوق، كان عليه قفل أو لم يكن،

---

(١) فى بن: و خيانته.

(٢-٢) فى بن: و رده على الخائن حتى أعطى لصاحب الكيس الدنانير.

(٣) ساقطة من بن. (٤) فى بن: حين.

(٥) الكلام من هنا ساقط من بن و يستأنف فى كل من بن و بر بالعبارة «اختصم رجلان فى شاة».

(٦) فى بر: الآنيتين.

(٧) فى الأصل: و داعة.

و الذى قاله ظاهر إلا أن يقال إن طلب السارق للصندوق المقفل أشد
من طلبه لما لا قفل عليه . قال ابن عبد الحكم و لو قال رب الوديعة
للودع اجعلها فى قدر فخار ، فجعلها فى [٢٦٧ ب] سطل نحاس ، فضاعت
لضمن[١] لأن السارق عينه إلى سطل النحاس أكثر من الفخار . ولو
٥ قال اجعلها فى سطل نحاس ، فجعلها فى قدر فخار فضاعت لم يضمن . ولو
قال اجعلها فى كمك فتركها فى يده فضاعت لم يضمن ، لأنه بالغ فى
حفظها ، لأن كونها فى يده أصون لها من كمه ، إلا أن يقصد به إخفاءها[٢]
عن عين الغاصب فليضمن ، لأن الكم أحرز من اليد ، و لو سعى بها
الوديع إلى مصادر ضمنها ، أى لو وشا بها إلى ظالم ، فانه ضامن بسبب
١٠ التضييع فانه إنما أمسكها ليحفظها عن مثل هذا ، فاذا أخبر ظالما بها
فذلك عين التضييع فيضمنها لربها – انتهى .

[حكاية فى المخاصمة]

فلنذكر الآن ما قيل فى المخاصمة و الفتيا إن شاء الله تعالى . [٢]اختصم
رجلان فى شاة قد أخذ كل واحد[٣] بأذنها يقول هى لى . فمر رجل كان
١٥ قد[٤] ولد له ولد و ليس معه ما يشترى به شاة للعقيقة ، و كلفته امرأته
لشرائها و هو حائر كيف يجتمع له ثمنها ، و يقول: لم[٥] كلفتنى هذه المرأة

(١) كذا فى بر ، و هذا القسم ساقط من بن .
(٢) من هنا يستأنف الكلام فى كل من بر و فى بن .
(٣) فى بن : رحل .   (٤) ساقطة من بن .
(٥) فى بن : قد .

لما لا طاقة لى به، و تكليف ما لا يطاق، يؤدى إلى الشقاق[1]، و تلى[2] قوله تعالى: "لا يكلف الله نفسا الا وسعها[3]". و هو مفكر فيما ذا يفعله، فبينما هو كذلك و إذا بالرجلين[1] قالا [4]لأبى المولود[4]، و هما لا[1] يعرفانه[5]: احكم بيننا فى هذه الشاة، و مهما حكمت به علينا رضيناه، فقد طال الخصام[1] بيننا. فقال: إنكما لن[6] ترضيا[1] بحكمى، و إنى لا أحكم إلا بالحق. فقالا: ٥ رضينا بحكمك. قال: لا أحكم حتى تحلفا [7]لى بالطلاق[7] و العتاق و الحج[8] و العمرة مشاة[1] حفاة[9] أنكم ترضون بحكمى. ففعلا ذلك و التزماه بالأيمان[8]. فقال: حكمت عليكما أن [7]تخلياها لى[7]، فانه ولد لى مولود، و كلفت لشرائها للعقيقة[1] و لا معى ثمن شاة[1]، و يحصل لكما[10] أجرها[1]. فقالا: خذها و امض[1] بها. فأخذها[11] و مر بها[1] و هما ينظران إليه. فقال ١٠

---

(١) الكلمة مطموسة فى بن.

(٢) فى بن: و تلا.

(٣) قرآن كريم ٢: ٢٨٦.

(٤ - ٤) فى بن: له.

(٥) فى بن: يعرفان.

(٦) فى بن: لم.

(٧ - ٧) العبارة مطموسة فى بن.

(٨) ساقطة من بن.

(٩) ساقطة من بر و واردة فى بن.

(١٠) فى بن: لمن هى له منكما.

(١١) فى بن: فأخذ.

أحدهما[1] لصاحبه: ضيعتها[2] عليّ ياطالك، لا أبرأ الله[3] لك ذمة، [4]و سلط عليك النقمة[4].

[حكاية فقيه و أعرابي بطريق مكة]

و مر بعض الفقهاء [5]بطريق مكة[5]، فأصابه عطش شديد، فقال:
٥ هل من ماء؟ فقال رجل من العرب: عندي قربة ماء. فقال: اسقني منها. فقال: إنها موقوفة للبيع، و ظهر له قوة عطش[6] الفقيه. فقال له الفقيه: بعها مني. فقال: و الله لا أبيعها إلا بخمسة [5]دنانير. فرأى[5] الفقيه أنه[7] لا بد له من شرائها لشدة عطشه[8]. فقال له الفقيه: اشتريت منك القربة بمائها بما ذكرت. قال البدوي: [9]نعم بعتكها بمائها[9] بالثمن المعين، ١٠ [9]هات الدنانير[9]. فأعطاه[10] [٢٦٨ الف] خمسة دنانير و هو متألم لخروجها

---

(١) الكلمة ساقطة من بن.
(٢) في بن: صنعتها.
(٣) ساقطة من بر و واردة في بن.
(٤ - ٤) الجملة ساقطة من بن.
(٥ - ٥) العبارة مطموسة في بن.
(٦) في بن: العطش من.
(٧) في بن: أن.
(٨) زيد في بن: وخوفا من أن يلقى نفسه .... (مطموس) .... تذكر قوله .... (مطموس) .... تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.
(٩ - ٩) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن.
(١٠) زيد في بن: الفقيه.

منه. ¹فلما ملكها فتح فاها و شرب حتى ارتوى، و زكا حينئذ ثم قال للبدوى¹: ²يا وجه العرب² تأكل شيئا من سويق مصر! قال أى و الله و أراك كريما تشترى الماء بالذهب، و تتكرم فى الفياف المنقطعة بالزاد. فقال[3]: أقصد[4] بذلك الأجر[5]. فقال البدوى[6]: آجرك الله[7] على فعلك، هات[8]. فأخرج الفقيه سويقا كبيرا[8] وضعه[9] فى قصعة، و صب عليه سمنا ٥ كثيرا و قال له: كل يا أخا العرب إلى أن تشبع فاغتنمها الأعرابى و أكل ما فى القصعة جميعه، و كان[9] الفقيه قد شرب منها حتى ارتوى و وكاها، فاشتد الحر[9] و عطش الأعرابى من شدة حر الشمس وحر السمن، و الماء من البدوى على مسافة بعيدة، فقال للفقيه: اسقنى شربة ماء. فامتنع، فسأله ثانيا و هو يمتنع. فقال: تطعم العيش و لا تسق الماء، اسقنى فقد ١٠ ألهب العطش كبدى. فقال: إن رددت علىّ[10] ذهبى سقيتك و أرويتك، و إلا مت عطشا، أما يكفيك أكل سويق و سمنى حتى تأخذ[10] ذهبى منى[10]؟

(١ – ١) الجملة واردة فى بن و فى بر « فقال له » و بقيتها ساقطة منها.

(٢ – ٢) الجملة ساقطة من بن. (٣) زيد فى بن: الفقيه.

(٤) فى بن: انى أقصد.

(٥) زيدت فى بن جملة أغلبها مطموس و لا تؤثر على السياق.

(٦) فى بن: له.

(٧) زيد فى بن: تعالى.

(٨) ساقطة من بر، و واردة فى بن.

(٩) الكلمة مطموسة فى بن.

(١٠ – ١٠) فى بن: دنانيرى.

فلم يجد البدوى[1] بدا من رد الذهب[2] إليه، فعند ذلك سقاه حتى ارتوى[3]. ثم قال: مضت و الله القربة، بأكلة و شربة، لا قوة إلا بالله، [4] فليتنى ما[4] أكلت من قصعة، بأصابعى[5] الخمسة[6] و كنت فزت بالدنانير الخمسة. و مضى[7] شبعانا ريانا، و على[8] الدنانير مقهورا[3] ندمانا.

٥ [حكاية فى تأدية الشهادة]

دخل أبو دلامة الشاعر على قاض، يؤدى عنده شهادة، [9]و خاف أن لا يقبله لمعرفته بحاله[9]، فأول ما قاله أبو دلامة:

إن الناس غطونى تغطيت عنهم   و إن بحثوا عنى ففيهم مباحث
و إن حفروا بئرى حفرت بيارهم   فسوف يروا ما ذا تثير النبائث[10]

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٢) فى بن: الدنانير.
(٣) ساقطة من بن.
(٤-٤) فى بن: ليتنى لم.
(٥) مطموسة فى بن.
(٦) زيد فى بن [٢٠٣: الف]: و كنت فر رتها لدنانير الخمسة، لكن هذه آفة الطمع. قال الشاعر:
«و تضرب أرقاب الرجال المطامع»
(٧) فى بن: ثم أنه ذهب.
(٨) فى بن: لكن على ضياع.
(٩-٩) فى بن: فقال له رقينى!!
(١٠) فى بن: النبايب.

ففهم القاضي عنه إنه [١] إن رد شهادته هجاه [١]، و فى المهجو منقصة و ذلة للرجل الفاضل، و تذكر قول بعضهم:

لو هجا [٢] المسك و هو أهل لكل مدح لصار جيفـــة

فسأله القاضي عن أمره. [٣] قال: تأدية [٣] شهادة. فقال: أدها! فأداها فقبلها منه [٤] و انصرف. [٥] قال الشاعر: ٥

ما دمت حيا فدارى الناس كلهم فانمـا أنـت فى دار المــدارات

من يدر دار.... لم يدر سوف يرى عما قليل نــديما للنـــدامات [٥]

[٦] و مما قيل فى معنى شعر أبي دلامة:

يا حافر البئر على ذروة عــبّى لرجليـك مراقيها

من يحفر البئر و لا يتقى يوقـعه رب السما فيهـا ١٠

و مما قيل أيضا فى المعنى:

قضى الله أن البـغى يصرع أهله و أن عـلى الباغى تـدور الدوائر

/و من يحتفر بئرا ليوقع غـيره سيوقع يوما فى الذى هـو حافر [٦] [٢٦٨: ب]

(١-١) فى بن: بسبب أداء الشهادة و خاف إن رد شهادته هجاه.

(٢) فى الأصلين: هجى.

(٣-٣) فى بن: فقال أداء.

(٤) ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٥-٥) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن.

(٦-٦) هذا الجزء ساقط من بن. و زيد فيها قبل القصة التالية: و قد يفتى المفتى لأحد باحتياله لينفعه بفتاة فينفع ذلك المفتى كما قيل.

[حكايـة رجل و امرأة و بعض المفتيين]

جاء رجل إلى بعض المفتيين فقال: إنى خطبت عنـد قوم و قد ردونى، و أنا أحب أن أتزوج عندهم. فقال: ويحك علامَ ردوك. قال: ذكروا أنى فقير. فقال: و ما أصنع؟ فقال: قـــد دلونى عليك تتحيل لى و لك الأجر. و صار يقبل يديه [١]و رجليه و يتضرع بين يديه[١]، و دموعه تسيل على خديه، فرثا له و قال: تقدر على نقدها و نفقتها. قال: نعم[٢]. [٣]قال: إن[٣] كان و لابد لك من التزويج بها، فبع إحليلك منى. قال: و بِمَ[٤] أطأها إذا أنا بعتك إياه تقطعه و أصير كالخادم النادم، هذا[٥] لا يمكن أبدا أيها العالم. قال: هذا[٦] ما أخبرتك [٣]و أنا أعطيك فيه ألف[٣] درهم. فقال: اتق الله و هل يمكن ذلك؟ [٧]قال: ألفى درهم[٧]. ثم لم يزل بـــه حتى قال: أنا أعطيك به عشرة آلاف درهم. قال: لا و الله لا كان ذلك أبدا. قال: فاذهب الآن

(١-١) ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٢) فى بن: لا، و ربما كانت الكلمة هى الصواب.

(٣-٣) مطموسة فى بن.

(٤) كذا فى بن، و الكلمة فى بر: و بما.

(٥) زيد فى بن: مما.

(٦) فى بن: هو.

(٧-٧) ساقطة من بن.

و اخطب[١] . فان طردوك فقل لأى شيء تطردونى ، فان قالوا لأنك
فقير ، فقل إن المفتى فلان يعرف حالى ، و لا تتكلم بكلمة زائـــدة
على ما قلت لك أبدا لئلا[٢] تفسد علىّ الحيلة . فقال : سمعا و طاعة .
و مضى إليهم يخطب[٣] ، فقالوا : إنا لا[٣] نزوجك . فقال : و ما الذى[٣]
كرهتم[٤] منى . قالوا : أنت[٥] فـــقير و لا قدرة لك . فقال[٦] : إن المفتى ٥
فلان يعرف[٧] حالى[٣] . فقالوا : إن عرف المفتى حالك[٣] زوجناك ! و أتوا
إليه [٨]فسألوه عنه[٨] فقال : لا أعرفه و لا أعرف حاله إلا أنى [٩]رأيت
بعض[٩] الناس ساومه فى[٢] سلعة يملكها [٨]أعطـاه فيها[٨] عشرة آلاف
درهم و أبى[١٠] بيعها ، و ما أظنه ترك [٩]بيعها إلا و يريد[٩] فيها أكثر من
ذلك . فركنوا إليـــه و زوجوه و دخل بالمرأة ، فاذا هى[١١] شابة جميلة ١٠
متمولة ، و فحصوا عن أمره ، فلم يجدوا له شيئا . فعلمت أنه ما وصل
إليها إلا بحيلة ، فقالت [٩]له : عرفنى من[٩] ذلك علىّ . فقال : رأيتك

(١) فى بن : فاخطب .
(٢) الكلمة ساقطة من بن .
(٣) الكلمة مطموسة فى بن .
(٤) فى بن : كرهتموه .
(٥) فى بن : لأنك .
(٦) فى بن : قال .
(٧) فى بن : يعرفنى .
(٨-٨) ساقطة من بر و واردة فى بن
(٩-٩) العبارة مطموسة فى بن .
(١٠) فى بر : و ابا . و فى بن : فأبى .
(١١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

مرة[١] تنظرى من طاق دارك[٢] فأحببتك ، فتحيلت عليك حتى وصلت إليك . فقالت : أذكر لى حيلتك التى تحيلت بها كيف كانت ؟ فامتنع فتسلطت عليه بالمضاجرة[٣] حتى أخبرها بما فعله المفتى معه ، فسكتت على غبن و قهر ، و كان على باب [٤]درب المفتى[٤] [٥]دار فيها[٥] رجل[٦] بقال[٧]
٥ عنده ابنة بكر[٣] قرعا شلا زمنة كانت تعرفها و تتصدق عليها ، فلما كان ثالث يوم من[٨] قول زوجها لها تلك الحيلة[٩] ، لبست أفخر ثيابها ، و تطيبت و تعطرت ، و أتت إلى منزل المفتى ، فضربت الباب ، فخرج إليها فقال : ما قصتك ؟ قالت : فتوى عافاك[١٠] الله . قال : تكلمى . [٢٦٩ : الف] قالت : يا سيدى أنا ابنة فلان البقال الذى حانوته[٢]
١٠ على باب هذا[٣] الدرب ، و قد أعيتنى الحيل . و أبى[١١] كل من خطبنى

---

(١) الكلمة مطموسة فى بن .
(٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٣) ساقطة من بن .
(٤–٤) مطموسة فى بن .
(٥–٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٦) كذا فى بن ، و فى بر : رجلا .
(٧) ساقطة من بن ، و هى فى بر : بقالا .
(٨) زيد فى بن : حين .
(٩) فى بن : المقالة .
(١٠) فى بن : أعزك .
(١١) فى بن : فى أبى .

منه لا يزوجنى ، و يعتذر باعتذارات[1] ليست بصحيحة ، يقول ابنتى شلا اليد ، و هذه يدى - و أبرزت معصما كالجمارة[2] فيه أساور الذهب و اللؤلؤ ، فرأى المفتى ما حيره . ثم قالت له : و يقول ابنتى قرعا - ٣ و هذا شعرى ، فرأى شعرا أسود براقا حسنا . و يقول ابنتى كادومة ٣ - و كشفت عن وجه يتلألأ حسنا و جمالا ، فبهت المفتى لما رأى . ثم ٥ قالت : و يقول ابنتى زمنة عرجاء - و كشفت عن قدميها[4] و مشت بين يديه مشيا سويا[5] - و إنه لا يريد يا سيدى[6] يزوجنى[7] ألبتة ، و قد بلغت[8] و عيرتنى البنات التى[9] من أقرانى بتزويجهن[10] قبلى ببوارى و شوم بختى ، ٣ و قلة قسمتى و سوء حظى ٣ ، و جعلت تبكى و تلين كلامها فى بكائها ، فأخذت بمجامع قلب المفتى ، و حركت بسواكنه[11] ، [12] و كانت ١٠ امرأته توفيت [12] ، و هو عازب ينظر ١٣ فى أمره ليجد ١٣ امرأة يتزوجها.

(١) فى بن : باعذار .
(٢) فى بن : كالجمار .
(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٤) فى بن [٢٠٣ : ب] : قدم كالجمارة .
(٥) فى بن : مستويا .
(٦) الكلمة ساقطة من بن .
(٧) فى بن : تزويجى .
(٨) فى بن : كبرت .
(٩) فى بن : اللواتى .
(١٠) فى بن : يتزوجهن .
(١١) فى بن : ما هو ساكن .
(١٢-١٢) فى بن : و كان قد توفيت زوجته .
(١٣-١٣) الجملة ساقطة من بن .

فقال فى نفسه هذه هى[١] الزوجة المطلوبة للتمتع[٢] . ثم قال لها : هل لك[١] أن [٣]أتزوج بك[٣] ؟ فما انقضى كلامه ذلك[١] حتى انكبت على قدميه تقبلهما و تقول : من[٤] لى بأن أكون لك جارية و مملوكة[١] و خادمة . فقال : اذهبى فى حفظ الله ! فانصرفت . و طلب البقال فحضر فقال :
٥ زوجنى بابنتك[٥] . فقال : الله الله فى أمرى ، ان ابنتى قرعا شلا كادومة زمنة ، و لم تصلح[٦] لغلامك ، فكيف لك[٧] ؟ قال : قد رضيت بجميع ما ذكرت ، [٨]و دفع له[٨] خمسين دينارا نقدا[٩] معجلة ، و وقع العقد على [١٠]مائة دينار[١٠] أخرى مؤجلة ، و شرط فى نفس العقد أنه رضى[١١] بجميع العيوب التى ذكرها أبوها فيها . و قال : عجل على بها[١٢] . فلما كان[٦] المساء،
١٠ أحضر البقال ابنته يحملها هو و عبد له ، فلما رآها المفتى قال : ويلك

(١) الكلمة ساقطة من بن .
(٢) فى بن : التمتع .
(٣-٣) فى بن : أتزوجك .
(٤) فى بن : و من .
(٥) فى بن : ابنتك .
(٦) الكلمة مطموسة فى بن .
(٧) فى بن : بك .
(٨-٨) فى بن : و أعطاه .
(٩) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(١٠-١٠) مطموسة فى بن .
(١١) كذا فى بن ، و الكلمة فى بن : راضى .
(١٢) فى بن : سناها (!!) .

ما هذه؟ قال: ابنتى التى زوجتك [١] بها [٢]، عافاك الله [٢]، و هى على ما وصفت و شرطت لك بحضرة العدول و رضيت بها. فقال: ويلك [٣] أحق ما تقول [٣]؟ قال البقال: أمها [٢] طالق ثلاثا إن كان له ابنة [٢] سواها، فعند ذلك طلقها [٤] المفتى بالثلاث و قال [٤]: اردها إلى منزلك و أنت فى حل من الخمسين [٢] دينار المعجلة، و ارود إلى [٤] الصداق المؤجل. ٥
فعل البقال له ذلك [٤]، و بقى المفتى متفكرا فيما جرى [٥] شهرا كاملا [٥]. فلما كان [٤] بعد الشهر، و إذا تلك المرأة أتت [٤] فى أحسن ما تكون من هيئتها الأولى، فسلمت على المفتى، فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت [٦]: ما حملك أنت على ما صنعت، غررتنا برجل فقير، زوجتنا به بحيلتك، [٤] فكان جزاؤك [٤] منى أن [٧] احتلت [٨] عليك، و أغرمتك ١٠
خمسين دينارا حتى لا تعود تغرر ببنات الرؤساء الكبراء [٩]، و تزوجهن

(١) فى بن: ازوحتك.

(٢) الكلمة مطموسة فى بن.

(٣–٣) كذا فى بن، و الجملة فى بر: اتقى الله.

(٤–٤) العبارة مطموسة فى بن.

(٥–٥) فى بن: مدة شهرين كاملين.

(٦) فى بن: قالت.

(٧) ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٨) فى بن: اقبلت.

(٩) الكلمة ساقطة من بن.

بحيلتك للفقراء[١]، و تميل[٢] إلى [٢٦٩ : ب] الخلاعة[٣]، بسومك[٢] تلك[٤] البضاعة، التي لا تباع و لا تشترى، بين سائر[٤] الورى، فواحدة بواحدة جزاء. فبهت المفتي من كلامها، [٥]و انصرفت تضحك من توبيخها له و ملامها، ثم أنها سعت في خلاص نفسها من زوجها الفقير و قالت

٥ له: امض بالخيبة يا حقير، و عادت إلى المفتي و قالت له: قد طلقني الذي احتلت له[٥]، فان رغبت في فأنا بك راضية، و لك جارية، و يكون ما أخذته بنت البقال نقدي، أشهد لك بقبضي له، و يكون لتلك المسكينة، تقنع[٦] به [٧]على ما بليت به[٧]، [٨]و تصدقني صداقها[٨] المؤجل إن اخترت. فقال: حبا و كرامة. فتزوجها[٩] بعد انقضاء[١٠] عدتها،

١٠ و دامت[١١] له مودتها و عشرتها[٢].

---

(١) في بن: للفاليس.

(٢) الكلمة مطموسة في بن.

(٣) في بن: الخلافة.

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

(٥-٥) في بن: ثم قالت ... (مطموسة) ... كلمتك و مضيت إلى زوجي فآجرته إلى أن طلقني و الآن قد انقضت عدتي.

(٦) في بن: تنتفع.

(٧-٧) ساقطة من بن.

(٨-٨) مطموسة في بن.

(٩) في بن: فتزوج بها.

(١٠) في بن: وفاء.

(١١) كذا في بن، و هي في بر: و دام.

[النخعي عن العدة]

[1] و سأذكر ما قاله[1] النخعي فيما[2] [3] سئل عنه عن العدة إن شاء الله تعالى[3] . سئل النخعي هل للرجل عدة[4] ؟ قال : نعم عـــدة [5] واحدة و عدتان[5] و ثلاث عدد . قيل : كيف ذلك يرحمك الله ؟ قال : إذا كان للرجل أربع نسوة[6] ، فطلق الواحدة منهن طلقة سنية ، فليس له ٥ أن يتزوج غيرها[7] حتى تنقضي عدتها ، لأنها في حكم[8] عصمته ما دامت في العدة ، فلا يحل له[8] أن [9] يملك خمسة في عدة[9] . و العدة الثانية[10] إذا طلق زوجتـــه ، فأراد نكاح أختها ، [11] فيتربص هو[11] حتى تنقضي

(١-١) في بن : و إذ قد ذكرت العدة فأذكر ما قال .

(٢) في بن : فيها .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : من عدة يعتد بها .

(٥-٥) في بن : و يعتد عدتين .

(٦) الكلمة مطموسة في بن .

(٧) في بن : بغيرها .

(٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٩-٩) في بن : يجمع خمسا في عصمته .

(١٠) في بن : الثالثة .

(١١-١١) في بن : و هي قد طلقها طلقـة سنية ، فليس له أن يتزوج أختها حتى تنكح أختها حتى تنقضي عدة أختها فعليه ... (مطموسة) .

عدتها ، فهذه عدتان . و أما العدة الثالثة: فالرجل يكون له زوجة ، ولها ابن من غيره ، فمات ابنها الذى هو من غيره ، فيؤمر ذلك[1] الرجل باعتزال زوجته قرا واحدا و ذلك حتى تستبرأ ، و ليعلم أنها حامل أم لا ، [2] لأنها إن كان[2] يوم مات ابنها حاملا فقد وجب للحمل ميراثه ٥ فى[3] أخيه المتوفى لأمه ، إذ هو أخوه لأمه إذا خرج و استهل صارخا ، فيكون له السدس مما ترك أخوه ، و إن كانا اثنين[4] كانا لهما الثلث ذكورا كانوا[5] أو أناثا[6] .

و يجب[7] الاعتناء بالنظر فى العدة ، لأن الله سبحانه و تعالى أكد ذلك بقوله : " و أحصوا العدة و اتقوا الله ربكم[8] " على خلاف بين ١٠ المفسرين من المخاطب بذلك ، هل الحكام أو المطلقون و هو الأظهر أو المطلقات . و اختار بعضهم أن الأمر بالإحصاء يتناول الجميع لأن لكل واحد منهم تعلقا بذلك .

و العدد ثلاثة : عدة الطلاق و عدة الوفاة[9] و الاستبراء . و الأولان

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٢-٢) مطموسة فى بن .
(٣) فى بن [٢٠٤ : الف] : من .
(٤) فى بن : اثنتين .
(٥) « كانوا » فى بر قبل « ذكورا » و بعدها فى بن .
(٦) و زيد فى بن : انتهى . (و ذلك للدلالة على أن الكلام عن العدة فى بن انتهى و دخول الكاتب فى موضوع فقهى آخر) .
(٧) ابتداء من هنا يسقط الكلام الباقى فى الموضوع من بن لآخر هذا المجلد .
(٨) قرآن كريم ٦٥ : ١ . (٩) فى الأصل بر : الوفا .

مذكوران في القرآن . قال الله تعالى : "و المطلقت يتربصن بانفسهن ثلثة قروء[١]" . و قال : "و الّٰئى يئسن من المحيض من نسائكم[٢]" الآية . و قال سبحانـــه و تعالى : "و الذين يتوفون منكم و يذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر و عشرا[٣]" . و هو خبر وقع موقع الأمر ، قال اللخمي : و المعتدات خمسة عشرة : ذات حيض ، و ذات حمل ، و صغيرة لم تبلغ الحيض ، [٢٧٠ : الف] و مسنة قعدت عن الحيض ، و شابـــة متأخر حيضها ، و مستحاضة ، و مرتابة ، و مرضع ، و صغيرة ابتدأت العدة بالشهور ثم حاضت قبل أن تخرج من عدتها ، و يائسة ذات حيض ، و مستحاضة ترى الحيض ، و مستحاضة ارتابت ، و مرتـابة بحس بطن ، و مرتـابة لا بحس بطن . قال ابن رشد : العدة تجب بأحد وجهين : ١٠ إما بخلوة تعرف ، و إما باقرارها على نفسها بالمسيس . قال في المدونـــة : و إذا كان الصبي لا يولد لمثله ، و هو يقوى على الجماع ، فظهر بامرأته حمل لم يلحق به ، و تحـــد المرأة ، و إن مات هذا الصبي لم تنقض[٤] عدتها من الوفـاة بوضع حملها ، و عليها أربعة[٥] أشهر و عشر من يوم مات . قوله تعالى : "يٰأيها الذين اٰمنوا اذا نكحـــتم المؤمنٰت ثم ١٥ طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها[٦]" .

(١) قرآن كريم ٢ : ٢٢٨ .
(٢) قرآن كريم ٦٥ : ٤ .
(٣) قرآن كريم ٢ : ٢٣٤ .
(٤) في الأصل : لم تنقضى
(٥) في الأصل : أربع .
(٦) قرآن كريم ٣٣ : ٤٩ .

قال ابن الحاجب المالكي: و إذا دخل الصبي و هو لا يقوى على الجماع، و لا يولد لمثله، ثم صالح أبوه أو وصيه، فلا عدة على امرأته و لا صداق و لا غسل عليها إلا إن تلتذ، يعني إن أنزلت. و مقطوع الذكر و الخصيتين، و ظاهر المذهب لزوم العدة.

٥ و قال أبو حنيفة و الشافعي: يلحق الخصي و المجبوب نسب ولد زوجته إن كان ينزل. و قال أبو يوسف و زفر: يلزمه الولد، و لم يشترطا أنه ينزل. و الحمل الذي تقضي العدة بوضعه لا يشترط فيه أن يكون مصورا، بل يصح أن يكون في أول النطوف، و هو العلقة فما فوقها، كما أن الأمة تكون بوضعها للعلقة أم ولد. و قال أشهب: لا تكون

١٠ الأمة أم ولد بالدم المجتمع، و لا تنقضي به عدة المطلقة. قيل معنى هذا أن يصب على الدم الماء فلا يذوب - و الله أعلم بذلك[1].

---

(١) إلى هنا تنتهي مخطوطة برلين (بر)، و قد آثرنا أن نختم المجلد الرابع بتمامها. و يلاحظ أن المسائل الفقهية التي ختم بها الناسخ تلك المخطوطة ساقطة من (بن)، و قد استعاض ناسخ الأخيرة عن ذلك ببعض القصص و الفتاوى الفقهية ملأ بها الصفحتين بن ٢٠٤ الف ــ ب و قد تجاوزنا عنها في هذه الحواشي لكثرة ما بها من طمس و سقط و خبل يجعلها غير صالحة للنشر، ذلك بالإضافة لقلة أهميتها الموضوعية.

و ناسخ (بن) يستأنف الكلام من جديد (٢٠٤:ب) عن «ذكر الرتب العلية التي بعد الإسكندرية و ذلك أن الأمير صلاح الدين خليل بن علاء الدين علي الشهير بابن عرام نائب السلطنة بالإسكندرية لما (ولي) بالإسكندرية الخ» و فيها يستمر الكلام حتى الورقة (٢٧٦: ب) حيث يختم الناسخ المخطوطة بقوله: تم الكتاب، بلطف الملك الوهاب، بتاريخ مستهل ذي قعدة أحد شهور) ==

سنة

سنة تسع و ثما(نمائة) » . و اسم الناسخ غير مذكور ، و المخطوطة بخط نسخ معتاد ، و رغم ما بها من أخطاء لفظية و عبارات ساقطة و طمس بالرطوبة و ترميم بالتجليد ، فان قيمتها عظيمة لما ورد بها من الأقسام التى سقطت من مخطوطة برلين و التى أكملنا بها النص كما يرى من صلب المجلدين الثالث و الرابع .

و صفة مخطوطة الهند أن عدد أوراقها ٢٧٧ ورقة ، و بكل من صفحاتها ٢٧ سطرا و مقاسها ١٧٠ × ٢٠٠ مليمترا . و هى مصورة فى معهد إحياء المخطوطات العربية تحت رقم القيد ٣٠٨٥ ص ١/٢٨٢ ، و المكتبة خدا بخش بتنه تحت رقم ٢٣٣٥ . راجع « فهرس المخطوطات المصورة » جزء ٢ (التاريخ) ص ٣٠ – ٣١ .

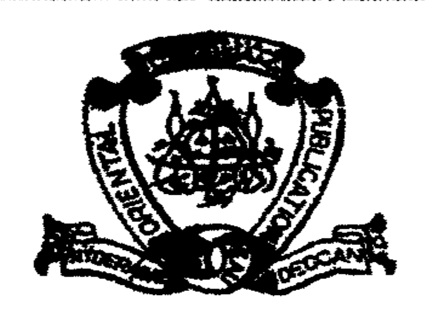
خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الرابع من كتاب الإلمام للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النويرى رحمه الله يوم الأحد الحادى و العشرين من شهر رمضان المكرم سنة ١٣٩٠ هـ المطابق ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٧٠ م . و الجزء الرابع هو آخر ما جاء فى مخطوطة برلين . اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه الأستاذ الفاضل المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطيه - أبقاه الله للخدمة العلمية . و عنى بتنقيحه و مراجعة النسختين راقم هذه الخاتمة تحت إدارة الحسيب اللبيب صاحب الفضيلة المدير السيد حامد على العباسى عم كرمه الدانى و القاصى .

و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و هو حسبنا و نعم الوكيل ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم . و صلى الله على خير خلقه و نبيه الكريم سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد عظيم الدين غفرله
(كامل الفقه بالجامعة النظامية)
المصحح بدائرة المعارف العثمانية .

DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. IX/xiii/iv



KITĀBU'L ILMĀM

BY

Muḥammad B. Qāsim al-Nuwairy
(D. after the year 775 A. H./1372 A.D.)

Vol. IV

Edited by

DR. 'AZIZ SURYAL ATIYA
from the Berlin and Bankipure MSS.

Printed
Under the Auspices of the Government of India
&
Under the Supervision of
Mahamed Ali Abbasi
Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania



Published by
THE DA'IRATU'L-MA'ARIF-IL-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD-7
INDIA
1970 A.D./1390 A.H.

DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. IX/xiii/iv



KITĀBU'L ILMĀM

BY

Muḥammad B. Qāsim al-Nuwairy
(D. after the year 775 A. H./1372 A.D.)

Vol. IV

Edited by

DR. AZIZ SURYAL ATIYA
from the Berlin and Bankipure MSS.

Printed
Under the Auspices of the Government of India
&
Under the Supervision of
Mahamed Ali Abbasi
Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania



Published by
THE DA'IRATU'L-MA'ARIF-IL-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU.)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD-7
INDIA
1970 A.D./1390 A.H.